وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ميسان ـ كلية التربية

قسم التأريخ

# السبي في بلاد الأندلس

## (٩٢-٦٠٩هـ/٧١٠-١٢١٢م)

## دراسة تاريخية

رسالة تقدمت بها

**آسيا لفته نعيم الساعدي**

الى مجلس كلية التربية جامعة ميسان وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي

إشراف

**أ. د. قاسم عبد سعدون الحسيني**

١٤٤٦هـ ٢٠٢٥م

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾

صدق الله العلي العظيم

سورة البقرة، الآية (٤٩)

## إقرار المشرف

أشهد أن هذهِ الرسالة الموسومة (السبي في بلاد الأندلس ٩٢-٦٠٩هـ/٧١٠-١٢١٢م – دراسة تاريخية) للطالبة (آسيا لفته نعيم الساعدي) جرت تحت إشرافي في قسم التاريخ، كلية التربية، جامعة ميسان، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي.

**التوقيع:**

**المشرف: أ. د. قاسم عبد سعدون الحسيني**

**التاريخ: / / ٢٠٢٥**

## توصية رئيس القسم

بناءً على التوصية المتوفرة من المشرف أرشح هذهِ الرسالة للمناقشة وبيان الرأي فيها.

**التوقيع:**

**رئيس القسم: أ. د. محمد حسين زبون**

**التاريخ: / / ٢٠٢٥**

# إقرار المقوم اللغوي

أشهد إني قرأت هذهِ الرسالة الموسومة (السبي في بلاد الأندلس ٩٢-٦٠٩هـ/٧١٠-١٢١٢م – دراسة تاريخية) التي تقدمت بها الطالبة (آسيا لفته نعيم) في قسم التاريخ، كلية التربية، جامعة ميسان، وقومتها لغوياً حتى أصبحت خالية من الاخطاء والتعبيرات الغير صحيحة.

**التوقيع:**

**الاسم:**

**التاريخ:** / /٢٠٢٥

## إقرار المقومين العلميين

أشهد إني قد قرأت هذهِ الرسالة الموسومة (السبي في بلاد الأندلس ٩٢-٦٠٩هـ/٧١٠-١٢١٢م - دراسة تاريخية) التي تقدمت بها الطالبة آسيا لفته نعيم في قسم التاريخ، كلية التربية، جامعة ميسان، وقومتها علمياً حتى صارت صالحة للمناقشة.

| | |
|---|---|
| **التوقيع:** | **التوقيع:** |
| **الأسم:** | **الأسم:** |
| **العنوان:** | **العنوان:** |
| **التاريخ:** / /٢٠٢٥ | **التاريخ:** / /٢٠٢٥ |

## إقرار لجنة المناقشة

نشـهد أننا أعضـاء لجنة المناقشـة قد اطلعنا على الرسـالة الموسـومة (السـبي في بلاد الأندلس ٩٢-٦٠٩هـ/ ٧١٠-١٢١٢م – دراسـة تاريخية) المقدمة من الطالبة (آسـيا لفته نعيم السـاعدي)، وقد ناقشـــنا الطالبة في محتواها وفيما له علاقة بها فوجدناها جديرة بالقبول لنيل شـــهادة الماجســـتير في التاريخ الإسلامي وبتقدير (  ).

**التوقيع:** **التوقيع:**

**الاسم:** **الاسم:**

**رئيساً** **عضواً**

**التاريخ:** / / ٢٠٢٥ **التاريخ:** / / ٢٠٢٥

**التوقيع:** **التوقيع:**

**الأسم:** **الأسم: أ. د. قاسم عبد سعدون الحسيني**

**عضواً** **عضواً ومشرفاً**

**التاريخ:** / / ٢٠٢٥ **التاريخ:** / / ٢٠٢٥

## مصادقه مجلس عماد كليه التربية

**أصادق على ما جاء في قرار اللجنة أعلاه**

**أ. د. براق طالب شلش**

**عميد كليه التربية، جامعة ميسان**

**التاريخ:** / /٢٠٢٥

# الإهـــداء

إلى بؤرة النـور التي عبـرت بـي نحو الأملِ واتسعَ قـلبهُ ليحتـوي حُلمي المـنشود حيـن ضاقـت الدنيا فـروضَ الصعاب مـن أجلي وسـارَ فـي حنكة الدربِ ليغرس معاني النـور والصفاء فـي قـلبـي، وعـلمـني معنى أنَّ نعيش مـن أجل الحق والعـلـم لنظل أحياء حتى وأنَّ فارقـت ارواحنـا اجسـادنـا ولطـالما تفطر قـلبهُ شوقـاً وحنَّتْ عيـنـاه الوضائنـان لرؤيتي حـاصلةً عـلى شهادة الماجستير، وها قـد اتى اليوم الـذي فـيه اقـدمها بـيـن يديهِ، ومـن أجل أنّ أمُثـل أمامه الآن بشهادتي التي تعترف كل صفحة فـيها بـأنَّهُ سـبب وجودها وسـبب خلودها فـي مـدارك العـلـم، إلى مـن أحـمل أسـمه بكل فخر وإلى مـن انتشل الأشواك عن دربـي ليمهد لي طريق العـلـم وقـد كان ارضائك جزءاً مـن طموحي وجزءاً مـن سـيري فـي طريق الماجستير حتى ترى ثمـرة جُهدك وطيب غرسك فكنت معنى الحياة لي، أبـي الحبـيب.

وإلى مـن تتسـابق الكلمات لتخرج معبـرة عن مكـنون ذاتـها إلى التي تمتـهن الحب وتغـزل الأمل فـي قـلبـي عصفوراً يرفـرف فوق نـاصية الأحلام فتبقى روحي متلألئةً ومشرقةً طـالما كانت دعـواتـها عنـوان دربـي وتبقى امـنياتي عـلى وشك التحقق مادامتْ يدها فـي يدي وسنـارة جهدها وسهرها تصطاد لي الراحة وتخطف التعب والألم مـن قـلبـي، وعندما تكسـوني الهموم اسـبح فـي بحر حبها وحنـانها ليخفف بل وينزيل آلامي إلى امي التي مهما كـبـرت فسـابقى طفلتـها التي تكتب أسـمها عـلى دفتر قـلبها سـاعة حزنها وتـهتف بفضلها حيـن تتقـدم بعـلمها درجـات لكي يا امي الحبـيبة ياسـيدة القـلب والحياة اهديك رسـالتي لتـهديـني الرضا والدعاء.

# شكر وعرفان

أحمد الله تعالى حمداً كثيراً طيباً مباركاً، وأشكره شكراً لا نهاية له على فضلهِ ونعمتهِ في إتمام هذهِ الدراسة التي ارجوا أن تنال توفيقه ورضاه، ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾. سورة النمل، الآية ١٩ .

يقتضي الواجب أن اتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى صاحب القلب الكبير والعلم الغزير الدكتور القدير (قاسم عبد سعدون) الذي أشرف على هذهِ الرسالة بكل دقة وإتقان والذي غمرني بأفضاله ورعاني بحسن توجيههِ وارشادهِ وإن الفضل الذي أسداه لي بعد فضل الله عز وجل لا يُمكن قياسه فهو لم يكن مجرد مشرف بل كان مرشداً ومساهماً في انارة طريق رحلة الرسالة .

كما اتقدم بخالص شكري وتقديري إلى اساتذتي الكرام المحترمين علماً وأدباً؛ لما بذلوه من جهد ، ولما أسدوه مِنْ نصحٍ جعلني أصلُ لما وصلت عليه الآن .

واخص بالشكر عائلتي الذين كانوا السند والملاذ لي كما إن الدعم المعنوي الذي قدموه لي، وتوفيرهم لجوٍ دراسي مثالي ليس مجرد أفعال عابرة بل هي تعبير عن حب عميق وإيمان راسخ بقدراتي .

وكما يتجلى النور في أحلك اللحظات تبرز صديقتي المخلصة (فاطمة) كنجمة مضيئة في سماء حياتي ولا يسعني إلا أن أتقدم لها بأسمى آيات الشكر والعرفان، لطالما شجعتني وآمنت بقدرتي على إنجاز هذهِ الدراسة، فكانت خير رفيق ونعم صديقٍ، وأسأل الله أن يديمها لي نعمة إلى آخر العمر .

**الباحثة آسيا لفته**

# قائمة المختصرات

| الأختصار | الكلمة |
|---|---|
| ت | توفي |
| د.ت | دون تاريخ |
| ص | صفحة |
| د.ط | دون طبعة |
| ط | طبعة |
| هـ | هجري |
| م | ميلادي |
| ق.م | قبل الميلاد |

# قائمة المحتويات


| الموضوع | رقم الصفحة |
|---|---|
| الآية القرآنية | أ |
| الاهداء | ب |
| شكر وعرفان | ت |
| قائمة المختصرات | ث |
| قائمة المحتويات | ج–د |
| المقدمة | ١–٩ |
| التمهيد | ١٠–٤٧ |
| أولاً: الأسر والسبي بين اللغة والاصطلاح. | ١٠–١٢ |
| ثانياً: الألفاظ المرادفة للسبي. | ١٣–١٤ |
| ثالثاً: الجذور التاريخية للسبي. | ١٥–٢٦ |
| رابعاً: موقف الشريعة الإسلامية من السبي. | ٢٧–٣١ |
| خامساً: المبنى الاصطلاحي لمصطلحي إسبانيا والأندلس. | ٣٢–٣٤ |
| سادساً: الجغرافية التاريخية لشبه الجزيرة الأيبيرية. | ٣٥–٣٦ |
| سابعاً: الوصول الإسلامي لشبه الجزيرة الأيبيرية ٩٢هـ/٧١٠م. | ٣٧–٤٧ |
| الفصل الاول<br>السبي في بلاد الاندلس من الفتح الاسلامي حتى نهاية عصر الامارة الاموية<br>(٩٢–٣١٦هـ / ٧١٠ – ٩٢٩م) | ٤٨–٧٨ |
| المبحث الاول: سبي المسلمين للنصارى الاسبان في بلاد الاندلس | ٤٨–٦٦ |
| أولاً: حملة طريف بن مالك المعافري الاستطلاعية سنة ٩١هـ/٧٠٩م. | ٤٨–٤٩ |
| ثانياً: حملة طارق بن زياد لفتح شبه الجزيرة الأيبيرية سنة ٩٢هـ/٧١٠م. | ٤٩–٥٢ |
| ثالثاً: التسامح الإسلامي مع النصارى الأسبان. | ٥٢–٥٣ |

| الموضوع | رقم الصفحة |
| --- | --- |
| رابعاً: عودة موسى بن نصير وطارق بن زياد ومعهم السبايا إلى دمشق سنة ٩٥هـ/ ٧١٣م. | ٥٣-٥٦ |
| خامساً: حملة الحر بن عبد الرحمن الثقفي على جنوب الأندلس سنة ٩٩هـ/٧١٧م. | ٥٦-٥٧ |
| سادساً: حملة الحاجب عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث على برشلونة سنة ٢٠٨هـ/٨٢٣م. | ٥٧-٥٩ |
| سابعاً: حملة عبد الله البلنسي الى اراضي البة سنة ٢١٠هـ/٨٢٥م. | ٥٩-٦٠ |
| ثامناً: حملة الأمير عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط) إلى أراضي جليقية سنة ٢٢٥هـ/٨٣٩م. | ٦٠-٦٠ |
| تاسعاً: حملة محمد ابن الأمير عبد الرحمن إلى جليقيه في سنة ٢٣١هـ/٨٤٥م. | ٦١-٦١ |
| عاشراً: حملة الأمير عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط) إلى جزيرتي ميورقة ومنورقة سنة ٢٣٤هـ/٨٤٨م. | ٦١-٦٣ |
| الحادي عشر: حملة الأمير عبد الرحمن الناصر لدين الله سنة ٣٠١هـ/٩١٤م على الممالك النصرانية. | ٦٣-٦٤ |
| الثاني عشر: حملة عبد الرحمن الناصر ضد مدينة تُطِيلَةُ سنة ٣١٢هـ/٩٢٤م. | ٦٥-٦٦ |
| المبحث الثاني: سبي النصارى للمسلمين في بلاد الاندلس | ٦٧-٧٨ |
| أولاً: حملة الحكم بن هشام ضد القوات الفرنجية سنة ١٩٤هـ/٨٠٩م. | ٦٧-٦٩ |
| ثانياً: غارات النورمان (الفايكنك) البحرية على الممالك الإسلامية سنة ٢٢٩هـ/ ٨٤٣م. | ٧٠-٧٣ |
| ثالثاً: غارات النورمان على السواحل الأندلسية سنة ٢٤٥هـ/٨٥٩م. | ٧٣-٧٥ |
| رابعاً: حملة اردونيو الثاني ضد مدينة يابرة سنة ٣٠١هـ/٩١٣م. | ٧٥-٧٧ |
| خامساً: حملة اردونيو الثاني ضد مدينة ماردة سنة ٣٠٢هـ/٩١٤م. | ٧٧-٧٨ |

| الموضوع | رقم الصفحة |
| --- | --- |
| **الفصل الثاني**<br>**السبي في بلاد الاندلس في عهد الخلافة الأموية ودويلات الطوائف**<br>**(٣١٦-٤٨٤هـ/٩٢٩-١٠٩٢م)** | ٧٩-١١٨ |
| المبحث الاول: سبي المسلمين للنصارى الاسبان في بلاد الاندلس | ٧٩-١٠٤ |
| أولاً: غزوات محمد بن أبي عامر ضد الممالك النصرانية ٣٦٦-٣٦٧هـ /٩٧٧م. | ٧٩-٨٣ |
| ثانياً: غزوة محمد بن أبي عامر على مدينة برشلونة سنة ٣٧٥هـ/٩٨٥م. | ٨٣-٨٤ |
| ثالثاً: غزوة محمد بن أبي عامر على قنالش والدير سنة ٣٩٢هـ/١٠٠٢م. | ٨٤-٨٥ |
| رابعاً: حملات عبد الملك المظفر إلى الممالك الأسبانية سنة ٣٩٤-٣٩٨هـ/١٠٠٤-١٠٠٧م. | ٨٥-٨٩ |
| خامساً: الفتنة القرطبية سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٩م. | ٨٩-٩٩ |
| سادساً: الجهاد المشترك بين المرابطين وملوك الطوائف ضد الممالك الأسبانية (موقعة الزلاقة) سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م. | ٩٩-١٠٤ |
| المبحث الثاني: سبي النصارى للمسلين في بلاد الاندلس | ١٠٥-١١٨ |
| أولاً: حملة الحكم المستنصر إلى أراضي النصارى الأسبان سنة ٣٥٢هـ/٩٦٣م. | ١٠٥-١٠٦ |
| ثانياً: سبي النصارى لأهالي بلنسية في وقعة بطرنة سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٢م. | ١٠٦-١٠٩ |
| ثالثاً: سبي فرديناند الأول لأهالي قلمرية قاعدة الثغر الأدنى سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٤م. | ١٠٩-١١١ |
| رابعاً: حملة النورمان على مدينة بربشتر سنة ٤٥٦ هـ/١٠٦٤م. | ١١١-١١٦ |
| خامساً: حملة حصن الليط سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م. | ١١٧-١١٨ |
| **الفصل الثالث**<br>**السبي في بلاد الاندلس في عهد المرابطين الموحدين**<br>**( ٤٨٤-٦٠٩هـ/١٠٩١-١٢١٢م)** | ١١٩-١٥٧ |
| المبحث الاول: سبي المسلمين للنصارى الاسبان في الاندلس | ١١٩-١٣٥ |
| أولاً: حملة المرابطين على أراضي الأندلس في سنة ٥٠٧هـ/١١١٤م. | ١١٩-١٢٠ |

| الموضوع | رقم الصفحة |
| --- | --- |
| ثانياً: حملة المرابطين على أراضي برشلونة سنة ٥٠٨ هـ/ ١١١٤ م. | ١٢٠-١٢٢ |
| ثالثاً: حملة الأمير تاشفين بن علي على مدينة أشكونِيَة سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م. | ١٢٣-١٢٣ |
| رابعاً: حملة الموحدين على أراضي قشتالة في سنة ٥٧٢هـ/١١٧٧م. | ١٢٣-١٢٥ |
| خامساً: حملة المنصور الموحدي على أراضي غرب الأندلس سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م. | ١٢٦-١٢٦ |
| سادساً: موقعة حصن الأرك وهزيمة النصارى سنة ٥٩١هـ/١١٩٥م. | ١٢٧-١٣٢ |
| سابعاً: حملة أبو يوسف يعقوب المنصور على أراضي قشتالة سنة ٥٩٢هـ/ ١١٩٦م. | ١٣٢-١٣٥ |
| المبحث الثاني: سبي النصارى للمسلين في بلاد الاندلس | ١٣٦-١٥٧ |
| أولاً: حملة القشتاليون على مدينة اشبيلية في سنة ٥٢٤هـ/١١٢٩م. | ١٣٦-١٣٦ |
| ثانياً: حملة النصارى على أراضي غرب الأندلس سنتي ٥٦٠-٥٦١هـ/١١٦٥م. | ١٣٦-١٣٨ |
| ثالثاً: حملة القشتاليون على أراضي الأندلس في سنة ٥٦٥هـ/١١٧٠م. | ١٣٨-١٤٠ |
| رابعاً: حملة القشتاليون على مدينة باجة في سنة ٥٦٨هـ/١١٧٢م. | ١٤٠-١٤٤ |
| خامساً: هجوم القشتاليون والبرتغاليون على أراضي الأندلس سنة ٥٧٧ هـ/ ١١٨١م. | ١٤٤-١٤٥ |
| سادساً: حملة النصارى على الأراضي الأندلسية في سنة ٥٧٨ هـ/ ١١٨٢م. | ١٤٥-١٤٧ |
| سابعاً: حملة النصارى على مدينة شلبُ وأستردادها سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م. | ١٤٨-١٤٩ |
| ثامناً: موقعة حصن العُقاب وهزيمة المسلمين سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م. | ١٤٩-١٥٧ |
| الخاتمة | ١٥٨-١٦٠ |
| الملاحق | ١٦١-١٦٥ |
| قائمة المصادر و المراجع | ١٦٦-١٩١ |
| الملخص | A-B |

# المقدمـــة

# المقدمـــة

الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره، الحمد لله الذي لا يخيب من دعاه، الحمد لله الذي لا يكل من توكل عليه إلى غيره، الحمد لله هو رجاؤنا حين تسوء ظنوننا باعمالنا، الحمد لله الذي يجُزي بالإحسان إحساناً وبالسيئات عفواً وغفراناً، الحمد لله المحمود في الأول والآخر الذي وعد فوفا واوعد فعفا والصلاه والسلام على أشرف الخلق المصطفى الأمجد المحمود الأحمد أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين أفضل الصلاة والسلام.

يُعد موضوع السبي من المواضيع المهمة في التاريخ الأندلسي ؛ لأنه يُعد نتاجاً طبيعياً للحروب المتواصلة بين المسلمين والنصارى في الأندلس إذ أنَّ الصراع لم يتوقف بينهم مما جعل النصارى في الشمال الأسباني يشنون الحروب على المسلمين محاولين أسترداد ما يمكن أسترداده من سلطة المسلمين على مدى القرون الثمانية التي قضاها المسلمون في الأندلس (٩٢-٨٩٧هـ/٧١٠-١٤٩٢م) الأمر الذي أثار حفيظة النصارى الأسبان فوقعت العديد من المواجهات العسكرية بينهم ترتب على اثرها حالات سبي كثيرة بدأت منذ أنَّ قرر المسلمون دخول شبه الجزيرة الأيبيرية بغية فتحها سنة (٩٢هـ/٧١٠م).

كما إنَّ جريمة القتل كانت من أكثر الجرائم العسكرية أنتشاراً بين النصارى في الأندلس، وتتسم بالقسوة البالغة، حيث تنطوي على إراقة الدماء وتتسبب في إزهاق الأرواح، وغالباً ما كانت جريمة القتل مقترنة بجريمة السبي، ومن خلال استقراء المصادر التاريخية، لا يوجد ما يشير إلى وقوع أعمال غدر أو خيانة من النصارى تجاه المسلمين في السنوات الأولى من الفتح الإسلامي للأندلس، وربما يعود ذلك إلى ضعف وتشتت قوى النصارى بعد هزيمتهم، أو إلى عدم استقرار المسلمين في البلاد في تلك المدة، وهذا ما اوضحه ابن الأثير[1]، وفقاً لما كان يتوقعه النصارى أنذاك قائلاً: ((إِنَّ المسلمين إِذَا امْتَلَأَتْ أَيْدِيهِمْ من الْغَنِيمَةِ عَادُوا إلى بلادهِمْ وَبَقي الْملكُ لَنا))، وبصفة عامة، فقد شهدت العلاقات بين المسلمين والنصارى في الأندلس صراعاً طويلاً وممتداً، تخلله أعمال سبي وقتل من الجانبين.

من هذا المنطلق جاءت الدراسة بعنوان (**السبي في بلاد الأندلس ٩٢- ٦٠٩هـ/٧١٠-١٢١٢م**)، ونظراً للحقبة الزمنية التي تناولتها الدراسة فقد انتظمت الدرسة بتمهيد وثلاثة فصول، أمَّا التمهيد فقد تطَّرق إلى الأسر بين اللغة والاصطلاح وإلى السبي بين اللغة والاصطلاح، كذلك الألفاظ المرادفة للسبي بالاضافةِ إلى السبي عند

(١) الكامل، ٤/٤٠.

الاقوام السابقة فقد عرف عند العراقيين القدماء وعند العرب قبل الإسلام، كما عرف أيضاً عند اليونان والرومان كذلك عند الفرس والأحباش، من ثم اختتمتُ التمهيد بالتعرف على الموقف من السبي في ضوء اثبات مشروعيته في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

**أنتظم الفصل الأول بعنوان (السبي في بلاد الأندلس من الفتح الإسلامي حتى نهاية عصر الأمارة الأموية (٩٢ – ٣١٦هـ /٧١٠ – ٩٢٩م)**، وتجسدَ بمقدمة ومبحثين أمَّا المقدمة فقد تطرقت إلى المبنى الاصطلاحي لمصطلحي أسبانيا والأندلس، كذلك الجغرافية التاريخية لشبه الجزيرة الأيبيرية، اضافةً إلى الوصول الإسلامي لشبه الجزيرة الأيبيرية سنة ٩٢هـ/٧١٠م، أمَّا المبحث الأول فقد حملَ عنوان سبي المسلمين للنصارى الأسبان في بلاد الأندلس واوضح حملات وغزوات المسلمين إلى أراضي النصارى وفتح جزءًا منها وأخذ نساؤهم واطفالهم كسبي، أمَّا المبحث الثاني فقد أنتظم تحت عنوان سبي النصارى للمسلمين في بلاد الأندلس وأوضح غزوات النصارى إلى أراضي المسلمين واستخدامهم الاساليب الوحشية والقمعية والامعان في أراضيهم حرقاً وابادة السكان قتلاً واسراً وسبياً.

**فيما جاءَ الفصل الثاني بعنوان ( السبي في بلاد الأندلس من عصر أمراء الطوائف حتى عصر المرابطين (٤٢٢-٤٨٤هـ/ ١٠٣١-١٠٩٢م)**، وأقتضت طبيعته أنَّ يرتكز على مبحثين الأول منهما حَملَ عنوان سبي المسلمين للنصارى الأسبان في بلاد الأندلس واوضح فيها الغزوات والحملات التي شنها المسلمين على أراضي الممالك النصرانية واقتحامهم للحصون والمدن واستيلائهم على الغنائم والسبايا، وتطرق المبحث الثاني إلى سبي النصارى للمسلمين في بلاد الأندلس وكشف لنا هذا المبحث الاجراءات التعسفية التي إتخذها بحق المسلمين وماهية الممارسات القمعية التي أستخدموها معهم ما بين القتل بالسيف والحرق والترويع والأسر والسبي وغيرها من الجرائم الوحشية التي أرتكبت في بلاد شبه الجزيرة الأيبيرية التي كانت سائدة ومعبرة عن الصراع الإسلامي النصراني وكان ذلك عندما حاولوا أسترداد ما يمكن أسترداده من المدن الأندلسية وما يهمنا بهذا الصدد هو حالات السبي التي رافقت الصراع الإسلامي النصراني في بلاد شبه الجزيرة الأيبيرية.

**اما الفصل الثالث حملَ عنوان السبي في بلاد الأندلس ٥٠٧- ٦٠٩ هـ /١١١٤ -١٢١٢م،** وأنتظم بمبحثين أمَّا المبحث الاول فقد حملَّ عنوان سبي المسلمين للنصارى الأسبان في بلاد الأندلس ووقفنا في هذا المبحث على الكثير من المعارك والمواقع التي وقعت بين المسلمين وبين النصارى وانتصار المسلمين وحصولهم

على سبايا من النصارى، كما أنَّ أهم المعارك في هذا المبحث هي معركة الأرك التي وقعت في سنة ٥٩١هـ/١١٩٥م، التي اعتبرت أحدى أبرز المعارك في سجل التصادم بين المسلمين والنصارى في الأندلس، وقد اسفرت عن انتصار المسلمين بقيادة الخليفة المنصور الموحدي وحصولهم على عدد كبير من السبايا والغنائم، وخسارة النصارى بقيادة الملك الفونسو الثامن خسارة مدوية، وقد عاد الملك الفونسو الثامن إلى طليطلة وهو في اسوء حال من الألم والحزن، فحرَّمَ على نفسهِ كل متعة حتى تنتصر النصرانية، أمَّا المبحث الثاني فقد حمل عنوان سبي النصارى للمسلمين في بلاد الأندلس وعلى نفس المنوال فقد تكفل هذا المبحث بعرض أهم المواقع التي حدثت بين النصارى وبين المسلمين وعرض كل حالات السبي التي أخذها النصارى من المسلمين وتعد موقعة العقاب من أهم المعارك التي ذكرها هذا المبحث وتطرق إلى الهزيمة المريرة التي مُنيَّ المسلمين بها وانتصار النصارى بقيادة الفونسو الثامن وقد شكلت هذهِ الهزيمة ضربة موجعة للمسلمين.

أما عن سبب اختياري للموضوع ( **السبي في بلاد الأندلس ٩٢- ٦٠٩هـ/٧١٠-١٢١٢م)** فمردهُ إلى أنه من المواضيع المهمة التي يمكن من خلالها معرفة اسرار الاحداث الممتدة على النطاق الزماني (٩٢- ٦٠٩هـ/٧١٠-١٢١٢م) المتعلقة بالحروب ما بين المسلمين والنصارى ووقوع حالات السبي، ومصير السبايا عند كل من المسلمين والنصارى وبيان الاهداف الحقيقة التي تتكمن وراء هذهِ الفتوحات والحروب.

وقد واجهت الباحثة تحديات ومعوقات عدة خلال إعداد هذهِ الدراسة أبرزها:

١- حداثة وأبتكارية عنوان الدراسة: إذْ يُعد عنوان الرسالة من المواضيع المستحدثة والمبتكرة في مجال الدراسات التاريخية الأندلسية، إذ لم تكن هناك دراسات أكاديمية تاريخية سابقة تناولت هذا الموضوع بشكل مستقل ودقيق، مما استدعى جهداً كبيراً في البحث عن الشواهد والأدلة من مختلف المصادر والمراجع.

٢- تَحَفُّظ بعض المصادر والمراجع: لوحظ أن بعض المصادر كانت تَتَحَفَّظ أو تخلط بين حالتي السبي والأسر فيما يتعلق ببعض الأحداث التاريخية، فقد تناولت بعض المصادر التاريخية لحادثة معينة وذكرت وقوع حالات سبي فيها، بينما ذُكرت ذات الحادثة في مصادر او مراجع أخرى لكنها لا تشير إلى وقوع سبي، فضلاً عن وجود حالات أخرى حيث ذكر مؤلف معين حالة سبي في حادثة معينة، بينما البعض ذكر أسر في ذات الحادثة بدلاً من السبي ولعل هذا التباين

فـي الروايـات التاريخـية يرجع إلى تحفظ بـعض المصادر والمراجع عن الإفصاح الكامل بشـأن حـالات السـبـي أو الأسـر فـي بـعض الأحـداث، ممـا استدعى من البـاحثة أن تبذل جـهـداً للتمييز بيـن هـذهِ الحـالات والتـوفـيق بيـن الروايـات المختلـفـة.

٣- كثرة الشخصيـات والمواقع والمـدن المتنـاولة فـي الدراسة: شكلت هـذهِ الجزئية من البحث تحـديـاً كبيراً للبـاحثة، حيث استغرقـت وقـتاً طويلاً فـي البحث والتنقيب فـي كتب التراجـم والبلدان للحصـول عـلى المعـلومـات الدقيقة والموثوقة.

فـيمـا يخص النطـاق الزمـاني والمكاني الـذي رافـق العنـوان فـقـد بدأ بسـنة (٩٢هـ/٧١٠م)، وهو تاريخ الـفتح الإسـلامي لشبـه الجزيـرة الأيبيـرية الـذي رافـقه حوادث وقعت عـلى اثرها حـالات سـبـي بيـنمـا انتـهى موضوع الدراسة فـي سـنة (٦٠٩هـ/١٢١٢م) وهو تاريخ معركة العقـاب التـي كانت سـبب مـن اسبـاب سقـوط الدولة الموحـدية فـي بلاد الأنـدلس.

أمَّـا الخاتمة فـقـد تنـاولت أبـرز النتائج المستخلصة مـن الاحـداث التاريخـية التـي تنـاولتـها الـدراسة بـاكملها وذلك بشـكل مـوجز وشـامل؛ بهدف تسـليـط الضـوء عـلى أهـم الاسـتنتاجـات الرئيسـية التي تـوصلت اليها الـدراسة.

## عـرض المصادر والمـراجع.

أستندت هـذهِ الدراسة عـلى مجـموعة متنـوعة مـن المصادر والمراجع، التي كان لها دور بـارز فـي إثراء هـذهِ الدراسة سـواء كانت هـذهِ المصادر والمراجع اندلسيه أم مغربيه أم مشرقيه أفادت الدراسة فـي جوانبها المختلفة بمعلومـاتـها القيمة، وقـد سـاهـمت هـذهِ المصادر المتنـوعة فـي إثراء الدراسة وتقـديم معلومـات قيمة تغطي مختلـف جوانبها، وتجدر الإشـارة إلى إنَّ هؤلاء المؤلـفـيـن كانـوا قـريبـيـن زمنـيـاً مـن الأحـداث والحقبة التي تنـاولتـها الدراسة، ممـا أضفى عـلى المعـلومـات المقـدمة درجة عالية مـن الدقة والموثوقية ومـن أهـم هـذهِ المصادر:

### أولاً: كتب التاريخ

#### ١. كتاب الـذخـيرة فـي محـاسـن أهـل الجزيرة

للمؤلـف أبـي الحسـن عـلي بن بسـام الشنتريـني (ت ٥٤٢ هـ / ١١٤٧م)، يُعد هـذا الكتاب الـذي حققه إحسـان عبـاس مـن المصادر البـارزة والمهِمَّة للدراسـات التاريخـية المتعـلقة بـالأندلس، وقـد نقـل ابن بسـام

فـي هـذا العمل الموسـوعي بـعضاً مـن الرِوايـات التي أوردها المؤرخ ابن حيـان القـرطبـي، وخاصةً تلك الروايـات المرتبطة بـاحـداث الـفتنة القـرطبية، كمـا يُعـد هـذا الكتاب موسـوعة شـاملة ذات أهـمية بـالغة للبـاحثيـن المهتميـن بـالتَّاريخ الأَندلُسـي ؛ نظراً لما يحتـويهِ مـن معـلومـات قيـمة ووفـيرة، وقـد أفاد الدراسة بصـورة كبـيرة فـي الـفصليـن الاول والثاني

**٢. كتاب البيـان المغرب فـي اخبـار الأنـدلـس والمغرب**

للمؤلـف ابـي العبـاس احـمـد بن محـمـد ابن عذاري المراكشي (توفـي بعد ٧١٢هـ/١٣١٢م) انتظم هـذا الكتاب فـي اربـعة اجزاء حققه كل مـن إ. ليفـي بـروفنسـال و ج. كولان والـذي يُعـد مـن الكتب المهمة التـي اهتمت بـالتاريخ السيـاسـي والعسكـري فـي المغرب والأنـدلس، وردت فـيه مـعلومـات مستفـيضة عن مـرحلة الـفتح الإسـلامي لشبه الجزيـرة الأيبيـرية ورحلة طريف بن مـالك إلى الأنـدلس كذلك تطرق إلى السبـي والأسـر والغنائم التـي كاَنتَ جزءًا لا يتجزء مـن الحروب التـي وقعت بيـن المسـلمـيـن والنصارى الأسبـان انذاك، كذلك تطرق إلى الكثير مـن الروايـات التـي بدورها تسـاعـد البـاحث عـلى المقـارنة بيـن هـذهِ الروايـات وأختيـار الارجح مـنها، كمـا إنَّ المؤلـف اتبـعَ النظام الحولي فـي تدويـن الأحـداث التاريخـية الأمـر الـذي يجعـل البـاحث يصل إلى المعـلومة التاريخـية بسهوله وقـد زودنـا ابن عذاري بمعـلومـات كثيرة أفادت الدراسة مـنذ بدايتـها وحتى النهاية.

**٣. كتاب نفح الطيب مـن غصن الأنـدلـس الرطيب**

للمؤلـف أحـمـد بن محـمـد المقـري التلمسـاني، (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م) يُعـد هـذا الكتاب موسـوعة تاريخـية مهمة فـي دراسة التاريخ والادب وجغرافـية الأنـدلس، حققه إحسـان عبـاس، يُعـد هـذا الكتاب مـن المصادر المهمة التـي تنـاولت تاريخ الأنـدلس وأحـداثه التاريخـية بشكل موسع وشـامل، كمـا يتميز هـذا الكتاب بتنـاوله التفصيلي للأوضاع العسكـرية والصـراعات التـي شهـدتـها الأنـدلس خلال فترة حكم المسـلمـيـن لها عـلاوة عـلى ذلك، فـأنَّ الكتاب يتضمـن تـوثيقـاً شعـريـاً لبـعض الأحـداث التاريخـية البـارزة، ممـا يُضفـي عـليه بُـعـداً ثقـافـيـاً وأدبـيـاً إلى جـانب البـعـد التاريخي والعسكـري، وقـد قسم المؤلـف هـذا الكتاب إلى ثمـانية مجلدات ويشير هـذا التقسـيم إلى حجـم المـادة العـلمية التـي يحتـويها، ممـا يجعـله مـرجعاً هامـاً للبـاحثيـن فـي مجـال تاريخ الأنـدلس، وقـد اعتمـد المؤلـف بشكل كبـير عـلى مصادر تاريخـية لم تصلنـا الا بشكل جزئي، وقد أفاد الدراسة فـي جميع فصولها.

**كتب البلدان**

**١. كتاب معجـم البلدان**

للمؤلـف شهاب الديـن أبـي عبد الله يـاقـوت ابن عبد الله الحـموي، (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) يُعد هـذا الكتاب موسـوعة جغرافـية شـاملة ومهمة للدراسـات الأنـدلسـية، وتتمثـل أهـميتـه فـي تحـديد الكثير مـن المواقع الجغرافـية بدقة إذ يتميز هـذا الكتاب بدقة المعـلومـات التـي يقـدمها، وهـذا مـا يجعله مصدراً موثوقـاً به مـن قبل البـاحثيـن فـي التاريخ الأنـدلسـي، ويتميز هـذا المعجـم الجغرافـي بغـزارة معلومـاتهِ واسـلوبه البليغ فـي وصف المـدن والبلدان، مـا جعـله مـرجعاً أسـاسـيـاً لا يمكن للبـاحثيـن فـي الدراسـات الأنـدلسـية الاستغنـاء عنه، وقـد أفاد الدراسة بشكل كبير مـن خلال تحـديد الكثير مـن المواقع الجغرافـية فـي الـفصـول كافـة.

**٢. كتاب الروض المعطـار فـي خبـر الاقطـار**

للؤلـف محـمـد بن عبد المـنعم الحـميري (ت ٩٠٠هـ/١٤٩٤م) حققه إحسـان عبـاس يُعـد هـذا المصدر مـن المصادر المهمة فـي دراسة جغرافـية الأنـدلس وتاريخها، إذ قـدم المؤلـف وصفـاً دقيقـاً للكثير مـن المواقع والمـدن والاقـاليم الأنـدلسـية، ممـا سـاعـد عـلى تحـديد مواقعها الجغرافـية بشكل واضح، ويُعـد مـن أهـم المصادر التـي اعتمـد عـليها البـاحثون فـي تاريخ الأنـدلس، كمـا اتسم هـذا الكتاب بـالموثوقية والدقة فـي المعـلومـات، وكثرة الاستخدام، قـام الحـميري بتنظيم محتـويـاتـه على وفقِ الترتيب الهجائي للحروف، وقـد تميز عـرض هـذا التنظيم بـالإيجـاز، وقـد أفاد هـذا المعجـم الجغرافـي الدراسة فـي فصـولها جميعاً.

**كتب التراجـم**

**١. كتاب جذوة المقـتبس فـي ذكـر ولاة الأنـدلـس**

للمؤلف أبـي محـمـد عبـد الله بن أبـي نصـر فتـوح بن عبد الله الحـميـدي الازدي، (ت ٤٨٨ هـ/ ١٠٩٥م) يُعـد هـذا المصدر مصنَّفاً تراجـمياً بـارزاً فـي دراسة تاريخ وثقـافـة الأنـدلس، طُبع هذا الكتاب فـي ثـلاثة أجزاء، يتنـاول سير أعـلامٍ متنوعيـن مـن الأنـدلس، بدءًا مـن الـفتح الإسـلامي للجزيرة الأيبيـرية وصـولًا إلى عصـر المؤلـف و مـا يُميِّـز "جذوة المقتبس" هو أنَّه لا يقـتـصـر عـلى ترجـمة الشخصيـات الأنـدلسـية فحسـب، بل يتضمـن أيضـاً تراجـم لبعض الأعـلام الطـارئيـن عـلى الأنـدلس مـن منـاطـق أخرى وبـالتالي، يُعـد هـذا المصنَّف التراجـمي مصـدراً مهمـاً للبـاحثيـن فـي مجـالات التـاريخ والأدب والثقـافـة المتعلقـة بـالدراسـات الأنـدلسـية، وقـد تنـوعت الشخصيـات التـي تنـاولها المؤلـف فـي كتابه، لتشمل عـلمـاء ورجـال ديـن وأدبـاء وشعـراء وخلفـاء وأمـراء، وهـذا التنـوع فـي المترجـم

لهم يُسهم في إثراء المعرفة حول الحياة الثقافية والاجتماعية في الأندلس خلال تلك المدة التاريخية، كما أنَّ هذا المصنف أفاد الدرسة في كافة فصولها.

**٢. كتاب بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**

للمؤلف أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي، (ت ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م) يُعد هذا المصدر من المصادر البارزة والمهمة للباحثين في مجال التاريخ الأندلسي، إذ تناول تراجم لشخصيات بارزة في تاريخ الأندلس، بما في ذلك أمراء وخلفاء وفقهاء مِمَّن أسهموا في الحياة السياسية والاجتماعية، بالإضافة إلى النساء الأندلسيات، وقد أفاد الدراسة في ترجمة العديد من الشخصيات الواردة في فصولها الثلاثة.

**٣. كتاب الحلة السيراء**

للمؤلف أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر ابن الأبار القضاعي، ( ت ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م)، يُعد هذا المصدر من المصادر المهمة لدى الباحثين في مجال التاريخ الأندلسي، ومن الجدير بالذكر أنَّ هذا الكتاب قد حققه و دقق حواشيه حسين مؤنس في عام ١٩٨٥م، إذ يُعد من أفضل المؤلفات التي الفها ابن الآبار واعظمها منفعةً بل ويُعد كنزاً ثميناً لايستغنى عنه أي باحثٍ في التاريخ الأندلسي، ويتألف من جزأين، ويتضمن هذا المصدر التاريخي الكثير من التراجم والسير الذاتية لمجموعة متنوعة من الشخصيات البارزة في تاريخ الأندلس، بما في ذلك العلماء والخلفاء والوزراء والأمراء وقد أفاد هذا المصدر الدراسة في معظم فصولها الثلاثة.

**المراجع العربية**

**١. كتاب دولة الإسلام في الأندلس**

للمؤلف محمد عبد الله عنان يُعد هذا المرجع موسوعة تاريخية متكاملة ؛ نظراً لما يقدمه من معلومات شاملة ودقيقة، إذ تناول تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي وحتى سقوط الحكم الإسلامي في الأندلس، وقام المؤلف بتنظيم الكتاب في أربعة أقسام رئيسة، ويتميز هذا المرجع بتنوع المعلومات التي يقدمها فقد تناول المؤلف الكثير من المواقع والأحداث التاريخية المهمة في الأندلس التي وقع على إثرها حالات السبي والاستيلاء على المدن، وتتسم منهجية المؤلف بالدقة والاتساع في عرض الحوادث

التاريخية والتعليق عليها، وأحياناً نقدها بشكل علمي، كما يُعد هذا الكتاب من المراجع الأساسية والمحورية لدى الباحثين في مجال التاريخ الأندلسي ؛ نظراً لشمولية المعلومات التي يقدمها والمنهجية في تناول الموضوعات، وقد قدَّم هذا المرجع مساعدة كبيرة للدراسة في الفصول كُلها لاسيما الفصل الثالث إذ طرح في المدة التي تناولها الفصل الثالث (٤٨٤-٦٠٩هـ) الكثير من الحروب التي تضمنت مفردة السبي.

**٢. كتاب تاريخ الدولة الأموية في الأندلس التاريخ السياسي**

للمؤلف عبد المجيد نعنعي فقد تناول فتوحات المسلمين في شبه الجزيرة الأيبيرية ويُعد المرجع من المراجع البارزة والمهمة في مجال التاريخ الأندلسي، لاسيمّا الجانب السياسي منه، وقد تطرق المؤلف إلى الكثير من الحروب التي وقعت بين المسلمين والنصارى، لاسيما تلك الحملات التي قادها الخلفاء الأمويون في الأندلس ضد النصارى والتي كانت تسفر عن الكثير من السبي والغنائم، وقد اتسم هذا المرجع بدقة معلوماته وسعة مادته، وقد ألفَ المؤلف هذا الكتاب اعتماداً على مجموعة من المصادر العربية المهمة ابرزها البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي، والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني، مما أضفى على الدراسة درجة عالية من الدقة والشمولية وبالتالي، يُعد هذا المرجع ضرورياً ومهماً لأي باحث في التاريخ السياسي للأندلس، وقد أفاد الدراسة كثيراً لاسيما الفصلين الأول والثاني.

**الأطاريح والرسائل الجامعية**

**١. اطروحة الدكتوراه (جرائم النصارى في الأندلس (٩٢-٦٤٦هـ/٧١٠-١٢٤٨م))**

تتناول الأطروحة المقدمة من قبل الباحثة زهراء عبد الرزاق طاهر الحجاج، الموسومة "جرائم النصارى في الأندلس (٩٢-٦٤٦هـ/٧١٠-١٢٤٨م)"، دراسة معمقة للجرائم التي ارتكبت في سياق الحروب والنزاعات خلال تلك الحقبة الزمنية تتألف الأطروحة من أربعة فصول رئيسية، كل منها يعكس بعدًا معينًا من جوانب الجرائم في تلك الحقبة، يستهل الفصل الأول بمناقشة مفهوم الجرائم وأمتدادها التاريخي، وفي الفصل الثاني، تتناول الباحثة الجرائم العسكرية، مُستعرضةً حالات القتل والسبي والأسر والتدمير، و يمثل هذا الفصل نقطة محورية في الدراسة، إذ أفاد الدراسة بكافة فصولها إذ كان من المراجع المهمة للدراسة، أمَّا الفصل الثالث، فيركز على الجرائم الدينية، وأخيراً، يُعالج الفصل الرابع الجرائم الاجتماعية والاقتصادية، رغم الاستفادة الكبيرة

من الروايات العسكرية، التي تخص السبي، ويُلاحظ ميل الباحثة للاختصار في تناولها لهذهِ الروايات، الأمر الذي أثر سلباً على عمق التحليل وفهم الحادثة التاريخية، مما يستدعي مزيداً من البحث لاستكشاف الجوانب الغامضة من تلك الجرائم، وقد اعتمدت الباحثة في إعداد هذهِ الأطروحة على مجموعة متنوعة من المصادر التاريخية التي تُعد مرجعاً هاماً لفهم الأحداث التاريخية.

كما تُعدّ هذه الأطروحة من الركائز الأكاديمية البارزة في حقل الدراسات الأندلسية، لما تحمله من قيمة علمية لا يُستغنى عنها لكل باحث يتناول الصراع النصراني-الإسلامي في تلك الحقبة، فقد أسهمت في إماطة اللثام عن جملةٍ من الجوانب المغيبة في هذا الصراع، كاشفةً عما اقترفه النصارى من ممارسات قمعية وانتهاكات بحق المسلمين في الأندلس.

# التمهيـــــد

## التمهيد

### أولاً: الأسر والسـبـي بين اللغة والاصطلاح.

يُعَدُّ موضـوعُ السَّبْي من المواضيـع المهمـة التي ترتبـطُ ارتبـاطاً وثيـقاً بالحـروب والغـزوات العسكـرية، وقد حفلت المصادر التاريخيـة بالعديد من الروايـات التي تنـاولت السبي والممارسات التي اتّبعـها المنتصـرون في الحـروب تجاه السبايا، سـواءً بالعِتق، أو الزواج من النساء المسبِيّات، أو بيعهـنّ كالإمـاء وفقـاً للأنظمة السائدة آنـذاك، وممّا يجـدر التنـويه إليه، أنَّ هنـاك فرقاً كبيراً بين السبي والأسر ؛ ونظراً لأهمـية هذا الفرق، وضـرورة توضيحه في سياق هـذه الدراسـة، سنقـوم بتعـريف كلٍّ من الأسر لغـةً واصطـلاحاً، والسبي لغـةً واصطـلاحاً:-

#### ١- الأسر لغةً.

الأسر، بالفتح، تقول: أسرت الشيء أسرا، أي شددته وعقدته، ولذلك سمي الأسير أسيرا ومأسورا، لأنه يشد بالإسار، وهو الرباط، إما بحبل أو قد أو قيد، ويقال: اسرت الإكاف والسرج[١]، وأَسَرَه يَأْسِره أَسْراً وإِسَارةً شَدَّه والإِسَارُ ما شُدَّ به والجمع أُسُرٌ، والأَسِيرُ هو الأَخِيذُ وأن أصل الْأسر الْحَبْس وكل مَحْبُوس فَهُوَ أَسِير و الْأَسير هو المسجون[٢].

ويقَالُ للأَسير من العدوّ: أَسير لأَن آخِذَهُ يَستَوثِقُ مِنْهُ بالإِسار، وَهُوَ القِدُّ لِئَلَّا يُفلِت، يُجْمَعُ الأَسير أَسرى، وَمَنْ قرأَ أَسارى وأُسارى فَهُوَ جَمْعُ الْجَمْعِ، يُقَالُ: أَسير وأَسْرَى ثُمَّ أَسارى جَمْعُ الْجَمْعِ، أُسِرَ فلانٌ إِساراً وأُسِر بالإِسار، والإِسار الرِّباطُ، والإِسارُ الْمَصْدَرُ كالأَسْر، وجاءَ الْقَوْمُ بأَسْرِهم [٣].

#### ٢- الأسر اصطلاحاً.

يُعرَّف مفهـوم الأسر اصطلاحاً بأنَّـهُ الحالـة التي يتـم فيها القبـض على رجـال أهل الحرب، ويُعتـبر الأسر جزءًا مهماً من مفهـوم الغـنائم في الغزوات العسكرية، ويُميـز الفقهاء بين أنـواع الغنائم، حيث يُصنَّف الأسرى أنَّهـم أولئك المقاتلـون من الكفار الذين يُقبـض عليهم أحيـاءً من قِبَـل المسلمين خـلال الحروب والغزوات العسكرية[٤].

---

(١) ابن المرزبان، تصحيح الفصيح، ص٣٤٠.

(٢) البغدادي، غريب الحديث، ٣٠٨/٣؛ بن سيده، المحكم، ٨٥٣/٨.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ١٩/٤.

(٤) وزارة الاوقاف، الموسوعة الفقهية، ١٥٤/٢٤.

**١- السـبي لغةً.**

قـال الفـراهيـدي[١]: ( السبي معروف تسابَى القـوم سبَى بعضُـهم بعضاً وهـؤلاءِ سبي كثير وقد سبيتـهم سبيا وسباءً وسبت الجاريةُ قلبَ الفتى تَسبيهِ، أي ذهبتُ به والسابياء هي كالحِوَلاء من الناقة، فيها الولد وإذا كثُرَ نَسل الغَنَم سُمِّيتِ السابياءَ ويقعُ أسم السابياءِ على المالِ الكثير، والعددِ الكثير).

وسبي: السبي والسباء: الأسر معروفٌ سبَى العدوَّ وغيرَه سبيا وسباءً إِذَا أسره، فَهو سبي، وَكذلِك الأُنثى بِغَيْرِ هاءٍ من نِسوة سبايا والسبية المرأَةُ تُسبى و سبى غَيْرُ مَهْموزٍ إِذَا ملك، وسبَى إِذَا تمتع بجاريته شَبابَها كلّه، وسبى إِذَا استَخْفَى، واسْتَباهُ كَسباه، والسبي: الِأسم وتَسابَى القومُ إِذَا سبى بعضُهم بعضًا يُقالُ هؤُلاء سبي كَثِير، وَقد سبيتُهم سبياً وسباءً، وَ السبي والسبية والسبايا، ف السبي يعني النَّهْبُ وأَخْذُ الناسِ عَبيداً وَإِماءً، والسبيَة هي المرأَة المنهوبة [٢].

وسبي النساءُ، لأَنَّهُنَّ يَسبينَّ القلوبَ، أَو يُسبينَّ فيملكنَ، ولا يقالُ ذلك للرِجالِ، وتَسابَوْا سبيَ بعضُهم بعضاً سبى العدوَ سبياً وسباءً أسرهُ،كاستباه، فهو سبي وهي سبي أيضاً [٣]، والفقهاء يُطلقونَ لفظَ السبي على من يظفر بهِ الْمُسلمونَ حَياً من نساء أهل الحربِ وَأطفالهم ويخصصونَ لفظ الأسرى عِندَ مُقابلته بلفظِ السبايا بالرجال الْمُقاتلين، إذا ظفر الْمُسلمونَ بهم أحياءً[٤].

**٢- السـبي اصطلاحاً.**

أمَّا مفهوم السبي اصطلاحاً فأَنَّ الفقهاء في الغالب يخصون (السبي) بمن أخذه المسلمون من نساء وأطفال أهل الحرب [٥].

فيقولون مثلا: "الغنيمة تشتمل على أقسام: أسرى، سبي، أرضين، وأموال، فاما الأسرى فهم الرجال المقاتلون من الكفار إذا ظفر المسلمون بهم أحياء، وأما السبي فهم النساء والأطفال[٦].

(١) العين، ٣١٣/٧.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ١٤/ ٣٦٧- ٣٦٨.

(٣) الفيروزآبادى، القاموس المحيط، ١٢٩٣/١.

(٤) وزارة الاوقاف، الموسوعة الفقهية، ١٩٥/٤.

(٥) وزارة الاوقاف، الموسوعة الفقهية، ١٥٤/٢٤.

(٦) الماوردي، الاحكام السلطانية، ص١٣١؛ ابي يعلى، الاحكام السلطانية، ص١٤١.

يتضح ممـا تقـدم إنَّ هناك تمييـزاً مهماً بين مصطلحي "الأسر" و"السبي" في سياق الحروب، إذ أن مصطلح "الأسر" يُشير بشكل خاص إلى أسر الرجال خلال الحروب، في حين يُستخدم مصطلح "السبي" للدلالة على أسر النساء والأطفال في المعارك والغزوات العسكرية.

**ثانياً: الألفاظ المرادفة للسبي.**

إنَّ الباحث عن الالفاظ الدالة أو المرادفة للفظ السبي يجد صعوبة في التنقيب عنها، لقلة المصطلحات من جانب ومن جانب آخر لدقة المعاني التي تحملها إذ يتوارى معنى السبي بين طياتها ومن هذهِ المصطلحات:

أ- **جلب: الجِلَبُ**: ما يُجلبُ من السبي أو الغنم، والجمع أجلاب، و جَلْبَى وجُلَباء، والفعل يّجلبون، وعبدٌ جَليبٌ، وعبيد جلباء، إذا كانوا جِلبوا من أيامهم وسنتهم والجَلَبُ والجَلَبَةُ في جماعات الناس، والفعل أجلبوا من الصِّياحِ ونحوه والجَلوبةُ ما يُجلبُ للبيع نحو النابِ والفحلِ والقلوصِ، وأما كرامُ الإناثِ والفحُولةُ التي تُنتسل فليست من الجلوبة[1]، الجلب بفتح اللام، من جلب، أجلاب، وجلب الشئ أتى به من موضع لاخر[2] وَيُقالُ جَلَبْتُ الشيءَ جَلَبا، والمِجْلوبُ أيضاً: جَلَبٌ، والجَلِيبُ الذي يُجْلَبُ من بلد إلى غَيْرِهِ، وامرأَةٌ جَلِيبٌ في نِسوةٍ جَلْبَى وجَلائِبَ والجَلِيبةُ والجَلوبة ما جُلِبَ[3].

ب- **البردج**: قال: البردج السبي، معرب، وأَصله بالفارسية برده [4]، البردجُ: السبي دخيل [5]، والبردج ما سبيَّ من ذراري الروم وغيرها [6].

ت- **الأخذ والأخيذ**: الأَخْذ: هو خلاف العطاء، وهو أيضاً التَّناول، أخذت الشيء آخذُه أخذاً أي تناوَلته، وأخذَه ياخُذه أخذاً، والإِخذُ بالكسر: هو الإِسم قيلَ للأَسير: أَخيذٌ وَقد أُخِذَ فُلان إِذا أسر، وَمنهُ قولُهُ تعالى: ﴿**فاقتلوا الْمُشْرِكِين حَيْثُ وَجَدْتُموهُمْ وَخُذُوهُمْ**﴾[7]، معناهُ وَاللَّهُ أعلم: ائْسروهم، الفراء أكذبُ من أخيذ الجيش، وَهو الذي ياخذُه أَعداؤه فيسْتَدِلونه على قومه، فَهو يكذبهم بجهده، والأخيذُ: الماخُوذُ والأَخيذ: الرجل الأَسير، والأَخيذَةُ: المرأَة المسبية[8].

---

(١) الفراهيدي، العين، ٦/١٣٠؛ ابن منظور، لسان العرب، ١/٢٦٨.

(٢) قلعجي، معجم لغة الفقهاء، ١/١٦٥.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ١/٢٦٨.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ٢/٢١٣.

(٥) الفراهيدي، العين، ٦/٢٠٤.

(٦) ابن منظور، لسان العرب، ٢/٢١٣.

(٧) سورة التوبة، الآية ٥.

(٨) ابن منظور، لسان العرب، ٣/٤٧٢-٤٧٣.

ث- **الأسترقـاق**: وردت مفردة الاسـترقـاق فـي المعاجـم اللغوية مـن اسـترقَّ الشيءُ أي صار رقيـقـاً [١]، والاسترقـاق: ضـرب الرق عـلـى الادمي الحـر، ضرب الرق عـلـى أسـرى الحـرب أو السبي [٢]، إِذَا سُبِيَّ النِّسـاء وَالصبيـان صَارُوا رَقِيقـاً بنفسِ السبي [٣]، وقيـل: الرّقيـقُ أسم لِلجمـع واسـترقَّ المِملـوكَ فـرق: أَدخـله فـي الرق واسْـترقَّ مملـوكَه وأَرقه: وهـو نقيـض أَعتقـه [٤]، وجـاءت فـي مـوضع آخر بمعنى الضعف فـقيل وَرجل فـيهِ رق: أَي ضعف وترققتـه الجـارية: فتنته حَتى رق: أَي ضعف صبره[٥].

ج- **الْحَبْسُ**: وردت مفردة الحبس في الكثير من المعاجـم اللغوية من حبس: حَبَسَه يَحْبِسُه حَبْساً، فَهو محبوس وحبيس، وأحتبسهُ وحبسهُ: أَمسكهُ عن وجهه واحتبسه واحتبس بنفسه[٦]، هو جمع حبيس[٧]، قال سيبويه: حبسهُ ضبطهُ، واحتَبسه اتخذهُ حَبيساً، وقيل: احتباسك إِياه، اختصاصك بهِ نفسك، والحبس والمحبسة والمحبِسُ والمحْبَس: أسم الموضع [٨]، والحبس ضد التخليه، وَالمحبوس: الممنوعُ عَنِ التوجه حيث يشاء، فالحبس أَعم من السبي [٩].

ح- **النزع**: نـزعَ الشيءَ ينزعه نَزعـاً، فَهـو مـنـزوع ونزِيع، وانتـزعه فـانتزعَ: اقـتلـعهُ فـاقـتلـعَ، وفـرق سـيبويه بـيـن نزعَ وانتـزعَ فـقـال: انتـزعَ استلب، ونـزعَ: حَـول الشَّـيء عن مـوضِعـه وإِن كـان عـلى نحو الاستـلاب[١٠]، النزيعـة مـن النجـائب: التـي تجلـَب إلى غَـيْرِ بـلادهَـا[١١]، أي السـبـية التـي انتـزعت مـن أهـلها بـالـقـوة، والجـمـع: نـوازع وهي النزائـع، وأحـدتـها: نزيعـة[١٢].

يتضح لنا فـي ضوء ما تقدم أَنّ الالفاظ الدالة أو المرادفة للسبي حَمْ لمتْ هذا المعنى بين طياتها، أو أنَّـهُ كان جزءًا من معانيها المتعددة.

---

(١) اليمني، شمس العلوم، ٢٣٦٦/٤.

(٢) قلعجي، معجم لغة الفقهاء، ١/ ٦١.

(٣) وزارة الاوقاف، الموسوعة الفقهية، ١٦٠/٢٤.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ١٢٤/١٠.

(٥) بن سيده، المحكم، ١٢٧/٦.

(٦) بن سيده، المحكم، ٢٠٨/٣؛ ابن منظور، لسان العرب، ٤٤/٦.

(٧) ابن منظور، لسان العرب، ٤٥/٦.

(٨) بن سيده، المحكم، ٢٠٨/٣.

(٩) وزارة الاوقاف، الموسوعة الفقهية، ١٥٤/٢٤.

(١٠) ابن منظور، لسان العرب، ٣٤٩/٨؛ الزبيدي، تاج العروس، ٢٣٨/٢٢.

(١١) الزبيدي، تاج العروس، ٢٤٣/٢٢.

(١٢) بن سيده، المحكم، ص٥٢٦.

## ثالثاً: الجذور التاريخية للسبي.

إنَّ المتمعن في جذور سبي النساء عند العرب قبل الإسلام يلاحظ أنَّ السبي لم يكنْ بعيد الأمد عن ظهور الإسلام إذ يروي اليعقوبي في تاريخِهِ قائلاً:

((أن أول من سبى السبايا من العرب: هو سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان[1]، وكان أسم (سبا) عبد شمس، وهو أول من ملك ملوك العرب وسار في الأرض وسبا السبايا))[2].

### ١- سبي النساء عند العرب القدماء.

عرف السبي عند العرب قبل الإسلام؛ وذلك على أثر الحروب التي كانت تقع بين القبائل العربية آنذاك، وفي ذات السياق، ذكر أهل الأخبار أسم رجل قالوا إنه كان قائدًا من قادة الحارث بن أبي شمر[3]، ودعوه بالنعمان بن وائل بن الجلاح الكلبي [4]، وذكروا أنه أغار على بني فزارة [5]،

(١) سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان: وهو من كبار ملوك اليمن في الجاهلية، وقيل اسمه عبد شمس وقيل عامر، ويظن أنه كان في القرن العشرين قبل الميلاد، ملك صنعاء وما جاورها، ووصفه مؤرخوه بالشجاعة وعلوّ الهمة، وقالوا إنه طمح إلى إخضاع القبائل النائية، فقام بمحاربتها، وأولع بالعمران، فابتنى مدينة مأرب وفيها السد، وقالوا إن سبأ أول من خطب في الجاهلية، ولم تكن الخطابة على ملأ من الناس معروفة قبله، ويقال أنه أغار على بابل ففتحها وأخذ إتاوتها، وأنه أول من فتح البلاد وأخذ الإتاوات، وأعقب نسلا كثيرا، ولد لسبأ، حمير وكهلان وصيفيّ وبشر ونصر وأفلح وزيدان والعود ورهم وعبد الله ونعمان ويشجب وشداد وربيعة ومالك وزيد، فيقال لبني سبأ كلهم السبئيون، إلا حميرا وكهلان فإن القبائل قد تفرقت منهما، ومن قال إنه سبئي فليس بحميري ولا كهلاني، وإنما هو من أبناء سبأ الآخرين. الزركلي، الاعلام، ٧٦/٣.

(٢) تاريخ اليعقوبي، ١٩٥/١.

(٣) الحارث ابن أبي شمر الغساني: وهو الأعرج الذي وجه إلى المنذر بن ماء السماء مئة فارس، فيهم الشاعر لبيد بن ربيعة، وأمره عليهم، فصاروا إلى عسكر المنذر، وأظهروا أنهم أتوه داخلين في طاعته، فلما تمكنوا منه قتلوه وركبوا خيلهم فقتل أكثرهم ونجا لبيد، حتى أتى ملك غسان فأخبره الخبر، فحمل الغسانيون على عسكر المنذر فهزموهم، وهو يوم حليمة، وكانت حليمة بنت ملك غسان، وكانت طيبت هؤلاء الفتيان حين توجهوا وألبستهم الأكفان والدروع وبرانس الأضريج. علي، المفصل، ٢٣٢/٥.

(٤) النعمان بن وائل بن الجلاح الكلبي: لم أعثر على ترجمة له في كتب التراجم.

(٥) بني فزارة: هم بطن من ذبيان من غطفان من القحطانية، وهم بني فزارة بن ذبيان، وذبيان تقدم نسبه عند ذكره في حرف الذال المعجمة، كان له من الولد عدي ومازن، قال في العبر، وكانت منازل فزارة بنجد ووادي القرى. القلقشندي، نهاية الأرب، ص٣٩٢.

وبني ذبيان[1]، فاستباحهم، وأخذ سبياً من غطفان وأخذ عقرب[2]، بنت النابغة الذبياني فلمَّا سألها انتسبت إلى أبيها، فمن عليها ثم أطلق له سبي غطفان [3].

كذلك ذكر المؤرخون ما وقع بين بني فزارة وبني تيم[4]، في يوم جزع ظلال أو طلال، والذي انتصر فيه بني فزارة، حيث أغاروا على بني التيم، فامعنوا فيهم قتلاً، وأخذوا منهم أعداد هائلة من السبي، واحتفلوا بانتصارهم هذا بشرب الخمر، وكان نساء تيم ومن كان معهن من رجالهم ينقلون زقاق الخمر إليهم ثم مضى زمن فردّ بنو فَزارة السبي إلى تيم، وأطلقوا الرجال بغير فداء[5].

ومن العادات المالوفة بين القبائل العربية قبل الإسلام الزواج من النساء المسبيات إذ إنَّ الطرف المنتصر في الحرب والذي حصل على السباء كان له الحق في الزواج من السبايا شِئْنَ أم أبيْنَ، وكان يطلق على المرأة المسبية أسم النزيعة أي التي أنتزعت من أهلها كرهاً وتُعد ملكاً خاصاً لسيدها إن أراد تزوجها وإن أراد زوجها لغيره او باعها بيع العبيد ويتم هذا الزواج بدون مهر[6].

أما بخصوص ظاهرة وأد البنات فأنها كانت منتشرة في أوساط المجتمع العربي قبل الإسلام وقد أشار بعض المؤرخين إلى أنَّ هذهِ الظاهرة ارتبطت بتعرض هؤلاء البنات لعمليات السبي، ومن الروايات التاريخية

(١) بني ذبيان: هم قوم ينتسبون إلى بن بغيض بن ريث ابن غطفان، وغطفان يأتي نسبه عند ذكره في حرف الغين المعجمة، كان له من الولد سعد وفزارة وهازية، قال أبو عبيد، وهم بطن من بني ثعلبة بن سعد وعامر وهم في بني يشكر علنسب، وسليمان وهم في بني عبس على نسب يقال لهم بنو ملاص، وقال في العبر، كان له من الولد مرة، وثعلبة، وفزارة. القلقشندي، نهاية الأرب، ص٢٥٥.

(٢) لم أعثر على ترجمة او تعريف لعقرب بنت النابغة الذبياني سوى ما تم العثور على ترجمة والدها النابغة الذبياني، هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبيانيّ الغطفانيّ المضري ويكنّى أبا أمامة، ويقال أبا ثمامة، وأهل الحجاز يفضّلون النابغة وزهيرا وهو شاعر جاهلي من الطبقة الأولى ومن أهل الحجاز وكانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها، وكان الأعشى وحسان والخنساء ممن يعرض شعره على النابغة، وسمى بالنابغة الذبياني. الدينوري، الشعر والشعراء، ١/ ١٥٦،١٦٢.

(٣) الأزدي، الاشتقاق، ص٤٥١؛ علي، المفصل، ١٢٤/٦.

(٤) بني تيم: وهم بطن من ضبة من القحطانية، وقيل انهم بطن من طابخة من العدنانية، وهم بنو تيم بن عبد مناة بن أد بن طابخة، بطن من طي من القحطانية، وهم تيم بن ثعلبة، وقيل انهم بطن من قريش من بني مرة بن كعب، وهم بنو تيم بن مرة بن كعب بن لوي بن غالب بن فهر بن مالك بن النظر. القلقشندي، نهاية الأرب، ص١٨٩-١٩٠.

(٥) علي، المفصل، ٤٨/١٠.

(٦) برو، تاريخ العرب، ص٢٦٤؛ علي، المفصل، ٢٦٨/٥؛ لجنة التاريخ، تاريخ الإسلام، ص٧١.

التي يُستشهد بها المؤرخون، تلك المتعلقة بغزوة النعمان بن المنذر (٥٨٣-٦٠٥م)[١]، ملك الحيرة، على بني تميم[٢]، بسبب امتناعهم عن دفع ضريبة الأتاوة المفروضة عليهم فقد شنّ حملة عليهم أسفرت هذهِ الحملة عن سبي النساء والأطفال من قبيلة بني تميم، بعد ذلك، تم التفاوض معه حول مصير السبايا، وقد أسفرت المفاوضات بأنْ أصدرَ النعمان حكماً يقتضي بترك الخيار للنساء المسبيات بين العودة الى أزواجهنَّ أو التبعية لسابيهنَّ وعندما طُرح هذا الخيار، اختلفت النساء في قراراتهنَّ، حيث اختارت إحداهنَّ، وهي بنت لقيس بن عاصم المنقري[٣]، سابيها على زوجها الأمر الذي أدى إلى ردود فعل قوية من قبل قيس بن عاصم، إذ نذر أنْ يدفن كل بنت تولد في التراب، مما أدى إلى وأد نحو عشرة بنات منه[٤].

وقد أشار القرآن الكريم إلى ظاهرة الوأد فقال عزّ وجل: ﴿**وَإِذَا بُشِّرَ أَحدهُمْ بالأُنثَى ظَلَّ وَجهُهُ مُسودًّا وَهو كَظِيمٌ تَوارَى من القومِ من سوءِ ما بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ على هونٍ أَمْ يَدُسُّهُ في التُّرَابِ أَلاَ ساء ما يَحْكُمونَ**﴾[٥]، ويظهر من الآية الكريمة أنّ الدافع للوأد هو العامل الاجتماعي إذ تضمنت وصفا للحالة النفسية والحزن الذي يشعر به الأب عند إخباره بالمولودة [٦]، كذلك قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا الْموؤُودَةُ سُئِلَتْ بايِّ ذَنبٍ قتلَتْ**﴾[٧]، وكان واحداً من الأسباب الرئيسة لممارسة ظاهرة وأد البنات عند العرب قبل

(١) النعمان بن المنذر: وهو النعمان ابن المنذر بن النعمان ابن المنذر بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر، ملك الحيرة، ذلك الملك في نسب أهل اليمن وعلمهم. ابن عساكر، تاريخ دمشق،٢١٩/٧٢.

(٢) بني تميم: وهم بطن من طابخة وأن طابخة هم من العدنانية وهم بني تميم بن مر بن أد بن طابخة، وطابخة يأتي نسبه عند ذكره في حرف الطاء المهملة، والتميم في اللغة الشديد، وكان لتميم من الولد زيد مناة، وعمرو بن الحارث، قال في العبر: وكانت منازلهم بأرض نجد من هنالك على البصرة واليمامة، وامتدت إلى الغري من أرض الكوفة، ثم تفرقوا بعد ذلك في الحواضر، ولم تبق منهم بادية، وورث مساكنهم غزية من طي، وخفاجة من بني عقيل بن كعب، ومن بطونهم حنظلة، وبنو العنبر. القلقشندي، نهاية الأرب، ص١٨٨.

(٣) قيس بن عاصم المنقري: هو قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، وهو الذي قدم فِي وفد بني تميم على رَسُول اللَّهِ (ﷺ)، وذلك فِي سنة تسع، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: هَذَا سيد أهل الوبر، وكان قيس بْن عاصِم قد حرم على نفسه الخمر فِي الجاهلية. ابن سعد، الطبقات، ٢٦/٧؛ البغدادي، معجم الصحابة، ٣٤٨/٢.

(٤) علي، المفصل، ٩٠/٩؛ الساعدي والدراجي، سبي النساء، ص٢٧١.

(٥) سورة النحل، الآية ٥٨-٥٩.

(٦) لجنة التاريخ، تاريخ الإسلام، ص٧٣.

(٧) سورة التكوير، الآية ٨.

الإسلام هو الخوف مِنْ أن تقع البنات في السبي أثناء الغزوات العسكرية، وقد علق جواد علي[1]، عن ذلك قائلاً: ((هذا صنيع أهل الجاهلية كان أحدهم يقتل ابنته مخافة السباء والفاقة))، وقد خصها الله بأيات قرآنية كقوله تعالى: ﴿**قد خَسر الذين قتلوا أَوْلادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ علمٍ**﴾[2].

وأوعزَ القرطبي[3]، أسباب الوأد لخصلتين: إحداهما، كانوا يقولون: إن الملائكة بنات الله، فالحقوا البنات به، أما الثانية، فهي أمَّا مخافة الحاجة والإملاق وأمَّا خوفاً من السبي والاسترقاق، وذُكر أن سنين شديدة كانت تنزل بالناس تكون قاسية على أكثرهم، لا سيما على الفقراء إذ لم يكن الوأد في الجاهلية مقتصراً على البنات بل وجد من العرب من كان يقدم على قتل الأولاد الذكور، خشية الفقر، الأمر الذي نهى عنه القرأن الكريم وشدد في تحريمه كما هو في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا**﴾[4] لذلك فأن الخوف من العار الذي تجلبه البنت إذا تعرضت للسبي كان واحداً من الأسباب التي تدفع الأباء للأقدام على وأد بناتهم[5].

**٢- السبي عند العراقيين القدماء.**

أستُخدم السبي من قِبل ملوك العراق القدماء في الحروب التي خاضوها من أجل اخضاع القبائل المناوئة لهم، فقد قام الملك الآشوري شلمانصر الاول (١٢٧٤-١٢٤٥ ق.م)[6]، ملك بابل الذي أخذ جميع ما وجد في بيت الرب من الذهب والفضة والآنية وحاصر بعض مدنهم وفتحها وقتلَ العديد من الناس وسبي العشرة الأسباط وفرقهم في جبال اشور وأراضي بابل وبلاد الفرس[7].

(١) المفصل، ٩/٩٤.

(٢) سورة الانعام، الآية ١٤٠.

(٣) الجامع، ١٩/ ٢٣٢.

(٤) سورة الأسراء، الآية ٣١.

(٥) علي، المفصل، ٩/٨٨.

(٦) شلمانصر الاول: من أشهر ملوك آشور اشتهر بفتوحاته الخارجية حيث تمكن من توسيع بلاد آشور وقاد الحملات العسكرية في الجهات الشمالية والشمالية الشرقية وتمكن من القضاء على ما تبقى من دولة الميتانيين وأسس عاصمة جديدة لآشور تكون عاصمة عسكرية بالدرجة الاولى، ولكي تكون مركز ادارة الدولة سماها كالح النمرود، حاليا تقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة على بعد ٣٥كم جنوب مدينة الموصل. ينظر، الجنابي، تاريخ الشرق، ص١٤٦؛ الفتيان، دراسات، ص١٥٦.

(٧) العبري، تاريخ مختصر، ص ٣٧.

كما قامت قبيلة ثمود التي كانت على مقربة من ديار عاد وأنهم كانوا في جملة الشعوب التي حاربت الآشوريين في عهد سرجون الثاني (٧٢١ – ٧٠٢ ق.م)[١]، وقد ذُكر هذا الملك في النصوص التاريخية التي سجلها، أنه تغلب عليهم، وأنه أجلاهم من مواطنهم إلى السامرة [٢]، ولم يكن أولئك الثموديون الذين حاربوه من أبناء الساعة، بل لابدّ أنَّ يكون لهم أسلاف عاشوا قبلهم قرون عدة [٣].

كما ذكرت الرواية التاريخية إنَّ الملك البابلي نبوخذ نصر(٦٥٢– ٦٠٥ق. م)[٤]، أيضاً قام بحملاتٍ عدة على اليهود، فاستباحهم بين الحرق والقتل واستاق رجالهم ونساءهم أسراً وسبياً، فبعد ما انتصر نبوخذ نصر في قرقميش[٥]، أستولى على يهوذا [٦]، وجعلها ولاية تابعة لبابل زحف نبوخذ نصر بجيوشه على فلسطين وأستولى على أورشليم[٧]، فقتل وهجر وسبي الناس، وعلى رأسهم ملك اورشليم وعدة آلاف من جنوده وأهل دولته وعاد نبوخذ نصر إلى بلاده ومعه عشرة آلاف أسير من

(١) سرجون الثاني: هو ملك أشور، الذي تولى زمام الحكم عقب وفاة ابيهِ شلمانصر الخامس ودام حكمهِ لمدة سبعة عشر عام قضى معظمها في الحروب و الفتوحات العسكرية، وقد اسس سرجون الثاني سلالة حاكمة جديدة استمرت في حكم بلاد آشور حتى نهايتهم الساسية عام ٦١٢ق.م، وكان اول عمل قام به سرجون الثاني هو اكمال ما بدأه والده في حملتهِ على اسرائيل، فقد تمكن من محاصرة مدينة السامرة وفتحها والقضاء على مملكة اسرائيل في عام ٧٢١ق.م، كما أنه أسر احسن رجال اسرائيل الذين قدر عددهم بـ ٣٠ ألف إسرائيلي ونقلهم إلى ميديا، فتلاشت مملكة إسرائيل إلى الأبد. ينظر، الشيخلي، الوجيز في تاريخ العراق القديم، ص ١٩٣؛ عصفور، معالم تاريخ الشرق، ص ٢٢٠، ٢٨٩،٤٠٩؛ النجفي، معجم المصطلحات، ص١٨٠.

(٢) السامرة: هي مدينة سميت بأسم قبيلة من بني اسرائيل، وإليهم ينسب السامري، سكنوا نابلس من فلسطين، ويسمون أيضا بالسمرة بوزن الشجرة، يشاركون اليهود في بعض عقائدهم، ويخالفونهم في بعضها، ويعتبرون من أهل الكتاب. قلعجي و قنيبي، معجم لغة الفقهاء، ص٢٣٩.

(٣) علي، المفصل، ٣٢٦/١،٣٢٥.

(٤) نبوخذ نصر: هو الملك الثاني في السلالة البابلية الحديثة، ومعنى اسمه نابو_كدورو_اوصر الاله نابو يحمي ذريتي، تولى الحكم عقب وفاة والده نبوخذ بلاصر عام ٦٠٥ق.م، حيث كان يحارب انذاك على رأس الجيوش الزاحفة في فلسطين وعند الحدود المصرية، حكم نبوخذ نصر فترة طويلة نسبياً واستطاع خلالها أنَّ يعيد المجد والهيبة للأمبراطورية البابلية ويسترجع سلطانها. ينظر، الشيخلي، الوجيز في تاريخ العراق القديم، ص٢٠٥؛ النجفي، معجم المصطلحات، ص١٤٤.

(٥) قرقميش: هي كركميش الواردة في التوراة على شاطئ الفرات وبها نحو ٥٠٠ يهودي. التطيلي، رحلة بنيامين، ص٢٩٠.

(٦) يهوذا: لم أعثر على ترجمة لها في كتب البلدان.

(٧) أورشليم: من أسماء القدس الشريف في فلسطين، والاسم من أصل عربي كنعاني، بمعنى الإله سالم، أي إله السّلام عند الكنعانيين. شراب، المعالم الاثيرة، ص٣٧.

اليهود وكان فيهم ألف من الصناع وأمر نبوخذ نصر بنفي الأسرى جميعاً إلى بابل وأطلق اليهود على هذا النفي أسم السبي البابلي الأول الذي حدث في سنة ٥٩٧ق.م، وقد استقرت اوضاع المملكة بعد هذا السبي لمدة طويلة نسبياً [١].

ثم قام نبوخذ نصر بحملة ثانية فأستولى مرة أخرى على أورشليم وحرقها عن آخرها وهدم هيكل سليمان واخرج من هناك جميع خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك وقام بكسر كل اواني الذهب التي عملها سليمان وقتل وأسر جميع سكان المدينة تقريباً وجميع الرؤساء والجبابرة وكل الصناع والاقيان كما سبى ام الملك ونساءه وجواريه وساقهم أمامه إلى بابل [٢].

لعل في ذلك دليل واضح على أنَّ نبوخذ نصر قام بأسر الرجال وسبي النساء والذراري اي أنَّهُ قام بالأسر والسبي بنفس الوقت.

**٣- السبي عند الأحباش.**

مارس الأحباش السبي مع النساء والذراري وقيل بشأن ذلك لما قتلَ ذُو نواس[٣]، ملك حمير أهل اليمن في الأخدُود لِأَجل العودة عَن النصرانية، أَفلتَ منهم رجُل يُقال لهُ: دَوس ذُو ثعلبان[٤]، فقدمَ على قيصر ملك الروم فاخبره بما فعله ذو نؤاس بأهل ملته فارسل قيصر ملك الروم إلى النجاشِي[٥]، ملك الحبشة[٦]، يطلب منه نصرتهم [٧].

---

(١) ول ديورانت، قصة الحضارة، ٣٥٧/١؛ صالح، الشرق الأدنى القديم، ص٥٤٦؛ النجفي، معجم المصطلحات، ص١٤٤.

(٢) ول ديورانت، قصة الحضارة، ٣٥٧/١-٣٥٨؛ صالح، الشرق الأدنى القديم، ص٥٤٧؛ عصفور، معالم تاريخ الشرق، ص٢٩١.

(٣) ذُو نواس: هو ذُو نواس بن زرعة بن نبع الأصغر ابن حسان بن كليكرب، وهو الذي قام بحرق نصارى نجران أصحاب الأخدود. ينظر، المسعودي، مروج الذهب، ٦٢/٢.

(٤) دَوس ذُو ثعلبان، شخصية مسيحية كان لها دور كبير في تحريض قيصر الروم على احتلال اليمن نتيجة قيام ملكها ذو نؤاس بغزو نجران وقتل المسيحين وهدم الكنائس.ينظر، الدينوري،الاخبار الطوال، ص ٦٢؛ الأصفهاني، الاغاني، ١٩٣/١٧.

(٥) النجاشي: هو أصحمة بن أبحر النجاشي، ملك الحبشة واسمه بالعربية عطية، والنجاشي لقب له، اسلم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وحسن إسلامه ولم يهاجر ولا له رؤية فهو تابعي من وجهٍ، صاحب من وجهٍ، توفي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم فصلى عليه بالناس صلاة الغائب، ونقل بعض العلماء أن ذلك كان في شهر رجب سنة ٩هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء ٤٢٨/١-٤٤٣.

(٦) الحبشة: هي أرض واسعة شمالها الخليج البربري، وجنوبها البر، وشرقها الزنج، وغربها البجة، الحر بها شديد جداً، وسواد لونهم لشدة الاحتراق، وأكثر أهلها نصارى يعاقبة، والمسلمون بها قليل، وهم من أكثر الناس عدداً وأطولهم أرضاً، لكن بلادهم قليلة وأكثر أرضهم صحارى لعدم الماء وقلة الأمطار، وطعامهم الحنطة والدخن، وعندهم الموز والعنب والرمان، ولباسهم الجلود والقطن. القزويني، آثار البلاد، ص٢٠.

(٧) ابن الاثير، الكامل، ٣٩٣/١.

فلمَّا قدم دوس ذو ثعلبان بكتاب قيصر على النجاشي صاحب الحبشة بعث معه سبعين ألفاً من الحبشة وأمر عليهم رجلاً منهم من أهل الحبشة، يقال له ارياط[1]، وعهد إليه: إن أنت ظهرت عليهم فأقتل ثلث رجالهم، واخرب ثلث بلادهم، واسبي ثلث نسائهم وأبنائهم[2].

فخرج ارياط وجنوده معه، وفيهم أبرهة الأشرم[3]، فركب البحر ومعه دوس ذو ثعلبان، حتى نزلوا بساحل اليمن، وسمع بهم ذو نواس فجمع إليه حمير ومن أطاعه من قبائل اليمن، فاجتمعوا إليه على اختلاف وتفرق؛ لانقطاع المدة وحلول البلاء والنقمة، فلم يكن له حرب غير أنه ناوش ذو نواس شيئاً من قتال، ثم انهزموا، ودخلها ارياط بجموعة، فلمَّا رأى ذو نواس ما رأى مما نزل به وبقومه وجه فرسه إلى البحر، ثم ضربه فدخل فيه فخاض به حتى أفضى به إلى غمره، فاقحمه فيه، فكان آخر العهد به ووطيء ارياط اليمن بالحبشة، فقتل ثلث رجالها، وأخرب ثلث بلادها، وبعث إلى النجاشي بثلث سباياها ثم أقام بها، قد ضبطها وأذلها، فقال قائل من أهل اليمن، وهو يذكر ما ساق إليهم دوس ذو ثعلبان من أمر الحبشة، فقال: لا كدوس ولا كاعلاق رحله يعني ما ساق إليهم من الحبشة، فهي مثل باليمن إلى اليوم [4].

**٤- السبي عند اليونان.**

لم يكن اليونان بعيدين عن أتخاذ السبي ضد أعدائهم وخصومهم في الغزوات والمعارك العسكرية خصوصاً مع اليهود فقد تم سبيهم من قبل العديد من ملوك اليونان، وقيل عندما كان الفرس قد أستولوا على الشام ومصر اعتزم فيلفوش [5]، على غزو الشام، فأغتاله في طريقه بعض اللطينيين فتولى من بعده

(١) أرياط بن أصحمة: وهو الذي ارسله النجاشي لمحاربة ذي نواس فتمكن من التخلص منه وملك اليمن عشرين سنة، ثم وثب عليه أبرهة الأشرم أبو يكسوم فقتله وملك اليمن. المسعودي، مروج الذهب، ٦٢/٢.

(٢) الطبري، تاريخ، ١٢٥/٢؛ ابن الاثير، الكامل، ٣٩٣/١.

(٣) أبرهة الأشرم: أبو يكسوم سار بأصحاب الفيل إلى مكة لإخراب الكعبة وذلك لأربعين سنة خلت من ملك كسرى أنو شروان. المسعودي، مروج الذهب، ٦٢/٢.

(٤) الطبري، تاريخ، ١٢٥/٢.

(٥) فيلفوش: أول ملوك اليونان ممن سماه بطليموس في كتابه فيلبس، وتفسيره محب الفرس، وقيل إن اسمه يابس وقيل فيلقوس. المسعودي، مروج الذهب، ص٢١٧.

ابنه الإسكندر الأعظم[١]، فاستمر على مطالبة بلاد الشام، فزحف إليها وأستولى عليها وفتح بيت المقدس[٢]، وقرب فيه القربان وذلك لعهد مائتين وخمسين من فتح بخت نصر[٣]، إياها، وامتعض أهل فارس لانتزاعه إياها من ملكتهم، فزحف إليه دارا الثالث (٣٣٥-٣٣١ق.م) [٤]، في ستين ألفاً من الفرس ولقيه الإسكندر في ستمائة ألف من قومه فغلبهم وفتح كثيراً من مدن الشام ورجع إلى طرسوس[٥].

تقدم إليه دارا بقواته ولقيه عليها فهزمه الإسكندر وافتتح طرسوس ومضى وبنى الإسكندرية[٦]، ثم تقاتل مع دارا فهزمه وقتله وتقدم إلى فارس فملك بلادها وهدم مدينة الملك بها وسبى أهلها[٧].

تصاعدت الحملات العسكرية ضد اليهود لاسيمَّا بعد وفاة الملك الأسكندر الأعظم إذ سُبيَّ اليهود من قبل ملوك اليونان إذ قاموا بغزو اليهود وقتلهم وسبيهم وتخريب مدنهم[٨]، إذ لم يبقَ حجراً

(١) الإسكندر الأعظم: أنه الإسكندر بن فيلبس بن مصريم بن هرمس بن هردوس ابن ميطون بن رومي بن نويط بن نوفيل بن رومي بن ليطي بن يونان بن يافث بن نوح ونسبة قوم أنه من ولد العيص بن إسحاق بن إبراهيم ومنهم من رأى أنه الإسكندر بن يونه بن سرحون بن رومي بن قرمط بن نوفيل بن رومي بن الأصفر بن اليغز بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم. المسعودي، مروج الذهب، ٢١٨/١.

(٢) بيت المقدس: وهي من المدائن العظيمة القديمة، وبها قبور الأنبياء، صلوات الله عليهم، وآثارهم، وبعدها عن خط المغرب ست وخمسون درجة، وذلك من الأميال ثلاثة آلاف وستمائة وستة وتسعون ميلا، وبعدها عن خط الاستواء في جهة الشمال، اثنتان وثلاثون درجة، وذلك من الأميال، الفان ومائة واثنا عشر ميلا، وهي جليلة، وماؤها من الأمطار، وخارجها بساتين وكروم ومزارع وأشجار وزيتون. المنجم، آكام المرجان، ص٦١٥.

(٣) بخت نصّر: وهو الملك البابلي الذي دخل دمشق ومضى منها إلى بيت المقدس فخرّبها وسبى أهلها وحملهم إلى بابل وقيل إنه آمن بعد ذلك كان من قصة بخت نصر أنه كان يتيما بأرض بابل لا يؤبه له. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٣٤٢/٧١.

(٤) دارا الثالث: وهو دارا بن دارا بن إسفنديار بن يستاسف بن بهراسف والفرس تسمى دارا هذا باللغة الأولى من لغاتهم داريوس، وهو الذي قتله الإسكندر بن فليبس المقدوني، وكان ملكه إلى أن قتل ثلاثين سنة. المسعودي، مروج الذهب، ١٧٧/١.

(٥) طرسوس: مدينة بين انطاكية وحلب مدينة جليلة سميت بطرسوس بن الروم بن اليقن بن سام بن نوح، عليه السلام، قالوا لما وصل الرشيد إليها جدد عماراتها وشق نهرها، ولها سور وخندق. القزويني، آثار البلاد، ٢١٩/١.

(٦) الاسكندريّة: مدينة على شطّ البحر كثيرة الرخام فى الفرش والابنية والعمد وبها منارة قد أسّست فى الماء من صخر رفيع السمك جدّا تشتمل على زيادة من ثلاث مائة بيت لا يصل المرتقى اليها الّا بدليل ويسمّى ما علا من النيل عن الفسطاط الصعيد وما تسفّل منه الريف ومن حدّ الفسطاط فى جنوبىّ النيل ابنية عظيمة يكثر عددها مفترشة على سائر الصعيد تدعى الاهرام. الاصطخري، المسالك والممالك، ص٥١.

(٧) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ٢٢٢/٢.

(٨) المقدسي، البدء والتاريخ، ٢١٠/٣.

علـى حجر واستمـر الخراب إلى أن قـام الإسـلام وهـو إحـدى المـرتيـن اللتيـن وعـد الله خرابه [1]، الأمر الذي جسده الله سبحان وتعالى قائلاً: ﴿**وَقَضَيـنـا إلى بـني أسـرائِيلَ فـي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنّ فـي الأَرْضِ مـرتَيـن وَلَتَعلنّ عـلـواً كَبـيراً**﴾[2]، والعلـو هنـا هـو التمـادي فـي الظلم، وقـد اعتبـرت التـوراة مـا حل بـاليهـود حيـنذاك عقـابـاً لهم عـلـى تمـاديهم فـي عصيـان الرب حتى ثار غضبه عـلـى شعبه[3].

**٥- السبـي عند الـفـرس.**

لم يكـن الـفـرس بـعيديـن عن السبـي إذ عـرفـوه ومـارسـوه أيضـاً فعـلـى إثر مـا قـام به سـابور بـن اردشير[4]، حيث قـام بغزو بـلاد الروم وتمكـن مـن فـتح بـلدان عدة وأسـر لهم مـلكـاً بـانطـاكية[5]، وقـام بسبـي الالاف مـن النسـاء[6]؛ لـذلك قـام ببنـاء مـدينـة جنديسـابور[7]، ليسكـنهم بها [8].

كمـا أنَّ انتصارات الحـرب الفـارسية الثانية (٥٤٠-٥٦٢ ق.م)، التـي قضت مضجع كسرى انـوشروان (٥٣١-٥٧٩م)[9]، فعندمـا جـاءَه رسُـل الـقـوط يحثـونه عـلـى الـقـتال تبنى فكرة الحرب فجـهز جيشـاً كثيفـاً

(١) المقدسي، البدء والتـاريـخ، ٢١١/٣.

(٢) سورة الاسراء، الآية ٤.

(٣) صـالح، الشرق الأدنى القديم، ص٥٤٧.

(٤) سابور بن أردشير: احد ملوك الفرس ملك بلاد فارس لمدة ثلاثاً وثلاثين سنة، وكانت له حروب مع كثير من ملوك العالم، وبنى كوراً، ومصر مدناً نسبت إليه، كما نسب من الكور والمدن إلى آبائه، والعرب تلقبه سابور الجند. المســـــــعودي، مروج الذهب، ١٩٠/١.

(٥) أنطاكية: مدينة عظيمة من أعيان المدن على طرف بحر الروم بالشام موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء، وفي داخلها مزارع وبساتين وانها بنتها انطاكية بنت الروم بن اليقن بن سام بن نوح عليه السلام، ذات سور وفصيل، ولسورها ثلاثمائة وستون برجاً، يطوف عليها أربعة آلاف حارس من عند صـــــاحب القسطنطينة، يضمنون حراستها سنةً ويستبدل بهم في السنة الثانية، وسورها مبني على السهل والجبل من عجائب الدنيا. القزويني، آثار البلاد، ١٥٠/١.

(٦) ديورانت، قصـة الحضارة، ٢٢٤/٢؛ الساعدي والدراجي، سبي النساء، ص٢٦٧.

(٧) جُنديسابُورُ: مدينة بخوزستان بناها سابور بن أردشير فنسبت إليه وأسكنها سبي الروم وطائفة من جنده. الحموي، معجم البلدان، ١٧٠/٢.

(٨) اليعقوبي، تـاريـخ،١/ ١٥٩؛ الحموي، معجم البلدان،١٧٠/٢؛ ابن الأثير، الكامل، ٣٨٧/١؛ الساعدي والدراجي، سبي النساء، ص٢٦٧.

(٩) كسرى انوشروان، هو أنوشروان بن قباذ بن فيروز ملك بعد ابيه ثمانياً وأربعين سنة، وقيل، سبعاً وأربعين سنة وثمانية أشهر وقد كان قباذ خلع من ملكه وأجلس بدله أخ له يقال له جاماسب نحواً من سنتين. المسعودي، مروج الذهب، ص٢٠١.

وأغار فجأة على سورية واحتل ثغورها على الفرات وقام عساكره بتخريب بيوتهم ونهب أموالهم وسبي نساءهم ورجالهم وذراريهم وذلك بعد ما اباح لهم ذلك إذ كانت تلك رغبته الاساسية [١].

ثم تقدم نحو منبج[٢]، فاشترى أهلها الأمان بألفيء ونهض كسرى إلى انطاكية وكان منذ أنَّ دخلها قد باشر بتحصينها وترميم اسوارها وقلاعها وكان موقع انطاكية عند العاصي، بما يحيط بها من صخور وحواجز طبيعية اخرى فضلاً عن الحصون، ولم يكن في جهاز الدفاع عنها إلا ثغرة واحدة عرفها جرمانوس واراد تلافيها [٣]، غير أنَّ قادة الجيش الذين كانوا حوله اشتد بهم الخوف لدى وصول كسرى فهربوا وهب الأهلون لجمع المال يشترون به الأمان من العدو، ولكن وفداً أمبراطورياً وصل إلى المدينة وقال: لا يليق بالحاضرة الثانية في الامبراطورية أنَّ تشتري أماناً من غزاتها، فعزمت المدينة على المقاومة فضرب كسرى عليها الحصار، ولم يلبث أن اهتدى إلى الثغرة في السور فدخل منها فدافع الأنطاكيون ما وسعهم الامر ثم فروا إلى دفنة يحتمون بها، فسيطر كسرى على انطاكية وأباحها للنهب والحريق ثم انحدر إلى سلوقية [٤]، وذبح عند شاطئها ضحية للشمس ومنها سار إلى ابامية، فدخلها وسلب كنيستها ونهب الدور والمباني وكان الوفد الامبراطوري قد فاوضه بالكف عن القتال لقاء قدر من المال يدفع اليه في كل سنة، فقبل كسرى وأرتد عبر الفرات بألوف الأسرى الذين كانوا تحت سيطرته بما فيهم النساء والرجال والأطفال إلى عاصمته طيسفون[٥]، وبنى لاولئك الأسرى مدينة خاصة سماها انطاكية كسرى، وفي سنة ٥٤١م.، واصل كسرى هجومه على بعض مدن القوقاز، فأحرق ودمر وسبي المدن[٦].

(١) رستم، الروم في سياستهم، ١/١٨٨-١٨٩.

(٢) منبج: وهي مدينة كبيرة واسعة ذات خيرات كثيرة وأرزاق واسعة في فضاء من الأرض، كان عليها سور مبنيّ بالحجارة محكم، بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ، وبينها وبين حلب عشرة فراسخ هي بلد قديم، أول من بناها كسرى لما غلب على الشام وسماها من به أي أنا أجود فعرّبت فقيل له منبج، مدينة منبج طولها إحدى وسبعون درجة وخمس عشرة دقيقة. الحموي، معجم البلدان، ٥/٢٠٥-٢٠٦.

(٣) رستم، الروم في سياستهم، ١/١٨٩.

(٤) سلوقية: السّلوقيّة من الكلاب، منسوبة إلى مدينة من مدائن الروم، يقال لها سلقيه، فأعربت، قال أبو حاتم، وقال أبو العالية، إنّما يقال لها سلوقيّة، وقد دخلتها، وهى عظيمة، ولها شأن. البغدادي، مراصد الاطلاع، ٣/٧٥١.

(٥) طيسفون: قرية كبيرة فى شرقي دجلة، مقابل النعمانية، أصلها طوسفون فعربت على طيسفون، وأهلها يقولون طسفونج، وبها آثار قديمة، ويقولون، إنها إحدى مدائن الفرس السبعة. البغدادي، مراصد الاطلاع، ٢/٨٨٧.

(٦) رستم، الروم في سياستهم، ١/١٨٩.

**٦- السبي عند الرومان.**

أتبعَ الرومان في معاركهم مع خصومهم السبي أيضاً لاسيما مع القبائل المناوئة لهم وتحديداً مع اليهود، فقد أستولى القائد كيساوس[١]، على الملك وقام بسبي اليهود [٢]، ثم زحف الملك كينانوس[٣]، بن أخي قيصر وقائده أنطيوس[٤]، في العساكر لحرب كيساوس فظفرا به قرب مقدونية[٥]، وقتلاه وملك كينانوس مكان عمه وسمى أوغسطس قيصر، بأسم عمه فارسل إليه ملك اليهود وسأل تجديد العهد لهم، وأن يطلق السبي الذي سبي منهم أيام القائد كيساوس [٦].

عندما سار أنطيانوس وأوغسطس قيصر إلى بلاد الأرمن بدمشق وحمص، التقيا هناك بملكة مصر كلبطرة[٧]، فاستمالت أنطيانوس وملكت قلبة وتزوّجها ثم توجه أنطيانوس إلى بلاد الفرس فعاث بها فساداً وقهر ملوكهم وقفل إلى روما وفي خلال ذلك لحق جماعة من اليهود بالفرس، وضمنوا لملكهم أن يحملوا إموالهم وثمانمائة من بنات اليهود ورؤسائهم يسبيهنّ له [٨].

---

(١) كيساوس: هو احد قواد الرومان الذي قتل يوليوس قيصر وذلك بعد ما تآمر مع هيرودس ثم هرب الى مكدونيا بعدما سمع بان كينانوس وانطونيوس قد خرجوا لمحاربتة ومن ثم تمت تصفيته ع ايديهم. يوسفيوس، تاريخ، ص١٤٢-١٤٣.

(٢) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ١٢٩/٢؛ الساعدي والدراجي، سبي النساء، ص٢٦٦.

(٣) كينانوس: وهو الذي ملك بعد عمه قيصر وسمي اغسطس لأنه زاد في سلطانه وملكه على من تقدمه وسمي ايضا قيصر باسم عمه فصار الكثير من ملوك الروم بعده يسمونه قيصر واغسطس، وقد حكم ستاً وخمسين سنة، وهو أول من سمي من ملوك الروم قيصر، وهو الثاني من ملوكهم، وغزا هذا الملك الشام ومصر والإسكندرية، وأزال من بقي من ملوك الإسكندرية ومقدونية وهي مصر. يوسفيوس، تاريخ، ص١٤٣؛ المسعودي، مروج الذهب، ٢٣٣/١.

(٤) أنطيوس: وهو صاحب الحبشه الذي خرج مع كينانوس ابن اخ قيصر المقتول من رومية في عساكر لا يرام احصائها لمحاربة كيساوس وتمكن من قتله. يوسفيوس، تاريخ، ص١٤٣.

(٥) مقدونية: اسم قديم لمصر قبل أن ينزلها مصر بن هرمس، وإليها ينسب الاسكندر، فيقال المقدوني. الحميري، الروض المعطار، ص٥٥٧.

(٦) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ١٥٠/٢؛ يوسفيوس، تاريخ، ص١٤٣.

(٧) كلبطرة: ملكة مصر كان ملكها اثنتين وعشرين سنة، وكانت حكيمة متأدبة متفلسفة عالمة بالسحر والخواص وحاوية علوم اليونان مقربة للعلماء معظمة للحكماء ولها كتب مصنفة في الطب والرقية وغير ذلك من الحكمة مترجمة باسمها منسوبة إليها معروفة عند صنعة أهل الطب؛ وهذهِ الملكة آخر ملوك اليونانيين ينظر، المسعودي، مروج الذهب، ٢٢٩/١؛ يوسفيوس، تاريخ، ص١٤٥.

(٨) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ١٥٠/٢؛ يوسفيوس، تاريخ، ص١٤٦.

كما حصل الملك طيطش[1]، على عدد كبير من السبي بعد معاركه مع اليهود وسيطر طيطش على خزائن كثيرة مملوءة دنانير ودراهم، ورحل عن بيت المقدس بالغنائم والأموال والأسرى، وأحصى الموتى في هذهِ الوقعة فكان عدد الموتى الذين خرجوا على الباب للدفن مائة ألف وخمسة وعشرون ألفاً وثمانمائة والسبي والأسارى مائة ألف[2].

يذكر المسعودي[3]، أن الله عاقب الروم من ذلك اليوم الذي خربت فيه بيت المقدس أن يسبي كل يوم منهم سبي، يفعل ذلك من أطاف ببلادهم من الأمم، فلا يأتي يوم من أيام العالم إلا والسبي واقع بهم، قل ذلك أو أكثر

وترى الباحثة أن ممارسات السبي في العصور القديمة، بما في ذلك مصير النساء والأطفال في الحروب، تمثل جزءًا من تقاليد تاريخية امتدت عبر العصور، فهذه الممارسات كانت جزءًا من نظام اجتماعي وحربي وكانت جزءًا لا يتجزأ من الحروب والغزوات العسكرية حيث كان يُنظر إلى السبي كغنيمة حرب تُستفيد منها الأطراف المنتصرة، تاريخياً، نجد أن هذا النوع من الممارسات كان جزءًا من التنقلات القسرية التي فرضتها الحروب بين مختلف الشعوب، وكانت تعتبر الوسيلة الأساسية لتوسيع القوة وفرض السيطرة على الآخرين.

في تحليل هذه الظاهرة، نجد أنها تتسم بتعدد الأبعاد في تفسيرها، فمن جانب، كانت الحروب تُعتبر وسيلة طبيعية لتحقيق الهيمنة السياسية والعسكرية، ومن جانب آخر، كان السبي يُستخدم كأداة لتقوية المجتمع المنتصر عبر إدماج السبايا في صفوفه سواء من خلال الاستعباد أو الزواج وغيرها.

(١) طيطش: احد ملوك الرومان الذي ملك ثلاث عشرة سنة، سار إلى الشام، وكانت له مع بني إسرائيل حروب عظيمة، وقتل فيها من بني إسرائيل ثلاثمائة ألف، وخرب بيت المقدس وأحرق الهيكل بالنار، وحرثه بالبقر وأزال رسمه، ومحى أثره، وكانت يعبد الاصنام. المسعودي، مروج الذهب، ٢٣٦/١.

(٢) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ١٦٤/٢.

(٣) مروج الذهب، ٢٣٦/١.

**رابعاً: مـوقف الشـريعة الإسلاميـة من السبي.**

**١- مشروعية السـبـي فـي الـقـرآن الكـريم.**

لم يذكـر الـقـرآن الكـريم آية صريحة تبيح سبـي النسـاء والذراري بيدَ أَنَّ بـعض آيـات الـقـرآن الكـريم تضمـنت معـانً لها عـلاقة بـالسبـي من حيث السمـاح بـالزواج مـن النسـاء المسبيـات.

كقـولهِ تعـالى: ﴿**وَالْمُحْصَنَتُ مـن النِّسـاءِ إِلَّا مـا مـلكتْ أَيْمـنكُمْ**﴾ (١) وَالْمُحْصَنـاتُ مـن النِّسـاءِ، يعـني ذوات الأزواج حـرام عـليكم إِلَّا مـا مـلكتْ أَيْمـانُكُمْ مـن سبـايـا، فإذا مـلك الرجـل امـرأة لهـا زوج فـي دار الحـرب واستبـرأ رحـمها بحيـضه، فهـي حـلال له وهـذا مـوافـق لمـا روي عـن أبـي سعيـد الخـدري أنَّ المسـلمـيـن أصابوا يـوم أوطـاس سبـايـا لهُنَّ أزواج مـن المشركيـن، فتأثـم المسـلمـون مـنهن وقـالـوا: لهُنَّ أزواج(٢)، فـأنـزل الله تعالى: ﴿**وَالْمُحْصَنتُ مـن النِّسـاءِ إِلَّا مـا مـلكتْ أَيْمـنكُم**﴾ (٣).

وقد ذكر النسفـي(٤)، فـي تفسـيره: ﴿**وَالْمُحْصَنتُ مـن النِّسـاءِ**﴾ أي اللواتي لهُنَّ الأزواج لأنهنَّ أحصنَّ فـروجـهنَّ بـالتزويج، قـرأ الكسـائي بفـتح الصاد هنـا وفـي سـائر الـقـرآن بكسـرها وغيره بفـتحها فـي جـميع الـقـرآن ﴿**إِلَّا مـا مـلكتْ أَيْمـنكُم**﴾، بـالسبـي وزوجـها فـي دار الحـرب والمعنى وحرم عـليكم نكاح المنكوحات أي اللاتي لهن أزواج إلا ما ملكتمـوهنَّ بسـبـيهنَّ وإخراجـهنَّ بدون أزواجـهنَّ لوقوع الفرقة بتبايـن الداريـن لا بـالسبـي فـتحل الغنـائم بمـلك اليميـن بـعـد الاستبـراء.

أختلـف أهـل التـأويـل فـي المحصنـات اللاتي قصدهنَّ الله فـي هـذهِ الآيـة فـقـال بـعضهم: هُـنّ ذواتُ الأزواج غـير المسبـيـات مـنهنَّ، و"مـلك اليميـن": السبـايـا اللـواتي فـرق بـيـنهنَّ وبـيـن أزواجـهنَّ السبـاء، فحللـنَّ لمـن صـرنَّ له بمـلك اليميـن، مـن غير طـلاق كـان مـن زوجـها الحـربـي لهـا(٥).

وقـوله تعالى ﴿**يـا أَيُّهَا النَّبـي إنـا أَحْلَلْنـا لَكَ أَزْواجَكَ اللاَّتي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمـا مـلكتْ يَمِيـنكَ مِمـا أَفـاءَ اللَّهُ عـليْكَ**﴾ (٦).

(١) سورة النساء، الآية ٢٤.

(٢) السمرقندي، بحر العلوم، ٢٩٣/١.

(٣) سورة النساء، الآية ٢٤.

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ٣٤٧/١.

(٥) الطبري، جامع البيان، ١٥١/٨.

(٦) سورة الاحزاب، الآية ٥٠.

ذكـر الله تعالى أنـواع النكاح التـي أحلَّها له، فـقـال: أَزْواجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ أي: مهـورهُنَّ، وهُنَّ اللـواتي تزوَّجْتـهنَّ بصداق ﴿**وَمـا مـلكتْ يَمِينـكَ**﴾ يعني الجواري او السبـايـا ﴿**مِمـا أَفـاءَ اللَّهُ عـلـيْكَ**﴾ أي: مِمَّا ردّه عـليك مـن الكفـار بـالسبي كصفـية بنت حيي[1]، وجُوَيرية بنت الحـارث[2]، اللاتي سبـاهن مـن الكفـار واصبحن زوجـاتـه[3].

ووافـقه الرأي المـراغي [4]، رحـمه الله فـي تفسيره لهـذهِ الاية ﴿**يـا أَيُّهَا النَّبـي إنـا أَحْلَلْنـا لَكَ أَزْواجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ**﴾ أي يـا أيها النبـي إنـا أحللنـا لك الأزواج اللاتي أعطيتـهنَّ مهـورهنَّ، ﴿**وَمـا مـلكتْ يَمِينـكَ مِمـا أَفـاءَ اللَّهُ عـلـيْكَ**﴾ أي وأحللنـا لك الإمـاء اللـواتى سبيتـهنَّ فمـلكتـهنَّ بـالسبـاء، وصـرن لك مـن الـفـيء بفـتح الله عـليك، وقـد مـلك صفـية بـنت حيي ابـن أخطب فـي سبي خـيبـر، وجويرية بـنت الحـارث.

والمـوضـع الاخـر الـذي ورد فـيـه ذكـر لمعنى السبـي دون لـفظه قـوله تعـالـى: ﴿**وَأَنْكِحُوا الْأَيـامى مـنكُمْ وَالصَّالِحِيـن مـن عِبـادِكُمْ وَإِمـائِكُمْ إِنْ يَكُونـوا فـقـراءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مـن فَضْلِهِ وَاللَّهُ واسِعٌ عـلـيمٌ**﴾[5].

والأيـامى: جـمـع أَيِّم، وأصله: أيـايم، فـقـلبت اليـاء لآخر الكلمة، ثـم قـلبت ألفـاً، فصارت أيـامى والأيم: مـن لا زوج له مـن الرجـال والنسـاء، يقـول الحق جلّ جلاله: وَأَنْكِحُوا أي: زَوِّجُوا الْأَيـامى مـنكُمْ أي:

---

(١) صفـــية بنت حيي: هي صفية بنت حيي بْنِ أخطب بنِ سعية بن عامر بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب بن النضير بن النحام بن ينحوم من بني إسرائيل من سبط هارون بن عمران، وأمها برة بنت سموال أخت رفاعة بن سموال من بني قريظة إخوة النضير، تزوجها سلام بن مشكم القرظي ثم فارقها فتزوجها كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النضري فقتل عنها يوم خيبر، فتزوجها الرسول (ﷺ) ماتَت فِي إمارة مُعاوية بْن أبي سُفيان وَقد قيل إِن صَفِية مَاتَت سنة سِتّ وثلاثِينَ. ينظر، ابن سعد، الطبقات، ٩٥/٨؛ الدارمي، الثقات، ١٩٧/٣.

(٢) جُويرية بنت الحارث: وهي جويرية بنت الحارث بن أبي ضـرار بنِ حبيب بنِ عائِذ بن مالك بن جذيمة بن المصـطلق من خزاعة، تزوجها مسـافع بن صـفوان ذي الشـفر ابن سـرح بن مالك بن جذيمة فقتل يوم المريسـيع، وهي من أُمهات المؤمنين وكانت من سبي الْمُرِيسِيع وهو موضع من أَرض خُزاعة أَعْتقهَا النَّبِي (ﷺ) وتزوجها وجعل صدَاقهَا كل سبي من قومها، ماتت سنة ست وخمسين فِي ولَاية مُعاوية وصلى عليها مروان. ينظر، ابن سعد، الطبقات، ٩٢/٨؛ الدارمي، الثقات، ٦٦/٣.

(٣) ابن الجوزي، زاد المسير، ٤٧٤/٣.

(٤) تفسير المراغي، ٢٢/٢٢.

(٥) سورة النور، الآية ٣٢.

من لا زوج له من الرجال والنساء، بكراً كان أو ثيباً والمعنى: زوجوا من لا زوج له من الأحرار والحرائر والخطاب للأولياء والحكام، أمرهم بتزويج الأيامى، فاقتضى ذلك النهي عن عضلهن(١).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿**وَمن لَمْ يَسْتَطِعْ منكُمْ طَوْلاً أَنْ ينكِحَ الْمُحْصَناتِ الْمُؤْمناتِ فَمن ما ملكتْ أَيْمانُكُمْ من فَتَياتِكُمُ الْمُؤْمناتِ وَاللَّهُ أَعلمُ بايمانِكُمْ بعضُكُمْ من بعضٍ فانْكِحُوهُنَّ باذْنِ أهلِهِنَّ وَآتوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بالْمعروفِ**﴾ (٢).

وَمن لَمْ يَسْتَطِعْ أي لم يقدر منكُمْ أيها الأحرار، بخلاف العبيد، أن يحصل طَوْلًا أي غنى يمكنه به أَنْ ينكِحَ الْمُحْصَناتِ أي الحرائر المتعففات، بخلاف الزواني إذ لا عبرة بهنَّ الْمُؤْمناتِ إذ لا عبرة بالكفار فَمن ما ملكتْ أَيْمانُكُمْ أي له أن ينكح بعض ما يملكه أيمان إخوانكم من فَتَياتِكُمُ أي إمائكم حال الرق الْمُؤْمناتِ لا الكتابية لأنه لا يحتمل مع عار الرق عار الكفر(٣).

وقد حرم على الرسول (ﷺ) الزواج بغير زوجاته او يستبدل بهنَّ ازواجاً غيرهنَّ لو اعجبه حسنهنَّ الا الاماء والسراري اي إلا ما حصل عليه من السبي(٤)، أستناداً لقوله تعالى: ﴿**لَا يَحِلُّ لَكَ النِّساءُ من بعد وَلا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ من أَزْوَاجٍ وَلو أَعْجَبَكَ حُسنهُنَّ إلا ما ملكتْ يَمِينكَ وَكانَ اللَّهُ على كُلِّ شَيْءٍ رَقيبا**﴾ (٥).

**٢- مشروعية السبي في السنة النبوية الشريفة.**

في حديث للنبي (ﷺ) انه قال: ( **أَحَبُّ الحديثِ إِلَيَّ أَصْدَقُهُ، فاخْتَارُوا إحدى الطائِفَتَين: إما السبي، وَإما المالَ، وَقد كنتُ اسْتَأْنَيْتُ بِهِمْ**) (٦)، وقد قال الرسول (ﷺ) هذا الحديث حِين جاءَهُ وَفْدُ هوازِنَ مُسلمين، فَسألوهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْهِمْ أَموالَهُمْ وَسبيهُمْ، وقد كان رسول اللَّهِ (ﷺ) انْتَظَرَهُمْ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حِين قَفَلَ من الطائِفِ، فَلما تَبين لَهُمْ أَنَّ رَسولَ اللَّهِ (ﷺ) غَيْرُ رَادٍّ إِلَيْهِمْ إِلَّا إحدى الطائِفَتَين، قالوا: فانا نَخْتَارُ سبينا، فقامَ رَسولُ اللَّهِ (ﷺ)

(١) الصوفي، البحر المديد، ٣٤/٤.

(٢) سورة النساء، الآية ٢٥.

(٣) القاسمي، محاسن التأويل، ٧٩/٣.

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن، ٤٤٧/٦.

(٥) سورة الأحزاب، الآية ٥٢.

(٦) أبن حنبل، مسند احمد، ٢٣٠/٣١؛ البخاري، صحيح البخاري، ٩٩/٣؛ ابي داود، سنن ابي داود، ٦٢/٣؛ الطحاوي، شرح مشكل، ٣٨٦/١١.

في المسلمين فاثْنَى على اللَّهِ بما هو أهلهُ، ثم قال: (**أَما بعد، فانَّ إِخْوَانَكُمْ هَؤُلاَءِ قد جاءُونا تَائِبين، وَإِنِّي قد رَأَيْتُ أَنْ أَرُدَّ إِلَيْهِمْ سبيهُمْ،فَمن أَحَبَّ منكمْ أَنْ يُطَيِّبَ بِذَلِكَ فَلْيَفْعل، وَمن أَحَبَّ منْكمْ أَنْ يَكُونَ على حَظِّهِ حَتَّى نُعْطِيَهُ إِياهُ من أَوَّلِ ما يُفيءُ اللَّهُ علينا فلْيَفْعل**)[1].

وروي عن الرسول (ﷺ) أنهُ قال: (**من كانَ يُؤْمن باللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلَا ياتِي شَيْئًا من السبي حَتَّى يَسْتَبرئَهَا** )[2]، وذُكر أنَّ رسول الله (ﷺ) قال يوم حُنين[3]: (**من كانَ يُؤْمن باللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَطا جارِيَةً من السبي حَتَّى يَسْتَبرئَهَا بِحَيْضَةٍ، وَمن كانَ يُؤْمن باللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَبع نَصِيبَهُ من الْمَغْنَمِ حَتَّى يَقبضَهُ، ومن كانَ يُؤْمن باللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَرْكَبْ دَابَّةً في فيءِ المسلمين حَتَّى إِذَا أَعْجَفَهَا رَدَّهَا فيهِ، وَمن كانَ يُؤْمن باللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَلْبَسْ ثَوْبا من فيءِ المسلمين حَتَّى إِذَا أَخْلقهُ رَدَّهُ فيهِ**)[4].

كذلك ورد عن النبي (ﷺ) انه قالَ في معركة أَوْطاسٍ[5]، من باب عدمُ وَطْءِ الْحَبالى من السبي من الْإِيمان: (**لَا توطا الْحُبلى حَتَّى تَضَعَ، وَلَا غَيْرُ ذَاتِ حمل حَتَّى تَحِيضَ حَيْضَه**)[6].

أيضاً قول الرسول (ﷺ) من بابَ النَّهْيِ عَنْ التَّفريقِ بين السبي إذ بعدما علم الرسول (ﷺ) أنه فرق بين جاريةٍ وولدِها وظلت تبكي عليه، نَهاهُ بقوله: (**من فرقَ بين وَالِدَةٍ وَوَلَدِهَا فرقَ اللَّهُ بينهُ**

(١) أبن حنبل، مسند احمد، ٢٣٠/٣١؛ البخاري، صحيح البخاري، ٩٩/٣؛ ابي داود، سنن ابي داود، ٦٢/٣؛ الطحاوي، شرح مشكل، ٣٨٦/١١.

(٢) السمرقندي، سنن الدارمي، ١٦٠٩/٣.

(٣) معركة حنين: وهي المعركة التي وقعت بين المسلمين بقيادة الرسول (ﷺ) وعددهم اثنا عشر الف مقاتل وبين قبيلتي هوازن وثقيف بقيادة مالك ابن عوف النصيري في ثلاثين الف مقاتل في وادي يسمى حنين بين مكة والطائف وكان سببها هو اجتماع عدد من القبائل المشركة لمحاربة المسلمين بعد فتح مكه خشية توطيد دعائم نصرهم وتثبيت دولتهم، وقد احرز فيها المسلمين نصراً كبيراً وحصلوا على اعداد هائلة من السبي قدر بستة الاف رأس كما حصلوا على الكثير من الغنائم بما فيها الابل اربعة وعشرين الف بعير والغنم اكثر من اربعين الف شاة واربعة الاف اوقية فضة. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١١٤/٢؛ اليعقوبي، تاريخ، ٦٣/٢.

(٤) الجوزجاني، سنن سعيد، ٣١٢/٢؛ الطبراني، المعجم الكبير، ٢٦/٥.

(٥) معركةِ أَوْطَاسٍ: هي المعركة التي قادها ابا عامر الاشعري عم ابي موسى الاشعري سنة ٨هـ وذلك بعدما انصرف الرسول (ﷺ) من حنين وانهزم المشركون، عسكر منهم طائفه باوطاس وحدثت مناوشات بينهم وقتل ابا عامر مجموعه من المشركين وظفر المسلمون بالغنائم والسبي. الحلبي، السيرة الحلبية، ٢٨٠/٣-٢٨١.

(٦) ابن حنبل، مسند أحمد، ٣٤١/١٨؛ ابي داود، سنن ابي داود، ٢٤٨/٢؛ الطحاوي، شرح مشكل، ٣٨٦/١١؛ الطبراني، المعجم الأوسط، ٢٧٦/٢.

**وَبـيـن الْأَحِبَّةِ يَوْمَ الـقـيـامَةِ** )[1]، وكـانَ النَّبـي (ﷺ) إِذَا قـدمَ عـليْهِ السـبـي أَعْطَى أهل الْبـيـتِ كـراهِيَةَ أَنْ يُفـرقَ بـيـنهُم[2].

أضافةً الى قول النَّبـي (ﷺ):(**إنـا لَا نَدْرِي مـن أَذِنَ فـي ذَلِكَ مـنكُمْ مِمـن لَمْ يـاذَنْ فـارْجِعـوا حَتَّى يَرْفَعَ إِلَيـنـا عـرفـاؤُكُمْ**) وذلك يَوْمَ حُنَيـن لَمـا رَأَى الرسـول (ﷺ) أَنْ يَرُدَّ السـبـي إلى هـوازِنَ فـاذِنَ لَهُ فـي ذَلِكَ النـاسُ[3].

(١) ابن حنبل، مسند أحمد، ٤٨٥/٣٨؛ الترمذي، سنن الترمذي، ١٣٤/٤؛ الدارقطني، سنن الدارقطني، ٣٢/٤.

(٢) ابي داود، سنن ابي داود، ٣٣٢/٤.

(٣) التجيبي، المنتقى، ٣/٦.

## خامساً: المبنى الاصطلاحي لمصطلحي إسبانيا والأندلس.

تقتضي طبيعة الدراسة أنَّ نتطرق إلى مصطلحي أسبانيا والأندلس، وأنَّ نتكلم بشيء من الايجاز عن هذين المصطلحين والاشارة إلى أوضاع البلاد الطبيعية والجغرافية في محاولة لإستجلاء الجذور التاريخية لأسبانيا وسكانها قبل الفتح الإسلامي لأن تلك الجذور أضحت عوامل محركة كان لها دور في تحريك مسار التطور التاريخي الذي أتاح للمسلمين فتحها [١].

أُطلق على شبه الجزيرة الأيبيرية أسماء عدة، بعضها نُسب إلى أسماء أنهارها والبعض الآخر إلى أسماء الشعوب والقبائل التي سكنت في ربوعها، أو أرتبطت بأسم أحد الكواكب، فضلاً عن ما جاءت به كتب الجغرافية والتاريخ من معلومات في تفسير هذهِ الأسماء فقد عرفت بأسم افيوسا وتعني (بلاد الحيات)[٢]، وهو أقدم أسم عرفت به، ثم أُطلق عليها أسم أيبيريا [٣]، الذي أشتق من أسم أحد الأنهار المهمة المعروف بنهر أيبروس [٤]، أو نسبةً إلى القبائل التي كانت ساكنة حول هذا النهر فأسسوا مراكزاً أطلقوا عليها أسم (أيبيريا)، ثم أصبح هذا الأسم يطلق على شبه الجزيرة بكاملها وبكافة أحيائها، وقد ظهر لفظ أيبيريا لأول مرة في القرن السادس ق.م [٥].

كذلك أُطلق عليها قديماً ابارية من وادي ابره، ثم أطُلق عليها بعد ذلك أسم باطقة المشتق من وادي بيطي وهو نهر قرطبة [٦][٧]، الذي سميَّ بعد ذلك بأسم الوادي الكبير[٨]، وكان اليونان قد نزلوا على ضفته

---

(١) طقوش، تاريخ المسلمين، ص١٣.

(٢) حتاملة، أيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين، ص١٠٥؛ محمد، تاريخ الدعوة الإسلامية، ص٢٥.

(٣) البكري، جغرافية الأندلس وأوربا، ص٥٧؛ الحموي، معجم البلدان، ١/ ٢٦٢-٢٦٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٢.

(٤) ايبروس: اشتقَ هذا الاسم من نهر ايبرو الحالي وهو النهر الذي ينبع من شمال شرق شبه الجزيرة الأيبيرية ويصب في البحر الأبيض المتوسط عند مدينة طرطوشة. ينظر، البكري، جغرافية الأندلس وأوربا، ص٥٧؛ الحموي، معجم البلدان، ١/ ٢٦٢-٢٦٣.

(٥) مؤنس، تاريخ الجغرافية، ص١٣٨.

(٦) نهر قرطبة: ويعرف بنهر بيطي، مخرجه من ناحية ريمية وبين منبعثه إلى موقعه في البحر بغربي اشبيلية ثلاثمائة ميل وعشرة أميال. ويقع فيه سنجيل، وهو ينبعث من الثلج من جبال ألبيرة وعليه مدينة استجة. البكري، المسالك والممالك، ٢٣٩/١.

(٧) البكري، جغرافية الأندلس وأوربا، ص٥٨.

(٨) الوادي الكبير: هو قصبه الاندلس سمي بالوادي الكبير من اول خروجه الى وقوعه في البحر وانما سمي بهذا الاسم خلال حكم بني امية وكان اسمه خلال حكم الروم توفير، وزعم الكثير من الناس أنَّ الوادي الكبير ووادي تدمير الهابط على مرسية يخرجان من عين واحدة تنقسم الى نصفين نصف يهبط الى قرطبة ونصف الى مرسية. الزهري، كتاب الجغرافية، ص٩٧-٩٨.

وعمموا أسمهِ على كامل شبه الجزيرة الأيبيرية، ثم سُميت اشبانية وهو أسم رجل ملكها في القديم كان أسمهُ اشبان وقيل سُميت بالاشبان نسبةً للشعوب والقبائل التي سكنتها في بادئ الأمر على ضفة النهر[١]، كذلك يقال أنَّ أسمها في الحقيقة أشبارية المشتق من لفظ أشبرش وهو الكوكب المعروف بالأحمر، ثم سُميت بعد ذلك بالأندلس من أسماء الأندليش والذي سكنوها فيما بعد[٢].

عرفت البلاد عند اليونانيين بأسم هسبيريا وهيَّ تسمية مشتقة من لفظة هسبيروس وتعني الكوكب الاحمر او نجمة السماء إذ أنَّها كناية عن أرض المغرب او الغرب إذ كانت شبه الجزيرة الأيبيرية تقع في اقصى غرب العالم وتشرف على المحيط الاطلسي (بحر الظلمات)[٣].

أمَّا لفظ أسبانيا فهو اقدم أسماء شبه الجزيرة الأيبيرية عُثر عليهِ في كتابات الفينيقيين قبل سنة ١١٠٠ ق.م، أي قبل بنائهم لمدينة قادس[٤]، الذي يعني (ساحل الأرانب البرية) التي كانت متوفرة بكثافة في شبه الجزيرة الأيبيرية حتى أصبحت رمزاً اليه [٥]، واللفظ سامي قديم فهو في العبرية القديمة (شفهان) وفي اليمنية القديمة (طفن) وجمعه في العبرية القديمة (شفانيم)، وعن الفينيقيين أخذ اللفظ القرطاجنيون ثم الرومان بعد استيلائهم على شبه الجزيرة الأيبيرية وحرفوه إلى أسبانيا او هسبانيا وقالوا أنَّ الأسم منسوب إلى اسبان او سفهان وأطُلقوا الأسم على شبه الجزيرة بأكملها ومنهم من جعل أسم أسبانيا مشتقاً من أسم الاله (بان) او نسبة إلى رجل يسمى (هيسبالوس)[٦].

أطُلق على أسبانيا أسم الأندلس مع قدوم العرب والمسلمين لها، والواضح أنَّهم أخذوه من سكان الشمال الافريقي الذين أطُلقوا أسم وندلش على قبائل عرفت بقبائل الوندال او الفاندال[٧]، الذين تمكنوا من السيطرة على أراضي واسعة من شبه الجزيرة الأيبيرية [٨].

---

(١) الحميري، الروض المعطار، ص٣٢؛ مؤنس، تاريخ الجغرافية، ص ١٣٨؛ طقوش، تاريخ المسلمين، ص١٣.

(٢) الحميري، الروض المعطار، ص٣٢؛ صفة جزيرة، ص٢؛ مؤنس، تاريخ الجغرافية، ص١٣٨.

(٣) مؤنس، تاريخ الجغرافية، ص١٤٠؛ طقوش، تاريخ المسلمين، ص١٤.

(٤) قادس: جزيرة بالأندلس عند طالقة من مدن اشبيلية، وطول جزيرة قادس من القبلة إلى الجوف اثنا عشر ميلاً، وعرضها في أوسع المواضع ميل، وبها مزارع كثيرة الريع. الحميري، الروض المعطار، ص٤٤٨.

(٥) مؤنس، تاريخ الجغرافية، ص١٣٩؛ رمضان، تاريخ المغرب والأندلس، ص٤٣.

(٦) مؤنس، تاريخ الجغرافية، ص١٣٨.

(٧) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص١٢٨-١٢٩.

(٨) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/ ١-٢؛ طقوش، تاريخ المسلمين، ص١٣.

ذكرَ المقري أنَّ الأندلس أنّما سُميت بأندلس بن طوبال بن يافث بن نوح (عليه السلام) فانَّه اشتق من أسمه لأنه نزلها واستقر بها [1]، وقال في موضع آخر أنَّ اوّل من عمر فيها واختطّها أندلس بن يافث بن نوح (عليه السلام) فسُميت بأسمه [2].

خلال الحكم الإسلامي لشبه الجزيرة الأيبيرية (٩٢-٨٩٧هـ/٧١٠-١٤٩٢م)، أصبح هذا المصطلح يأخذ دلالات جغرافية وينكمش شيء فشيء حسب الوضع السياسي للمنطقة الإسلامية والتقلص التدريجي للحكم الإسلامي في شبه الجزيرة الأيبيرية نتيجةً لضغط وأشتداد حركة المقاومة الأسبانية حتى صار أسم الأندلس يطلق على آخر حاضرة إسلامية وهيَّ مملكة غرناطة[3].

(١) نفح الطيب، ١/ ١٢٥.

(٢) المقري، نفح الطيب، ١/ ٢٤٣.

(٣) غرناطة: وهي مدينة أندلسية بينها وبين وادي آش أربعون ميلاً وهيَّ من مدن البيرة وهي موجودة من أيام الثوار بالأندلس وأنّما كانت المدينة المقصودة إلبيرة فخلت وأنتقل أهلها إلى غرناطة. ينظر، الحموي، معجم البلدان، ٢/ ٣٧١-٣٧٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٥.

## سادساً: الجغرافـية التاريـخـية لشبـه الجزيـرة الأيبـيـرية.

تتنـاول الدراسات الجغرافـية الأندلس ككيـان شبه جزيرة، حيث تُحيـط بها الميـاه من ثلاث جهات الشرقية والجنـوبية والغربيـة، تقع الأندلس فـي الجـزء الجنـوبي الغربي من القارة الأوروبية، متخذة شكل مثلث مـن الارض يضيق كـل مـا تـوجـهنـا شرقـاً ويتسع غربـاً مقـابل السـواحل الشمـالية للمغرب، وذكـر أنَّ صفـة الأنـدلس أنَّها شبه جزيرة ذات ثـلاثة أركـان قـريبة مـن شكل المثـلث الركـن الـواحـد مـنها عند صنم قـادس[١]، والركـن الثاني فـي بـلاد جليقـية وهـو مقـابل جزيرة بـرطـانية حيـث الصنم المشبه بصنم قـادس، والركـن الثالث بنـاحية الشرق بـيـن مـدينـة اربـونة [٢]، ومـدينـة بـرذيـل[٣]، إذ هـو قـرب البحر المحيط الغربـي مـن البحر المتـوسط الشـامي، وكـاد البحران يجتمعان فـي ذلك المـوضع فتصبح الأنـدلس جزيرة [٤].

تعـد جبـال البـرت او البـرتات، الحـد الفـاصـل بيـن (أسبـانيـا والبـرتغال) عن الـقـارة الأوربيـة أمَّـا مضيق جبل طـارق[٥]، فـانَّـهُ يفصلها عن أفـريقيـا، ويرى بـعض الجغرافـييـن أنَّ الميـاه أحـاطت بشبـه الجزيرة

---

(١) صـــنم قادس: وهو من أعجب الآثار المنســـوب إلى جزيرة قادس قام ببناءه القائد أركلش وهو هرقلش أصـــله من الروم الإغريقيين وكان من قادة الروم وكبرائهم وقد عمد إلى جزيرة قادس فبنى بها مجداً عالياً، ويقع الصـــنم في وســـط الجزيرة وقيل إن هذا الصنم بني في سنة ألفين وأربعمائة وإحدى وخمسين من وقت الطوفان، وقيل في سنة ألفين وأربعمائة وإحدى وخمسين من وقت النبي آدم (عليه السلام)، والمرجح أنه بني على عهد سيدنا موسى عليه السلام. الحميري، الروض المعطار، ص٤٤٨.

(٢) اربونة: وهي آخر المدن والحصون التي كانت تحت سيطرة المسلمين في الأندلس وثغورها مما يلي بلاد الفرنجة وقد خرجت عن أيدي المسلمين سنة ١٤١هـ مع غيرها من المدن والحصون التي كانت تحت سيطرة المسلمين. الحميري، الروض المعـــطار، ص٢٤.

(٣) برذيل: أنَّ إقليم برذيل هو من أشـــرف الأقاليم في تلك الناحية وهو كثير الكروم والفاكهة والحبوب وهو مدينة كبيرة مبنية بالكلس والرمل ويقع على نهر عجاج يسمى جرونة وربما عطبت مراكب المجوس فيه عند الأهوال لاتساعه وانخراقه وبين هـــذهِ المدينة وموقع نهرها في البحر مائة وخمسون ميلاً، وأهل برذيل في أخلاقهم ولباسهم على أخلاق الجليقيين، وبجوفي مدينة برذيل بنيان منيف على سوار سامية جليلة هو قصر طيطس وفي سواحل هـــــذهِ المدينة يوجد العنبر. الحميري، الروض المعطار، ص٩٠.

(٤) أبن صاعد، طبقات الأمم، ص٦٥؛ أبن عذاري، البيان المغرب، ٢/ ١؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٣.

(٥) جبل طارق: وهو جبل في أقصى جنوب الاندلس على البحر أخذ اسمه من فاتح الأندلس طارق بن زياد، وقد سمي أيضا بجبل الفتح كما عرف كذلك باسم الصخرة، وهو عند الجزيرة الخضراء ويوجد بجبل طارق مرسى يكن من كل ريح، وبه غريبة، وهو غار هناك يعرف بغار الأقدام، يرى من البطحاء التي تلي الغار أثر قدم أبداً وليس هناك طريق ولا منفذ إلى غير الغار. الحميري، الروض المعطار، ص٣٨٢؛ صفة جزيرة، ص١٢١.

الأيبيرية من ثلاث جوانب الأمر الذي جعل منها جزيرة [١]، إذ يمتد البحر المتوسط على طول ساحليها الشرقي والجنوبي مبتدءاً من الاقسام الشرقية لجبال البرتات وينتهي عند مضيق جبل طارق الذي يلتقي عنده البحر المتوسط، بالمحيط الاطلسي، أمَّا الجزء الشمالي من شبه الجزيرة الأيبيرية فتخترقه هو الآخر سلسلة جبال كنتبرية التي تُعد أمتداداً لجبال البرتات وأمَّا نهر دويرة [٢]، فإنَّه يشكل الحد الجنوبي لمنطقة الشمال والشمال الغربي لشبه الجزيرة الأيبيرية التي تعرف سابقاً بأسم لوزيتانيا [٣]، والتي يسكنها الجلالقة او الجليقيون والذين يشكلون معظم سكان أيبيريا [٤].

اما حدود شبه الجزيرة الأيبيرية الغربية والشمالية فأنَّها تتمثل بالمحيط الاطلسي المعروف بالبحر الكانتبري ؛ لذلك فهيَّ تُعد شبه جزيرة ؛ لأنها محاطه من جهة الشمال الشرقي بجبال كانتبرية وليس كما يصورها بعض الجغرافيين بانَّها جزيرة محاطة بالمياه من كل جهاتها.

(١) البكري، جغرافية الاندلس واروبا، ص١٦٨؛ الأدريسي، نزهة المشتاق، ٥/ ٥٢٥؛ المراكشي، المعجب، ص١٢.

(٢) نهر دويرة: لم أعثر على تعريفاً له في كتب البلدان لكنه هو أكبر أنهار شبه الجزيرة الأيبيرية وينبع من جبال ناجرة في الشمال ويمتد غرباً ويصب في المحيط الاطلنطي. ينظر، المقري، نفح الطيب، ١/ ٤١٤؛ ارسلان، الحلل السندسية، ٤١/١.

(٣) لوزيتانيا: وهي ولاية اندلسية تقع غربي الأندلس وشمال البرتغال كانت تابعة لمملكة بطليوس وبسبب بعدها كانت شبه مستقلة في إدارة شؤونها مما جعلها عرضة لغارات النصارى وكانت قاعدتها المرية. المطوي، الحروب الصليبية، ص٢٣.

(٤) حتاملة، أيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين، ص٨٥.

## سابعاً: الوصول الإسلامي لشبه الجزيرة الأيبيرية ٩٢هـ/٧١٠م.

حفلت المصادر بروايات تاريخية تخص قدوم المسلمين إلى شبه الجزيرة الأيبيرية إذ أنَّها لم تكن مجهولة بالنسبة لهم بل أنَّهم فكروا في الوصول اليها منذ أيام الخليفة الثالث عثمان بن عفان (٢٣-٣٥هـ/٦٤٣-٦٥٥م) [١]، الذي تنسب اليه بعض المصادر أنتداب المسلمين إلى فتحها سنة ٢٧هـ/٦٤٧م، وذكر إنَّه قال: ((اما بعد فأن القسطنطينية أنما تفتح من قبل الأندلس وأنكم إن فتحتموها كنتم شركاء من يفتحها في الاجر والسلام))[٢].

ولا نؤيد هذا الرأي إذ إنهُ من غير الممكن أَنْ يقدمَ المسلمون على الوصول لشبه الجزيرة الأيبيرية قبل أن يسيطروا بصورة كاملة على بلاد المغرب والقضاء على الوجود البيزنطي هنالك وعلى الرغم من انتصار المسلمين في معركة ذات الصواري سنة ٣٤هـ/٦٥٤م [٣]، إلاَّ أنَّ سيطرة المسلمين الكاملة على بلاد المغرب لم تتحقق إلاَّ في العقد الأخير من القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، أضافة إلى أنَّ عملية الوصول إلى شبه الجزيرة الأيبيرية والسيطرة عليها تحتاج إلى اسطول كبير وأنَّ المسلمون كانوا حديثي عهد في مجال سلاح البحرية الأمر الذي لا يمكنهم من الوصول إلى تلك المنطقة بسهولة لذا فأننا نستبعد هذا الراي كذلك أنَّ أولى المحاولات التي طُرحت لوصول المسلمين إلى الأندلس كانت في زمن الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٥م)[٤][٥].

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٠/٢٣٧.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/ ٢٥٣- ٢٥٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٣.

(٣) معركة ذات الصواري: هي معركة بحرية وقعت في سنة ٣٤ هـ/٦٥٤ م بين القوات الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية كان النصر فيها حليف المسلمين وتمثلت في نهاية سيطرة الدولة البيزنطية على البحر الأبيض المتوسط وتعتبر هذهِ المعركة أيضاً أول معركة بحرية خاضها المسلمون. العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية، ص٢٩-٣١.

(٤) الوليد بن عبد الملك: بن مروان، أبو العباس، من ملوك الدولة الأموية في الشام، ولي بعد وفاة أبيه في سنة ٨٦ هـ، فوجه القواد لفتح البلاد، وكان من رجاله موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد، وامتدت في زمنه حدود الدولة العربية إلى بلاد الهند، فتركستان، فأطراف الصين، شرقا، فبلغت مسافتها مسيرة ستة أشهر بين الشرق والغرب والجنوب والشمال، وهو أول من أحدث المستشفيات في الإسلام، وكانت وفاته بدير مران ودفن بدمشق، وكانت ومدة خلافته ٩ سنين و ٨ أشهر. الزركلي، الأعلام، ٨/١٢١.

(٥) الحسيني، حركة الأسترداد، ١/٣١.

على أية حال بعثَ موسى بن نصير (٩٢-٩٥هـ/٧١٠-٧١٤)[١]، رجلاً يدعى طريف بن مالك[٢]، ويُكنى بابي زرعة بعملية إستطلاعية من أجل فتح شبه الجزيرة الأيبيرية وأخذ معهُ أربعمائة من المسلمين رافقهم مائة فارس في جزيرة قريبة من الميناء المعروف الآن بأسم طريف، وإذ سُميَّ هذا الميناء بأسمه لنزولهِ به ومن هناك شن الغارة الإسلامية الأولى على أرض شبة الجزيرة الأيبيرية وكانت موفقة [٣]، وقد رافقت عملية الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس( المعارك والغزوات العسكرية) أحداث سببي سيتم التطرق لها في المحاور اللاحقة من هذهِ الدراسة.

إنّ توجه المسلمين إلى المغرب الإسلامي له أسباب متعددة، بما في ذلك الظروف السياسية والتوسع الإسلامي في تلك المنطقة خلال المدة الزمنية ففي سنة ٨٦هـ/٧٠٥م، أستكمل المسلمون سيطرتهم على المغرب الإسلامي وأصبح المغرب ولاية إسلامية، ثم بدأوا يفكرون في التوسع نحو شبه الجزيرة الأيبيرية، وهذا ما تم فعلاً في فترة حكم الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك، وبقيادة والي افريقيا موسى بن نصير، إذ توجه سنة ٩٢هـ/٧١٠م، نحو شبه الجزيرة الأيبيرية وتاريخياً يختلف المؤرخون حول تفاصيل تلك الحملة، بما في ذلك عدد المقاتلين العرب والبربر في الجيش إذ قيل أنهُ توجه بجيش مؤلف من سبعة آلاف مقاتل، وكان اغلبهم من البربر[٤]، بينما كان هناك ستةَ عشرَ رجلاً من

(١) موسى بن نصير: هو موسى بن نصير بن عبد الرحمن ابن زيد اللخمي بالولاء يلقب بأبو عبد الرحمن، وهو فاتح الأندلس، كان شخصية تاريخية بارزة في العصور الإسلامية، أصله من وادي القرى (بالحجاز)، وقد تم تعيينه كأمير لأفريقيا والمغرب ووواليها في السنة ٧٩ هـ وفي تلك الفترة،كان يتولى تعيين الولاة والحكام في المنطقة ويُقال أنه كان مولى لخم وكان يعتبر من التابعين، وكان يتمتع بالحكمة والكرم والشجاعة والتقوى في عبادة الله تعالى ولم يُهزم جيشه أبدًا في المعارك التي خاضها وكان والده نصير يخدم في حرس معاوية بن أبي سفيان ويُذكر أنه توفي في السنة ٩٧ هـ وهناك تقارير أخرى تشير إلى وفاته في السنة ٩٩هـ. ينظر، الحميدي، جذوة المقتبس، ص٣٣٨؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٤٥٧؛ الزركلي، الاعلام، ٣٣٠/٧.

(٢) طريف بن مالك المعافري: هو طريف بن مالك المعافري، من البربر، يكنى أبا زُرْعَة ويعد طريف البربري مولى موسى بن نصير، الذي تُنسب إليه جزيرة طريف، وينتسب إلى قبيلة بَرغَواطة البربرية من البرانس. خطاب، قادة فتح الأندلس، ٤١٦/١.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ٥/٢؛ المقري، نفح الطيب، ٢٥٤/١.

(٤) البربر: هم سكان منطقة شمال إفريقيا الذين استوطنوا في الاندلس وتعايش البربر مع العرب جنباً الى جنب وعقب وصول المسلمين إلى بلاد الأندلس، قام العديد من البربر بالهجرة الى شبه الجزيرة الأيبيرية وشارك البربر في حملة طارق بن زياد التي استهدفت جزيرة الأندلس، حيث استقروا في مناطق مختلفة في شبه الجزيرة الأيبيرية ونتيجة للطبيعة القاحلة لبعض هذهِ المناطق، قرروا التوجه جنوبًا نحو المناطق الأكثر خصوبة لتأسيس مستوطناتهم هناك. الكعاك، موجز التاريخ العام، ص٢٣.

العرب فـي الجيش [١]، ووفقـاً لرواية ابن خلدون ثـلاثمـائة رجل[٢]، وكانـوا بقيـادة طـارق بن زيـاد [٣]، عبـروا إلى الجزيرة الخضراء [٤]، ونزلـوا فـي جبلٍ يُعـرف بجبل كالبـي، وأطلـق عـليه فـيمـا بـعـد أسـم جبل طـارق[٥].

عند مناقشة هذا الرأي نجد أنَّه مـن الغريب أنَّ يقـوم مـوسى بن نصير بـإرسـال جـيش كبـير مـن البـربـر لـفتـح الأنـدلس بـاستثنـاء ثـلاثمـائة مقـاتل مـن العـرب وهـذهِ لأول مـرة فـي تاريخ الدولة الإسـلامية أنّ يقـوم جـيش كامـل مـن المغلـوبيـن فتـح بلد من البلاد الكبـرى كالأنـدلس، الأمـر الـذي يدل عـلى أن البـربـر قـد أسـلمـوا وأصبحوا يشكلـون قـوة كبـرى يُعتمـد عـليها فـي مثـل هـذهِ الحـمـلات [٦].

على اية حال كان الجيش الذي فتح الأندلس غالبيته من البربر وهذا إِنْ دلّ على شيء فأنّما يدل على أنْ الهدف من ذلك هو هدف سياسي بحت لجأت اليهِ الخلافة الأموية في دمشق لكي تتخلص من البربر ؛ وذلك لأنها كانت تنظر إلى فئة البربر بأنهم مصدر فتن وأضطرابات في الدولة الإسلامية ومصدر تهديد لمستقبل الخلافة فلعلها أرادت أنَّ تزج بهم في مهمة معقدة كهذهِ قد تنتهي بالفشل الذريع ويتحقق هدف الخلافة في التخلص من نفوذ البربر والقضاء على قوتهم او قد ينجح مشروع الفتح ولن تخسر الخلافة في كلا الحالتين[٧].

---

(١) ابن حبيب، كتاب التاريخ، ص١٦.

(٢) تاريخ ابن خلدون، ٤/١٥٠.

(٣) طارق بن زياد: هو طارق بن زياد بن عبد الله بن رفهو بن ورفجوم بن ينزغاســـن بن ولهاص بن يطوفت بن نفزاو، وهو بربري من نفزة وهو مولى موسى بن نصير من سبي البربر، وأنَّ أسمه الكامل هو طارق بن زياد النفزاوي البربري من افريقية وقد اشارت بعض المصـادر أنَّ اسمه طارق بن عمرو وليس طارق بن زياد، الا أنَّ المصـادر الاندلسية اتفقت على أنَّ اسمه طارق بن زياد وهو الاسم الذي اشتهر به، وذكرت مصـــادر اخرى بأنَّ اسمهُ طارق بن زياد الليثي من بني ليث من قضاعة اي أنه عربي من قضـاعة وقيل أنه من موالي صـدف الا أنه ليس من الصـدف ولا من بني ليث العرب، وأنَّ الذين نسـبوه الى بني الصـدف أرادوا أنه من مواليهم، كما أنَّ الذين نســبوه الى بني ليث العرب قصــدوا أنه من مواليهم أيضــاً لانهم يعلمون جيداً أنه بربري وليس عربي، وقد ولاه موسـى بن نصـير على مدينة طنجة، من ثم ولاه على قوات فتح الأندلس فقاد حملة كبرى تمكن بها من فتح شبه جزيرة إيبيريا سنة ٩٢هـ/٧١١م. ينظر، أبن عذاري، البيان المغرب ٢/٥؛ المقري، نفح الطيـب، ١/٢٣٠.

(٤) الجـزيرة الخضراء: المعروفة أيضًا باسم جـزيرة أم حكيم، تقع على بُعد أربعة وستون ميلاً من قلشانة تتميز الجـزيرة بأنها تقع على ربوة مرتفعة تطل على البحر، وتحدها سـور يربطها بالبحر سـورها متصـل به، وبشـرقيها خندق وغربيه أشـجار تين وأنهار عذبة، وبين الجزيرة الخضـراء وقرطبة خمسـة وخمسـون فرسـخا، وهي على نهر برباط. ينظر، الحموي، معجم البلدان، ٢/١٣٦؛ الحميري، الروض المعطار، ص٢٢٣.

(٥) المراكشي، المعجب، ص١٧؛ ابن عـذاري، البيان المغرب، ٢/ ٦؛ المقـري، نفح الطيـب، ١/ ٢٣١.

(٦) الحسيني، حركة الأسترداد، ١/٣٩-٤٠.

(٧) الحسيني، حركة الأسترداد، ١/٣٩.

توجه طارق بن زياد وجيشه إلى أراضي شبه الجزيرة الأيبيرية واستخدم الجيش أربع سفن في رحلتهم، ومع ذلك فأنَّ المصادر التاريخية لم تتفق حول تفاصيل تلك السفن بالنسبة لعائديتها أو ملكيتها، وأبحروا ليلاً حتى وصلوا إلى الجبل المعروف الآن بأسم "جبل طارق" وقد حدث ذلك في شهر رجب سنة ٩٢هـ/ ابريل سنة ٧١٠م [١].

أشار صاحب كتاب أخبار مجموعة[٢]، إنَّ الوقت الذي نزل فيه طارق بن زياد إلى الأندلس، كان الملك لذريق[٣]، مشغولاً بأخماد ثورة قد اندلعت ضده في بنبلونة[٤]، هذا الوضع المضطرب سهل على طارق بن زياد مواصلة تقدمه نحو أراضي الأندلس، إذ كان طارق بن زياد أول من توجه نحو الجزيرة الخضراء[٥]، وحدثت مناوشات بين جيشه وجيش القوط[٦]، فانهزم القوط أمام جيش طارق بن زياد، بعد ذلك قررَ طارق بن زياد التوجه نحو الشمال حيث مدينة قرطبة[٧]، التي تعد من المدن المهمة

(١) أبن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٤٦؛ المقري، نفح الطيب، ١/ ٢٥٤.

(٢) مؤلف مجهول، ص١٧.

(٣) لُذَريق: وهو ملك القوط اسمه رودريك Roderic والعرب تسميه لُذَريق او رُذريق، انتخبه مجموعة من كبار ورؤساء القوط ليكون ملكاً عليهم خلفاً لغيطشة، واستعدوا لمؤازرته والقضاء على منافسيه بكل قوة، فقام بمحاربة طارق بن زياد وجيوشه عندما اقدم الأخير على فتح شبه الجزيرة الايبيرية وقيل انه قُتل على يد طارق في ارض المعركة سنة اثنان وتسعون للهجرة. ينظر، الزركلي، الأعلام، ٢١٧/٣؛ خطاب، قادة فتح الأندلس ١٣٢/١.

(٤) بنبلونة: هي مدينة بالأندلس بينها وبين سرقسطة مائة وخمسة وعشرون ميلاً بها كانت مملكة غرسية بن شانجة سنة ثلاثين وثلثمائة، وهي بين جبال شامخة وشعاب غامضة قليلة الخيرات أهلها فقراء جاعة لصوص، وأكثرهم متكلمون بالبشقية اي لغة البشكنس، لا يفهمون، وخيلهم أصلب الدواب حافراً لخشونة بلادهم، ويسكنون على البحر المحيط في الجوف. الحميري، الروض المعطار، ص١٠٤.

(٥) عنان، دولة الإسلام، العصر الأول، القسم الأول، ص٤١؛ حتاملة، الأندلس التاريخ، ص٦٦؛ العبادي، دراسات، ص٢١-٢٢.

(٦) القوط: هم قبائل يرجع أصلهم إلى المنطقة الواقعة على ضفاف بحر البلطيق، ونسب القوط الى ماداي بن يافث وجعل من إخوانهم الأرمن، ثم نسب القوط مرّة أخرى إلى ماغوغ بن يافث، وقد نزحوا من موطنهم الأصلي إلى الشواطئ الشمالية الغربية من البحر الأسود وذلك في القرن الثاني للميلاد، الا انهم تفرعوا إلى جبهتين إذ توجه القوط الشرقيون إلى السهول الجنوبية من روسيا، اما القوط الغربيون فقد توجهوا إلى منطقة ترانسلفانيا والبلقان حيث استقروا عند الضفة الأخرى من نهر الدانوب وفقا للخيار، بعدها انتقلوا إلى مناطق متعددة ومنها شبه الجزيرة الأيبيرية ينظر، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ٢١٨/٢؛ براون، تاريخ أوربا، ص٨٨-٨٩؛ طرخان، دولة القوط، ص٣٢-٣٣.

(٧) قرطبة: هي مدينة مهمة من مدن الأندلس، تقع في وسط بلاد الأندلس وتُعتبر المقر الرئيسي والمستقر لخلافة الأمويين في الأندلس، وتمتاز بوجود آثارهم البارزة فيها، ومسجدها الجامع من أكبر مساجد الإسلام، وبها كنيسة الأسرى، وهي مقصودة معتبرة عند النصارى. ينظر، الحموي، معجم البلدان، ٧/ ٥٣-٥٤؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٥٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٥٦.

وإنّ السيطرة عليها أمر في غاية الأهمية ؛ لما فيه من كسر لشوكة القوط[١]، فزحف إليه لذريق بجميع عساكرهِ ورجالهِ وأهل مملكته فلما أنتهى إلى الموضع الذي فيه طارق بن زياد خرج اليه[٢]، تم لقاء الجيشين في منطقة كورة شذونة [٣]، جنوب غرب أسبانيا، بالقرب من ضفاف نهر وادي بكة أو لكة [٤]، أستمرت المعركة لمدة ثمانية أيام، وتوجت بالنصر لصالح المسلمين الذين فتحوا الأندلس[٥].

بناءً على تلك المعطيات توجه طارق بن زياد إلى قرمونة [٦]، ومن ثم إلى إشبيلية [٧]، وقام بالتوصل إلى إتفاق مع سكان المدينة بدفع الجزية، بعد ذلك قام موسى بن نصير بكتابة رسالة إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك لإخباره بالنجاحات التي حققها طارق بن زياد في حملته العسكرية[٨].

بعد النجاحات التي حققها المسلمون في حملتهم العسكرية بقيادة طارق بن زياد، شعر جنود القوط الهاربين من معركة وادي لكة بالتهديد الذي بات يهددهم فاجتمعوا في مدينة

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٨/٢.

(٢) ابن القوطية، تاريخ أفتتاح، ص٣٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٨/٢.

(٣) كورة شذونة: تقع كورة شذونة في الأندلس وتحدها كورة مورو تمتد كورة شذونة على مسافة خمسين ميلاً وتندرج ضمن فئة الكور المجندة ذات الأهمية الاستراتيجية، حيث قام جند فلسطين من العرب بالاستيلاء عليها وتعد موقعًا هامًا جدًا يجمع بين البر والبحر وتتميز بمواردها الطبيعية الغنية وكورة شذونة كورة جليلة القدر، جامعة لخيرات البر والبحر، كريمة البقعة، عذبة التربة. ينظر، الحميري، الروض المعطار، ص٣٣٩؛ صفة جزيرة، ص١٠٠.

(٤) وادي لكة: هو منطقة تقع في الأندلس القبلية على ساحل الجزيرة وفيه تم لقاء طارق بن زياد، الذي كان مولىً لموسى بن نصير، بجموع القوات الداخلة إلى الأندلس بقيادة لُذَريق. ينظر، الحميري، الروض المعطار، ص٦٠٥؛ صفة جزيرة، ص١٩٣.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ٨/٢؛ ابن القوطية، تاريخ أفتتاح، ص٣٣.

(٦) قرمونة: المعروفة أيضًا باسم "كارب مويه" في اللغة اللاتينية، هي مدينة اندلسية تقع في الشرق من مدينة اشبيلية وتبعد قرمونة نحو خمسة واربعون ميلاً عن مدينة استجة وبينها وبين مدينة قرطبة مسافة اربعة ايام، وتعتبر واحدة من المدن ذات الاهمية التاريخية في الاندلس. ينظر، الاصطخري، المسالك والممالك، ص٤٧؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٦١؛ صفة جزيرة، ص١٥٨.

(٧) أشبيلية: هي مدينة كبيرة عامرة ذات أسوار حصينة وأسواق كثيرة، تقع مدينة أشبيلية في إقليم الأندلس بجنوب إسبانيا، و تبعد أشبيلية عن مدينة قرطبة مسافة تقدر بثمانية أيام مسيرًا، ما يُعادل تقريبًا ثمانون ميلاً و أن أصل تسمية المدينة يعود إلى اللغة اللاتينية "أشبالي" والتي تعني "المدينة المنبسطة"، وبين الشرف واشبيلية ثلاثة أميال والشرف سمي بذلك لأنه مشرف من ناحية اشبيلية. ينظر، الأدريسي، نزهة المشتاق، ٥٤١/٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥٨.

(٨) أبن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٣٥-٤٠.

استجة[١]، التي كانت من المدن الحصينة والقوية فأشتبك عسكرها مع المسلمين ودخلوا في حرب حامية الوطيس وقد حدث تغيرات في توازن القوى نظراً لتفوق القوط العسكري الا أنَّ النصر كان حليف المسلمين[٢]، وبعد ذلك دخل طارق بن زياد إلى طليطلة[٣]، واستقر فيها فترة قصيرة [٤]، ثم قرر مواصلة تقدمه وأرسل حملات عسكرية عدة نحو مدن أخرى بما في ذلك: قرطبة، مالقة [٥] والبيرة[٦]، تمكن المسلمون من السيطرة على هذهِ المدن بالكامل بفضل القوة العسكرية [٧].

تلقى طارق بن زياد توجيهاً من موسى بن نصير يأمره فيه وقف العمليات العسكرية حتى وصول حملته إليه، أو حتى حدوث هزيمة القوات القوطية كان الهدف من ذلك الحفاظ على حياة المسلمين والحفاظ على الانتصارات

(١) أستجة: وهي مدينة كبيرة تقع على الضفة اليسرى لنهر شنيل، وهي مدينة قديمة لم يزل أهلها في جاهلية وإسلام على انحراف وخروج من الطاعة،وكان لها من الأبواب: باب القنطرة شرقي، باب اشبونة قبلي، باب رزق غربي، باب السويقة جوفي، وغيرها من الأبواب بينها وبين اشبيلية ثمانين كيلو متر، كما أنها مبنية على الرصيف الأعظم، ويبلغ سكانها نحو ثلاثين الفا. ينظر، الحميري، الروض المعطار، ص٥٣؛ عنان، الآثار الأندلسية، ص٧٧.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/ ٩-١٢؛ المقري، نفح الطيب، ١/ ٢٦٠.

(٣) طليطلة: مدينة قديمة وكبيرة بالأندلس تقع في وسط شبه جزيرة أيبريا على مسافة ٩١ ك جنوبي غربي مدريد ويحيط بها نهر التاجو من جهات ثلاث في واد عميق بينها وبين البرج المعروف بوادي الحجارة خمسة وستون ميلاً، وهي مركز لجميع بلاد الأندلس، لأن منها إلى قرطبة تسع مراحل، ومنها إلى بلنسية تسع مراحل أيضاً، ومنها إلى المرية في البحر الشأمى تسع مراحل أيضاً وطليطلة عظيمة القطر، كثيرة البشر، وهي كانت دار الملك بالأندلس حين دخلها طارق و تسمى مدينة الملوك وهي واسعة الأقطار عامرة الديار، أزلية من بناء العمالقة الأولى العادية ولها أسوار حصينة. ينظر، القزويني، آثار البلاد، ص٥٤٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٩٣؛ صفة جزيرة، ص١٣٠.

(٤) المقري، نفح الطيب، ١/ ٢٦١.

(٥) مالقة: مدينة ساحلية بالأندلس عامرة من أعمال ريّة سورها على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء والمرية، وهي تقع على شاطئ البحر، وتتميز بوجود سور صخري يحيط بها ويمتد على طول الساحل تتميز المدينة بموقعها الجميل حيث يتواجد البحر في قلبها تعتبر مالقة مدينة جميلة ومزدهرة، وتتمتع بكثرة الديار فيها. ينظر، الحموي، معجم البلدان، ٥/٤٣؛ الحميري، صفة جزيرة، ص١٧٧-١٧٨.

(٦) البيرة: وهي كورة كبيرة من الأندلس ومدينة متصلة بأراضي كورة قبرة، بين القبلة والشرق من قرطبة، بينها وبين قرطبة تسعون ميلا، وأرضها كثيرة الأنهار والأشجار، وفيها عدّة مدن، وتعد من أكرم المدن وأطيبها شديدة الشبه بغوطة دمشق في غزارة الأنهار والتفاف الأشجار وكثرة الثمار وبها معادن الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والصفر، ومعدن التوتيا ومقطع الرخام، وتحمل هذه الأشياء منها إلى سائر بلاد الأندلس. ينظر، الحموي، معجم البلدان، ١/٢٤٤؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٠٢.

(٧) أبن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٤٨؛ ابن عبد الحكم، فتوح أفريقيا والأندلس، ص٧٦.

الكبيرة التي حققها [١]، إلا إنَّ طارق بن زياد خالف توجيهات موسى بن نصير وتوغل في أراضي شبه الجزيرة الأيبيرية قد تكون الأسباب وراء هذا القرار متعددة بما في ذلك دافع توسيع النفوذ الإسلامي في المنطقة واستغلال الفرص العسكرية المتاحة وتختلف المصادر التاريخية في تقدير عدد المقاتلين الذين اجتازوا البحر مع موسى بن نصير، فقد ذكرت بعض المصادر إن الجيش كان يتألف من حوالي عشرة آلاف مقاتل[٢]، في حين ذكرَ آخرون إنَّ العدد يصل حوالي ثمانية عشر ألف مقاتل[٣]، وهذا التباين في التقديرات يُعزى إلى صعوبة تحديد الأعداد بدقة في ذلك الوقت، واعتماد المصادر على التقديرات والروايات المتاحة لديهم.

بغض النظر عن عدد المقاتلين الفعلي، فإنَّ توغل طارق بن زياد في شبه الجزيرة الأيبيرية واستيلائه على المناطق المختلفة أدى إلى استياء موسى بن نصير، وبعد توغل طارق بن زياد في شبه الجزيرة الأيبيرية، قرر موسى بن نصير التوجه إلى مناطق جديدة في الجزيرة الخضراء، هذا القرار جاءَ بناءً على توصيات الحاضرين الذين أشاروا إلى وجود طُرقٍ غير مستكشفة من قبل طارق بن زياد وبالتالي، قاد موسى بن نصير قواته إلى مدينة شذونة[٤]، وقام بهجومٍ عنيفٍ عليها فتمكن من فتحها بالقوة ويُعد استيلاءه على مدينة شذونة من بين أول انتصاراته في تلك المناطق[٥].

بعد استيلاء موسى بن نصير على شذونة توجه إلى مدينة قرمونة التي كانت تُعد إحدى المدن الحصينة والمنيعة في الأندلس ومع أهمية قرمونة كمحور استراتيجي، أصر موسى بن نصير على استعادة السيطرة عليها ؛ لضمان استقرار خطوط المواصلات بين الجزيرة الخضراء وقرطبة ولتحقيق هذا الهدف استخدم موسى بن نصير حيلة وذكاء استراتيجي إذ نظم حملة عسكرية وسيطر على المدينة بنجاح، وبهذا نجح في تأمين خطوط المواصلات بين الجزيرة الخضراء وقرطبة مِمَّا أسهمَ في تعزيز السيطرة الإسلامية على تلك المنطقة كما أنَّ استيلاء موسى بن نصير على قرمونة يُعد أحد الانتصارات الهامة التي حققها في غزوه للأندلس، إذ ساهم في توسيع نفوذ الدولة الإسلامية في المنطقة، وتوحيد الأراضي التي تخضع للحكم الإسلامي[٦].

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ١٦/٢؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ١٥٠/٤.

(٢) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٤٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٣/٢.

(٣) مؤلف مجهول، فتح الأندلس، ص٢٤-٢٥؛ المقري، نفح الطيب، ١/ ٢٦٩.

(٤) شذونة: بفتح أوّله، وبعد الواو الساكنة نون، وهي مدينة بالأندلس تتصل نواحيها بنواحي موزور من أعمال الأندلس، وهي منحرفة عن موزور إلى الغرب مائلة إلى القبلة، ينسب إليها خلف بن حامد ابن الفرج بن كنانة الكناني الشذوني قاضي شذونة محدّث مشهور. ينظر، الحموي، معجم البلدان، ٣٢٩/٣؛ البغدادي، مراصد الأطلاع، ٧٨٦/٢

(٥) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٢٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١/ ١٤.

(٦) الحامد، الجزيرة الخضراء، ص٧٠-٧١.

وعلى وفق تلك المعطيات وبعد استيلاء موسى بن نصير على قرمونة تطلع إلى السيطرة على مدينة أشبيلية التي كانت تحت سيطرة القوط، ومع أهمية أشبيلية كمدينة تجارية وعسكرية، كانت عملية السيطرة عليها شُكّل تحدياً بالنسبة لموسى بن نصير، وبدأ موسى بن نصير بفرض حصار على أشبيلية لعدة أشهر، وزاد من شدة الحصار كي تضعف قوة المقاومة داخل المدينة في النهاية تمكّن من اقتحام المدينة بعد هروب حامية المدينة صوب مدينة باجة [١]، وقد تسببَ أيضاً تدخل الجالية اليهودية في أشبيلية في ضعف المقاومة وتسهيل دخول قوات موسى بن نصير إلى المدينة [٢].

نجحَ موسى بن نصير في تحقيق السيطرة عليها ثم قرر التوجه لفتح ماردة [٣] ؛ لاستكمال حملته العسكرية وعندما علم سكان ماردة بقدوم موسى بن نصير لمحاربتهم، قرروا الخروج من المدينة لمواجهته وحدثت معركة حاسمة بين قوات موسى بن نصير وسكان ماردة، حيث تصاعدت الاشتباكات والصراعات العنيفة [٤]، رغم المقاومة الشرسة التي قدمها سكان ماردة، نجح موسى بن نصير في النهاية في تحقيق السيطرة على المدينة والاستيلاء عليها في شوال سنة ٩٤هـ/تموز٧١٣م، وعاهد أهلها على عدم التعرض بالأذى للسكان المحليين الذين يبقون في المدينة او الذين يغادرونها إلى مكان آخر كما أستولى موسى بن نصير وهو في طريقهِ إلى ماردة على بلده لقنت [٥].

نظراً للضرورة العسكرية تم تنظيم لقاء بين القائدين موسى بن نصير وطارق بن زياد بالقرب من نهر تاجة[٦]، وبعد هذا اللقاء بدأ القائدان في التخطيط لعمليات عسكرية لمواصلة الفتح والتوسع العسكري

(١) باجة: مدينة في الاندلس بنيت في أيام الأقاصرة، وبينها وبين قرطبة مائة فرسخ، وهي من الكور المجندة، نزلها جند مصر وكان لواؤهم في الميسرة بعد جند فلسطين، وهم النازلون بشذونة، وتعد من أقدم مدن الأندلس بنياناً وأولها اختطاطاً وإليها انتهى يوليش جاشر وهو أول من تسمى قيصر وهو سماها باجة، ولها معاقل موصوفة بالمنعة والحصانة. ينظر، الحميري، الروض المعطار، ص٧٥؛ صفة جزيرة، ص٣٦.

(٢) فيما يتعلق بموقف اليهود من الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس ينظر، الخالدي، اليهود في الدولة العـــــربية الإسلامية في الأندلس، ص١٥٩؛ الحسيني، التسامح الإسلامي، ص١٢٧-١٢٩.

(٣) ماردة: مدينة بجوفي قرطبة منحرفة إلى الغرب قليلا، وكانت مدينة ينزلها الملوك الأوائل، فكثرت بها آثارهم والمياه المســتجلبة إليها، وكان قد أحدق بها سور عرضه اثنتا عشرة ذراعا وارتفاعه ثماني عشرة ذراعا، وهي مدينة رائقة، كثيرة الرخام، عالية البنيان، فيها آثار قديمة حسنة، تقصد للفرجة والتعجب، وبينها وبين قرطبة ستة أيام. ينظر، البكري، المسالك والممالك، ٩٠٦/٢؛ البغدادي، مراصد الأطلاع، ١٢١٨/٣.

(٤) ابن القوطية، تاريخ أفتتاح، ص٣٥؛ المقري، نفح الطيب، ١/ ٢٧٠.

(٥) لقنت: هي مدينة صغيرة عامرة تقع في الأندلس وتبعد سبعون ميلاً عن مدينة دانية تعتبر هـــــذهِ المدينة مركزًا حضريًا يحتوي على سوق حيوي ومسجد كبير ومجهز بمنبر تستخدم هـــذهِ المدينة كنقطة انطلاق للخلفاء الأندلسيين للسفر إلى بلاد البحر وبها فواكه وبقل كثير وتين وأعناب، ولها قصبة منيعة جداً. ينظر، الحميري، الروض المعطار، ص٥١١؛ صفة جزيرة، ص١٧٠.

(٦) نهر تاجة: وهو نهر موصوف من أنهار العالم وعليه على بعد من طليطلة قنطرة عظيمة بناها ملوك سالفة وهي من البنيان الموصوف. ينظر، مؤلف مجهول، حدود العالم، ص٦٧؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٢٧؛ صفة جزيرة، ص٦٢.

تم تشكيل قوة كبيرة بقيادتهم وتحركوا نحو الشمال الشرقي حيث وصلوا إلى مدينة سرقسطة[١]، تمكنوا من السيطرة على المدينة دون مواجهة أي مقاومة ملحوظة بالإضافة إلى ذلك فقد سيطروا على كل من: لبلة[٢]، طركونة[٣]، برشلونة[٤]، لاردة[٥]، وشقة[٦] ومرسية[٧]، توغل موسى بن نصير في الشمال الأسباني ووصل إلى جنوب غالة (فرنسا) [٨]، نجح في فتح كل من قرمونة واربونة، وكذلك مدينة ليون[٩].

(١) سرقسطة: هي مدينة تقع في شرق الأندلس وتعتبر قاعدة مهمة ضمن المستوطنات الأندلسية، ومدينة سرقسطة هي المدينة البيضاء وسميت بذلك لكثرة جصها وجيارها، تتميز المدينة بقطرها الواسع ومساحتها الشاسعة، وتتمتع بشوارع واسعة تتميز أيضًا بمناظرها الجميلة ومساكنها الرائعة، وتتصل بها الجنان والبساتين، وتقع على ضفاف نهر كبير ينبع من جبل قلعة أيوب ومن مصادر أخرى، يتدفق هذا النهر ويتفرع في أنحاء المدينة. ينظر، الأدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٤/٢؛ الحموي، معجم البلدان، ٥/ ٧١؛ الحميري، الروض المعطار ص٣١٧.

(٢) لبلة: هي مدينة قديمة تقع في غرب الأندلس وتتميز بوجود ثلاثة عيون واحدة من هـــذهِ العيون هي عين تهشر وتعتبر الأكثر وفرة العين الثانية تنبعث بالشـــب، أما العين الثالثة فتنبعث بالزج تبعد مدينة إشبيلية عن لبلة مسافة عشرين ميلاً، وكذلك تبعد طلياطة عن لبلة مسافة مماثلة. ينظر، الحميري، الروض المعطار، ص٥١١-٥١٢؛ صفة جزيرة، ١٦٨-١٦٩.

(٣) طركونة: تُعَدُّ طركونة إحدى المدن الازلية وتقع في غرب الأندلس على بُعد خمسين ميلاً تقريبًا من مدينة لاردة، على شاطيء البحر الشامي بقرب طرطوشة، وتُعَتَبَر طركونة مدينةً ذات أهمية تاريخية وثقافية بارزة، قام الحاكم الأموي قسطنطين بإدراج طركونة في القسم الثالث من الأندلس، وجعلها قاعدةً استراتيجيةً للحكم والسيطرة، تم دمج طركونة مع مدن أخرى في المنطقة لتشكيل هيكلٍ إداري قوي ومنظم. ينظر، القزويني، آثار البلاد، ص٥٤٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٩٢.

(٤) برشلونة: هي مدينة من مدن الأندلس، وتبعد حوالي خمسين ميلاً عن طركونة تتميز برشلونة بموقعها الساحلي على البحر، وعليها سور منيع والدخول إليها والخروج عنها إلى الأندلس على باب الجبل المسمى بهيكل الزهرة، ويسكن برشلونة ملك إفرنجة، وهي دار ملكهم. ينظر، الحميري، الروض المعطار، ص٨٦؛ صفة جزيرة، ص٤٢.

(٥) لاردة: بالراء مكسورة، والدال المهملة هي مدينة مشهورة بالأندلس شرقي قرطبة تتصل أعمالها بأعمال طرّكونة منحرفة عن قرطبة إلى ناحية الجوف، تقع في ثغر الأندلس الشرقي وتأسست على ضفاف نهر يعرف بشيقر، وهو نهر ينبع من أراضي جليقية، ينظر، الحموي، معجم البلدان، ٧/٥؛ البغدادي، مراصد الأطلاع، ١١٩٤/٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥٠٧.

(٦) وشقة: هي مدينة حصينة في الأندلس، وتتميز بوجود سورين مبنيين من الحجر يحيطان بها، وتبعد مدينة وشقة عن سرقسطة مسافة أربعون ميلا ومن وشقة إلى لاردة سبعون ميلا، تُعتبر وشقة مدينة حضرية مزدهرة، حيث تحتوي على متاجر وأسواق نشطة. ينظر الأدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٤/٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص٦١٢.

(٧) مرسية: مدينة بالأندلس من أعمال تدمير اختطها عبد الرحمن ابن الحكم بن هشام واتخذت دار العمال وقرار القواد. ينظر، الحموي، معجم البلدان،١٠٧/٥؛ البغدادي، مراصد الأطلاع، ١٢٥٨/٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٥٣٩.

(٨) الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٩٥؛ حتاملة، الأندلس التاريخ، ص٩١؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص٣٨-٣٩.

(٩) ليون: وهي مدينة عامرة وقاعدة من قواعد قشتالة تقع في شمالي غربي الاندلس، عن مدينة سمورة مسافة أربعة أيام وهي مائة ميل، وبها رجال محاربون ولهم معاملات وتجارات بالمكاسب والنتاج ولأهلها همة، اتحدت ليون مع قشتالة. ينظر، الادريسي، نزهة المشتاق، ٧٣١/٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥١٤.

توسّع المسلمون في الأندلس ووصلوا إلى مناطق نائية الأمر الذي أثار حفيظة القادة والجنود الذين كانوا يرافقون موسى بن نصير في تلك الحملة بعد ذلك، قام موسى بن نصير بالتقدم لفتح جيليقة[١]، وأبدى إصراراً شديداً على فتحها وجاء هذا الإصرار ؛ لأنه لم يبقَ بلد في الأندلس لم يدخله المسلمون سوى جيليقة أو غالسيا، خلال مسيرته نحو جيليقة، استمر موسى بن نصير في التقدم والتوسع وتلقى المبعوث بيد مغيث الرومي [٢]، بعدها تلقى رسالة من الخليفة الوليد بن عبد الملك يأمره فيها بوقف عملياته العسكرية ومغادرة الأندلس تسبب هذا الأمر في إحباطه وقطعه عن إرادته [٣]، ومع ذلك كان موسى بن نصير مصراً على تحقيق الهدف الذي جاء من أجله، تواصل موسى بن نصير مع مغيث الرومي واتفق معه على أنْ ينتظره ليصبح شريكاً له في الأجر والغنائم ووافق مغيث على هذا الاتفاق وسار معه حتى وصلوا إلى المفازة وتم فتح حصن بارو[٤]، يذكر أن موسى بن نصير منح مغيث الرومي القصر الذي كان يسكنه حاكم قرطبة، ووافق مغيث الرومي على هذا العرض، ثم تابع سيره نحو أراضي جيليقة أو غاليسيا وقشتالة القديمة بهدف فتح تلك المناطق فيما بعد، قام موسى بن نصير بتقسيم الجيش إلى قسمين، حيث قاد قسماً من الجيش بنفسه وكان طارق بن زياد يقود القسم الآخر وفي ذلك، سلك طارق بن زياد مساراً يمتد على الجانب الشمالي لوادي نهر الإيبرو[٥]، فأتجه طارق بن زياد بجيشه نحو منطقة الباسك فتوغلَ بها وتمكنَ من فتح أماية [٦]، وأستورقة [٧]، وأكمل فتح هذهِ المناطق[٨].

(١) جليقية: مملكة اسبانية تقع في ناحية قرب ساحل البحر المحيط من ناحية شمالي الأندلس في أقصـــــاه من جهة الغرب، وصل إليه موسى بن نصير لما فتح الأندلس، وهي تلي الغرب وينحرف إلى الجوف وساكنوه هم الجلالقة وكانوا حوالي مدينة براقرة الّتي هي متوسّطة الغرب. ينظر، البكري، المسالك والممالك، ٩١٢/٢؛ الحموي، معجم البلدان، ١٥٧/٢.

(٢) مغيث الرومي: يعد أحد أبرز قواد طارق بن زياد في قرطبة، وقد بعثه طارق وموســـى إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك ليخبره بالأنتصـــارات التي حققاها، فعاد مغيثاً فوراً ليخبر كل من موســـى وطارقاً بالرجوع إلى دمشـــق، وقد توفي في ســـنة ١١٨هـ/٧٣٦م. النباهي، المرقبة العليا، ص٥٤.

(٣) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٩؛ المقري، نفح الطيـب، ١/ ٢٧٥.

(٤) مؤلف مجهول، فتح الأندلس، ص٢٩؛ المقري، نفح الطيـب، ١/ ٢٧٦.

(٥) مؤنس، فجر الأندلس، ص ١٠٤؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص١٠٢.

(٦) أماية: هي مدينة اندلسية موقعها في الجزء الثالث مدنها كل من برشلونة وبنبلونة في منطقة بلاد البـــرتغال حالياً. البكري، جغرافية الأندلس وأوربا، ص٦٢.

(٧) استورقة: وهي احدى المدن الصغيرة والمتحضرة من مدن اشـتوريس وصل اليها العرب وهدموا حصونها تقع في الجزء الثاني من الأندلس حسب قسمة قسطنطين وبينها وبين ليون مرحلة. الأدريسي، نزهة المشتاق، ٢/ ٧٣١.

(٨) مؤلف مجهول، فتح الأندلس، ص٣٦؛ المقري، نفح الطيـب، ١/ ٢٧٦.

قاد موسى بن نصير حملات عسكرية على المناطق المجاورة لصخرة بلاي[١]، وتمكن من السيطرة على تلك المنطقة بالكامل أستوطن المسلمون في هذهِ المناطق واستخدم موسى بن نصير مدينة خيخون[٢]، كمركز لعملياته العسكرية من الوارد أن تكون حملات موسى بن نصير وطارق بن زياد قد شملت مناطق شبه الجزيرة الأيبيرية بشكل عام[٣]، وقد وصلوا إلى مناطق مثل جيليقية أو غاليسيا وأشتوريس[٤].

في سياق التطورات التي شهدها الجيش الإسلامي في الأندلس، وصل مبعوث آخر من الخليفة الوليد بن عبد الملك بيد المغيث الرومي إلى موسى بن نصير ليبلغه بوقف العمليات العسكرية ومغادرة بلاد الأندلس فور استلام الرسالة [٥]، وبناء على ذلك فقد استعد كل من موسى بن نصير وطارق بن زياد للمغادرة وبدأ رحلة العودة في سنة ٩٥ هـ / ٧١٤ م، وترك موسى بن نصير ولده عبد العزيز (٩٥ – ٩٧ هـ /٧١٤ – ٧١٦ م) [٦]، يتولى المسؤولية كخليفة له في مدينة إشبيلية[٧].

بعد هذا العرض التاريخي لفتح المسلمين لبلاد شبه الجزيرة الأيبيرية علينا أن نطرح السؤال الآتي هل إنَّ هذهِ العمليات العسكرية رافقها سبي أم أنَّ المسلمين لم يقوموا بسبي النصارى الأسبان وتعاملوا معهم معاملة حسنة دون الاساءة لهم الامر الذي ستتكفل الدراسة بالاجابة عن هذا السؤال.

(١) المقري، نفح الطيب، ١/ ٢٧٦.

(٢) خيخون: لم أعثر على ترجمة لها في كتب البلدان. يبدو إنها مدينة تقع في شمال اسبانيا تفصل بين اسبانيا وفرنسا.

(٣) مؤنس، فجر الأندلس، ص١٠٥؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص٣٩؛ طه، الفتح والاستقرار، ص١٨٣.

(٤) أُسْتُورِيسُ: بالضم: حصن من أعمال وادي الحجارة بالأندلس أحدثه محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الأموي صاحب الأندلس، هي منطقة جغرافية تقع إلى أقصى الشمال الغربي لشبه الجزيرة الأيبيرية وتعتبر القسم الثاني من أقسام جليقية الأربعة وسميت بهذا الأسم وهو أسم وادٍ لأهلها يقال له آشترو. البكري، جغرافية الأندلس وأوربا، ص٧١-٧٢؛ الحموي، معجم البلدان،١/١٧٦؛ البغدادي، مراصد الأطلاع، ص٧١.

(٥) المقري، نفح الطيب، ١/ ٢٧٦.

(٦) عبد العزيز بن موسى بن نصير: والي أموي استخلفه والده ليتولى الحكم على الأندلس عندما غادرها في سنة ٩٥هـ، فضبطها وسدد أمورها وحمى ثغورها، وافتتح مدائن وكان شجاعاً حازماً، فاضلاً في أخلاقه وسيرته، خلال فترة ولايته تم تعيينه والياً على الأندلس ومع ذلك يُقال أن سليمان بن عبد الملك أرسل جنودًا إلى هناك وقتلوه، وأحضروا رأسه كدليل على موته. ينظر، الحميدي، جذوة المقتبس، ص٥؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٣٨٦؛ الزركلي، الأعلام، ٤/٢٨.

(٧) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/ ٢٠.

# الـفصل الأول

## السـبـي فـي بـلاد الأنـدلـس مـن الـفتـح الإسـلامي حتـى نهاية عصـر الأمـارة الأمـوية (٩٢ - ٣١٦هـ/ ٧١٠ - ٩٢٩م)

المبحث الاول: سبي المسلمين للنصارى الاسبان في بلاد الاندلس

المبحث الثاني: سبي النصارى للمسلمين في بلاد الاندلس

# المبحث الاول

# سبي المسلمين للنصارى الإسبان في بلاد الأندلس

يُعد موضوع السبي من المواضيع المهمة في التاريخ الأندلسي ؛ لأنَّه نتاجاً طبيعياً للحروب المتواصلة بين المسلمين والنصارى في شبه الجزيرة الأيبيرية، إذ إنَّ الصراع لم يتوقفْ بينهم مِمّا جعل النصارى في الشمال الأسباني ودول الفرنجة يشنون الحروب على المسلمين محاولين استرداد ما يمكن أسترداده من سلطة المسلمين على مدى القرون الثمانية التي قضاها المسلمون في الأندلس (٩٢-٨٩٧هـ/ ٧١٠-١٤٩٢م)، الأمر الذي اثار حفيظة النصارى الأسبان في شبه الجزيرة الأيبيرية، فوقعت العديد من المعارك والغزوات بينهم ترتب على اثرها الكثير من حالات السبي بدأت منذ أنَّ قرر المسلمون دخول الأندلس بغية فتحها سنة (٩٢هـ/٧١٠م).

## أولاً: حملة طريف بن مالك المعافري الاستطلاعية سنة ٩١هـ/٧٠٩م.

بعد أَنْ أدركَ قادة المسلمين في المغرب إنّهُ من الضروري زيادة رقعة الدولة الإسلامية أستأذن والي افريقيا موسى بن نصير الخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك، في التوسع نحو شبه الجزيرة الأيبيرية فوافقه الرأي فقام موسى بن نصير بإرسال حملة عسكرية بقيادة القائد طريف بن مالك المعافري الذي يُكنى بأبي زرعة بعملية أستطلاعية من أجل فتح شبه الجزيرة الأيبيرية ومن الرؤى الداعة لذلك هو ماحدث في سنة (٩٠هـ/٧٠٩م)[١]، أو سنة (٩١هـ/٧١٠م)[٢]، حسب اختلاف الروايات، وأخذَ معه ما يقارب اربعمائة من المسلمين رافقهم مائة فرس نزلوا في جزيرة بالوماس والتي عرفت فيما بعد بأسم جزيرة طريف[٣]. عبر طريف بن مالك مضيق جبل طارق بن زياد في رمضان سنة ٩١هـ/آب ٧١٠م[٤]، على رأس حملة عسكرية استطلاعية استطاع فيها أن يحقق الهدف المرجو منها فعاد إلى بلاد المغرب سالماً غانماً [٥].

(١) احمد بدر، دراسات في تاريخ الأندلس، ص ١٥.

(٢) مؤلف مجهول، اخبار مجموعة، ص٦؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٤٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٥؛ المقري، نفح الطيب، ص٢٥٤.

(٣) مؤلف مجهول، اخبار مجموعة، ص٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٥؛ المقري، نفح الطيب، ص٢٥٤.

(٤) مؤلف مجهول، اخبار مجموعة، ص١٧؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٤٥؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ٢/٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص٨؛ المقري، نفح الطيب، ١/ ٢٥٣.

(٥) مؤلف مجهول، اخبار مجموعة، ص١٦-١٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٥؛ المقري، نفح الطيب، ص٢٥٣/١.

ترى الباحثة أنَّه ثمة اختلاف في تاريخ هذهِ الرواية إذ اختلف المؤرخين في ذكر تاريخ وقوع هذهِ الحادثة فقد اشار أبن عذاري أنَّ تاريخ حدوثها في سنة (٩١هـ/٧١٠م)، ووافقه الرأي كل من أبن الكردبوس و مؤلف مجهول والمقري حيث اشاروا في مؤلفاتهم أنَّ تاريخ وقوعها في سنة (٩١هـ/٧١٠م)، فيما اشار المؤلف احمد بدر[1]، أنَّ تاريخها كان في سنة (٩٠هـ/٧٠٩م ).

وترجح الباحثة الرأي الاول القائل بانَّ تاريخ وقوع هذهِ الحادثة كان في سنة ( ٩١هـ /٧١٠م)؛ وذلك لأن هذهِ الرواية وردت عند أكثر من مؤلف بما فيهم مؤلف مجهول الذي توفي في القرن الرابع الهجري (العاشر ميلادي)، كذلك وردت عند أبن الكردبوس الذي توفي في آواخر القرن السادس الهجري (الثاني عشر ميلادي)، وعند أبن عذاري (المتوفي بعد سنة ٧١٢هـ)، وذكرها كذلك المقري (المتوفي سنة ١٠٤١هـ) الأمر الذي يجعلنا نأخذ بهذا الرأي ؛ لأنه رأي الاغلبية كذلك كونهم الأقدم بالوفاة ونستبعد الرأي الثاني.

وتُلفت الباحثة النظر إلى أن حملة طريف بن مالك المعافري الاستطلاعية سنة ٩١هـ/٧١٠م، تُعدّ مرحلة حاسمة في بدايات الفتح الإسلامي للأندلس، إذ شكّلت تمهيداً عملياً مدروساً للانتقال من مرحلة الاستكشاف إلى مرحلة التمكين العسكري، وقد عكست هذه الحملة إدراك القيادة الإسلامية في المغرب لأهمية الإعداد المسبق والاطلاع الميداني الذي كان ضمن رؤية مدروسة قائمة على جسّ النبض السياسي والعسكري لأرض العدو قبل الشروع في خطوات توسعية كبرى، وهو ما يدّل على وجود تخطيط استراتيجي واعي.

## ثانياً: حملة طارق بن زياد لفتح شبه الجزيرة الأيبيرية سنة ٩٢هـ/٧١٠م.

عبر طارق بن زياد ساحل البحر إلى الأندلس في سنة ٩٢هـ/٧١٠م، وتوجه نحو الشمال قاصداً مدينة قرطبة ؛ لأهميتها ولموقعها الإستراتيجي على مجرى الوادي الكبير فكان أمر السيطرة عليها في غاية الأهمية، فسار في أراضيها حتى أستقر في سهل فسيح بالقرب من وادي يدعى وادي لكة، الذي

(١) دراسات في تاريخ الاندلس، ص ١٥.

تسمية المصادر الأسبانية وادي ليت[١]، فزحف إليهِ لذريق بجميع عساكرهِ ورجالهِ وأهل مملكته فلما أنّتهى إلى الموضع الذي فيه طارق بن زياد خرج إليه [٢].

باتت المواجهة العسكرية بين جيش القوط بقيادة لذريق وجيش المسلمين بقيادة طارق بن زياد واضحة المعالم، فقد أستعد لذريق لهذهِ المواجهة ودفع الخطر عن بلاده فجهز حملة عسكرية كبرى تفوق جيش المسلمين في العدد والعدة بلغ حسب رأي المؤرخين مائة ألف فارس [٣]، الأمر الذي أقلق طارق بن زياد في مواجهة حشود القوط فأرسل مبعوث إلى موسى بن نصير (أنَّه زحف اليه ملك الأندلس بما لا طاقة له به) [٤]، فأردفه موسى بن نصير بخمسة آلآف مقاتل على رأسهم أشراف العرب وقادتهم، وأيضاً رائد الفتوح طريف بن مالك[٥]؛ ليصبح العدد الكلي اثنا عشر ألف مقاتل ومعهم يوليان في جماعة كبيرة من أهل البلد يرشدون المسلمين إلى مواطن القوة والضعف ويحملون اليهم الأخبار والمعلومات[٦].

بدأت المعركة في ٢٨ رمضان ٩٢هـ/١٩يوليو ٧١٠م، أستمرت بمناوشات لمدة ثلاثة أيام كان لها أثرها الحاسم في نفسية المقاتلين من كلا الطرفين حتى أشتد وطيسها وظنوا أنَّها النهاية[٧]، فخسر جيش القوط في المعركة خسارة فادحة واندحر جيشهم وخسر لذريق الكثير من جنوده فأستغل المسلمون هذهِ الفرصة فقتلوا منهم عدداً كبيراً [٨]، وقد أختلفت الروايات بشأن الملك لذريق فمنها من يذكر أنَّه قد القي بنفسه في الوادي فغرق ولم يبقَ له اثر[٩]، بينما ذكرت روايات أخرى على أنَّه قد مات في أرض المعركة [١٠]، أو أنَّه فر بنفسه ونجا من الموت[١١].

(١) حتاملة، الأندلس التاريخ، ص٦٦.
(٢) ابن القوطية، تاريخ أفتتاح، ص٣٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٨/٢.
(٣) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٤٧؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٥٤.
(٤) مؤلف مجهول، اخبار مجموعة، ص٧؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٥٤.
(٥) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٧؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٥٤.
(٦) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٧؛ المقري، نفح الطيب، ٢٥٧/١.
(٧) ابن حبيب، كتاب التاريخ، ص١٤٤؛ المقري، نفح الطيب، ٢٥٩/١.
(٨) ابن الأبار، الحلة السيراء، ٣٣٣/٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٩/٢.
(٩) ابن القوطية، تاريخ أفتتاح، ص٣٣؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ٣٣٣/٢-٣٣٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٩/٢.
(١٠) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٧٩؛ الحميري، صفة جزيرة، ص١٩٤.
(١١) ابن الشباط، وصف الأندلس، ص١٠٥؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٣٣.

كما وقع اختلاف حول موقع المعركة الدقيق فقد اختلف المؤرخون بشأن المكان الذي وقعت فية المعركة الفاصلة بين لذريق وطارق بن زياد وبالرغم من أختلاف المؤرخين في تحديد مكان المعركة إلاّ أنَّهم اتفقوا على أَنَّ مكانها كان في كورة شذونة وقد أكد ذلك كل من الحميري وأبن خلدون حيث اكدوا أنَّ هذهِ المعركة وقعت شمال كورة شذونة عند وادي لكة بالقرب من شريش(١)، التي كانت قاعدة هذهِ الكورة ؛ لذلك سُميت المعركه بمعركه وادي لكة او معركه شريش(٢).

في حين ذهب فريق آخر وعلى رأسهم المستشرق الأسباني سافيدرا، الذي يرى حدوث معركتين الأولى وقعت قرب مدينة شذونة بين جبل رتين وبحيرة لاخاندا، والثانية عندما هرب لذريق نحو الشمال وحارب جيش المسلمين بالقرب من مدينة شلمنقة(٣)، حيث قُتلَ ودُفنَ في منطقة مجاورة(٤).

ويعارض ليفي بروفنسال، هذا الرأي ويتفق مع المؤرخين العرب على حدوث معركة واحدة فقط بين القوط والمسلمين، وقعت بالقرب من ضفاف نهر وادي لكة في كورة شذونة (٥)، وعلى اية حال أستمرت المعركه ثمانية ايام حقق فيها المسلمين انتصاراً باهراً وقتلوا من القوط أعداد كبيرة وفتح المسلمين الأندلس(٦)، وحصل طارق بن زياد على أعداد هائلة من السبي(٧).

كان من نتائج هذهِ المعركة سقوط الكثير من المسلمين كقتلى، رغم ذلك ارتفعت معنويات المسلمين بشكل كبير وتعرفوا على مكامن الضعف في القدرة العسكرية للأسبان (٨)، كما إنَّها فتحت الطريق

(١) شريش: مدينة كبيرة من كورة شذونة وهي قاعدة هذه الكورة واليوم يسمونها شرش، بينها وبين قلشانة خمسة وعشرون ميلاً، وهي على مقربة من البحر، يجود زرعها، ويكثر ريعها، وبين المغرب والقبلة من شريش حصن روطة، على شاطئ البحر، بينهما ستة أميال، وهو موضع رباطٍ. ينظر، الحموي، معجم البلدان، ٣/٣٤٠؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٠٢.

(٢) الروض المعطار، ص٦٠٥؛ تاريخ ابن خلدون، ٤/١٥٠.

(٣) شلمنقة: وهي مدينة بالأندلس، وتبعد عن مدينة قلمرية ثلاث مراحل بين شرقا وشمال، ومن مدينة شلمنقة إلى مدينة آبلة خمسون ميلا. الأدريسي، نزهة المشتاق، ٢/٧٣١-٧٣٢-٧٣٣.

(٤) السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص٣٢.

(٥) السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص٣٢.

(٦) ابن القوطية، تاريخ أفتتاح، ص٣٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٨.

(٧) ابن خياط، تاريخ خليفة، ص١٩٣؛ عبد الواحد، الاجراءات التعسفية، ص٥٢.

(٨) نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٥٥.

أمام القائد طارق بن زياد لمواصلة سير العمليات العسكرية وأقبل المسلمون على الأندلس أقبالاً كبيراً بعد أنَّ خرقوا البحر على كل ما قدروا عليه من مركب فلحقوا بطارق بن زياد وارتفع أهل الأندلس عند ذلك إلى الحصون والقلاع[1]، فكتب طارق بن زياد إلى سيده موسى بن نصير يبشره بما حقق من نجاح عسكري باهر، وبما أصاب القوط من هزيمة واندحار فبعث موسى بن نصير إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك يخبره بتلك الأنباء[2]، كذلك تعد هذهِ المعركة أحدى أهم المعارك الفاصلة في تاريخ الأندلس، إذ كانت نقطة تحول في التاريخ الأندلسي بصورة خاصة والتاريخ الإسلامي بصورة عامة؛ لأنها سهلت القضاء على سيطرة القوط على البلاد وكانت بمثابة الباب الذي دخل المسلمون من خلاله إلى الأندلس، فضلاً عن أَنَّها احدثت رعباً لدى سكان القوط ما الذي دفعهم إلى مغادرة المدن واللجوء إلى السهول والمرتفعات والتحصن بها، كذلك ثمة حقيقة مهمة أكسبت معركة كورة شذونة أهميتها الكبيرة في التاريخ، وهي إنَّ الجماعات المناوئة للنظام لم تقدر خطورة تلك الكارثة للوهلة الاولى، وأنَّ تفوق المسلمين وانتصارهم يعني فرض سيطرتهم الكاملة على هذهِ الأراضي والاستقرار بها بحيث ما اضطروا بعد ذلك لأنجاز الفتوح أنْ يخوضوا معركة بهذهِ الأهمية كما دمرت هذهِ المعركة القوة الميدانية للجيش القوطي، ما افقدهم القدرة في الدفاع عن المدن الأخرى[3].

## ثالثاً: التسامح الإسلامي مع النصارى الأسبان.

من الجدير بالذكر أنْ نلقي الضوء على مدى التسامح الذي تحلى به المسلمون تجاه الشعوب المعادية لهم ويُعد الحدث الذي وقع في شهر رجب ٩٤هـ/نيسان ٧١٤م[4]، دليلاً قاطعاً هذا التسامح إذ تم توقيع معاهدة بين القائد العسكري عبد العزيز بن موسى بن نصير وتدمير بن عبدوس[5]، ووفقاً

(١) المقري، نفح الطيب، ٢٥٩/١.

(٢) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٣٥-٤٠.

(٣) نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٤١.

(٤) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٢ – ١٣؛ حتاملة، الاعتداءات الإفرنجية، ص١٠؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص٤٤.

(٥) تدمير بن عبدوس: لم اعثر على ترجمة او تعريف للامير تدمير سواء ما تم العثور على ترجمة لكورة تدمير التي سميت بهذا الاسم نسبة الى حاكمها تدمير، وهي كورة بالأندلس، تتّصل بأحواز كورة جيان، وهي شرقيّ قرطبة، ولها معادن كثيرة ومعاقل ومدن ورساتيق، وبينها وبين قرطبة سبعة أيام للراكب القاصد، وتسير العساكر أربعة عشر يوما، خطاب، قادة فتح الأندلس، ص٦٣.

للروايات التاريخية تم التوصل في هذهِ المعاهدة إلى شروط متوازنة ومنصفة للصلح، وتم اعتراف العرب بتدمير كحاكم على سبع مدن كما احتفظ بادارته الداخلية لهذهِ المدن، شريطة أن يتم دفع جزية سنوية بمقدار دينار ذهبي واحد، إضافة إلى كميات محددة من القمح والشعير والخل والزيت والعسل لكل فرد حر وأفراد رعيته، أمَّا فيما يتعلق بالعبيد فيتم خصم نصف هذهِ الكمية منهم [1].

مقابل ذلك فقد وافق تدمير على ذلك أيضاً على أَلاَّ يقوم أحد من رعيته بتجاهل هذهِ المعاهدة أو الانتهاكات الجوهرية لشروطها، وإلاَّ فأنّ المسلمين سوف يتعاملون معهم كأعداء ولن يسمح لهم بالبقاء ويُطلب منهم أن يُبلغوا المسلمين بأي معلومة تفيدهم، ولا يُخفون عنهم أي معلومة تتعلق باعدائهم وبالمقابل، فأنه لن يسمح للمسلمين بقتلهم أو إهانتهم أو نهب ممتلكاتهم، أو سبي نسائهم وأطفالهم، وسيسمح لهم بممارسة شعائرهم الدينية وطقوسهم، ولم يتم تعرض كنائسهم لأي إذى سواء بالتدمير أو الحرق[2].

وتُعلق الباحثة على هذه الحادثة التاريخية بقولها: أنَّ المعاهدة التي أُبرمت بين القائد عبد العزيز بن موسى بن نصير وتدمير بن عبدوس تُعّتبر شاهداً تاريخياً دقيقاً على ترسيخ مبدأ التعايش السلمي بين المسلمين والنصارى في الأندلس، إذ تجلّت في مضامينها روح العدالة والتوازن، بعيداً عن منطق القهر والإقصاء بين الطرفين، فقد كفلت المعاهدة للطرف الآخر حقوقه الدينية والإدارية، مع فرض التزامات تحفظ الاستقرار والأمن المتبادل، مما يعكس سياسة واعية اتسمت بالمرونة والواقعية، وأكّدت على أنَّ الفتح الإسلامي لم يكن مجرّد توسع عسكري، بل أنهُ مشروع سياسي وإداري ذا أبعاد حضارية.

## رابعاً: عودة موسى بن نصير وطارق بن زياد ومعهم السبايا إلى دمشق سنة ٩٥هـ/ ٧١٣م.

أستعد موسى بن نصير وطارق بن زياد إلى مغادرة الأندلس وبدأت رحلة العودة في ذي الحجة سنة ٩٥هـ/ ايلول سنة ٧١٤م، فغادرا مسرح العمليات في الشمال وذلك بعد أَنْ وضعا فيها حاميات عسكرية و قررا أنْ يعودا إلى دمشق أمتثالاً لأوامر الخليفة الاموي الوليد أبن عبد الملك بعد أنْ قضى سنتين وشهراً واحداً وقام موسى بن نصير بتنظيم حكومة الأندلس قبل أنْ يرحل وجعل حاضرتها

(١) السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص٤٤.

(٢) الضبي، بغية الملتمس، ص٢٥٩؛ العذري، نصوص عن الأندلس، ص ٤-٥؛ حتاملة، الاعتداءات الإفرنجية، ص١٠-١١؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص٤٤.

اشبيلية ونصب أبنه عبد العزيز والياً عليها ليبدأ عهداً جديداً في تاريخ الأندلس عرف بعهد الولاة (٩٥-١٣٨هـ/٧١٤-٧٥٥م)، خلال هذهِ المدة، تمتعت الأندلس بأدارة فاعلة تحت حكم الولاة الإسلاميين، وشهدت تطوراً اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً كبيراً [١].

أتجه موسى بن نصير نحو مدينة ليون حيث ألتقى في أحوازها بطارق بن زياد ومغيث الرومي ومضوا جميعاً صوب مدينة طليطلة ومنها ساروا إلى قرطبة ثم إلى اشبيلية حيث ركبوا البحر قاصدين العودة إلى دمشق عن طريق شمال افريقيا، وقد رافقه في عودته عدد من أشراف العرب ورؤساء قبائلهم فوصل إلى المشرق وفي حاشيته من نفيس التحف والغنائم كم هائل ومن اشراف السبي عدد عظيم[٢].

وقد اسهبت الرواية الإسلامية في وصف ما أصاب المسلمون في الأندلس من الغنائم الجليلة والسبي الذي لا يحصى وتذكر أنَّ موسى بن نصير رجع إلى دمشق مثقلاً بالغنائم والهدايا الثمينة من الذهب والفضة واللؤلؤ والدر والياقوت ما لا يقدر ولا يحصى وعدد من اسرى الأسبان وهو يتناسب مع حجم الأنجازات التي قام بها في الأندلس [٣]، وأمَّا السبايا فيقال أنَّه حمل منها ثلاثين الف بينهم مئات من أشراف القوط والوصفاء المختارين من ذوي الشباب ذوي الحسن والجمال من الرجال والنساء [٤]، إذ قيل بشانّ الحادثة ((لم يسمع قط بمثل سبايا موسى بن نصير في الإسلام ))[٥].

في حين ذكر أبن قتيبة[٦]، أنَّ عدد الأسبان كان مئة من ملوك الأسبان وعدد من الفرنجيين والقوط وهذا الرأي هو الاقرب إلى الواقع وذلك لبعد المسافة بين الأندلس ودمشق الأمر الي يشكل صعوبة في الأنتقال[٧].

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/ ٢٠؛ طقوش، تاريخ المسلمين، ص ٥٦؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٦٦.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/ ٢٠؛ عنان، دولة الاسلام، العصر الأول، القسم الأول، ص٥٦؛ طقوش، تاريخ المسلمين، ص ٥٦؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٦٦-٦٧.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/ ٢٠؛ طقوش، تاريخ المسلمين، ص ٥٦؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٦٧.

(٤) المقري، نفح الطيب،٢٧٧/١؛ عنان، دولة الاسلام، العصر الأول، القسم الأول، ص٥٦؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٦٦.

(٥) ابن حبيب، تاريخ الأندلس، ص١٤٥؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٣١٩/٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٤٣/١.

(٦) الامامة والسياسة، ٦٨/٢.

(٧) نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٦٧.

تتفق الباحثة مع وجهة نظر ابن قتيبة بشأن عدد السبي إذ أنَّها تستبعد أن يكون عدد السبي وحده ثلاثين ألفاً ويبدو أن هناك مبالغة كبيرة في تقدير أعداد السبي، ويتسم هذا التقدير بالمبالغة والتهويل، وليس له أساس من الصحة فإذا كان عدد السبي فعلاً ثلاثين ألفاً، فمن المنطقي أن يكون عدد جيش العدو أكبر بكثير، وإذا كانوا يواجهون المسلمين بهذهِ الكثافة العددية، فأنَّ السؤال الذي يطرح نفسه هو كيفية تمكن موسى بن نصير من هزيمتهم ؟ هذا الأمر يتعارض مع الواقع الفعلي سواءً من حيث النطاق العام أو التفاصيل الدقيقة يتضح إنَّ هذهِ الأعداد هي تقديرات مبالغ فيها ومُصاغة بشكل خيالي تم صنعها من خيال الراوي أو المؤلف؛ وذلك لتصوير النجاح الباهر الذي حققه المسلمون بسبب كثرة السبي الذي حصلوا عليه مؤكداً ذلك العبارة القائلة (لم يسمع قط بمثل سبايا موسى بن نصير في الإسلام).

مهما يكن من أمر فقد وصل موسى بن نصير مع الوفد المرافق له إلى ولاية أفريقيا في ربيع الآخر٩٦هـ/كانون الاول ٧١٤م، وقد استخلف أبنه الأكبر عبد الله على أفريقيا وأبنه عبد الملك على بلاد طنجة [١]، وسبتة [٢]، ثم سار متوجهاً إلى دمشق وكان الخليفة الوليد قد اشتد المرض به فأجتمع به وقدم له تقريراً مفصلاً عن أنجازاته وأخبره بما حقق من انتصارات لدولة الإسلام في شبه الجزيرة الأيبيرية وسلمه كل ما حمله معه من الغنائم والسبي واقام عنده حتى توفي الوليد في ١٥جمادي الاخرة سنة ٩٦هـ / ١٦ كانون الاول سنة ٧١٥م [٣].

بعد وفاة الوليد بن عبد الملك، تولى أخيه سليمان أبن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ/٧١٥-١٧م)[٤]، الذي نكَّلَ بموسى بن نصير وعذَّبهَ عذاباً شديداً [٥]، وتجري الرواية التاريخية أنَّ سليمان طلب من

(١) طنجة: وهي مدينة بالمغرب قديمة تقع على ساحل البحر، فيها آثار جمة للأول وقصور وأقباء، وكان فيها ماء مجلوب، وبخارجها عين، وبين طنجة سبتة ثلاثون ميلاً في البر، وفي البحر نصف مجرى، وتعرف طنجة بالبربرية " وليلي " افتتحها عُقبة بن نافع الفهري وقتل رجالها وسبى من فيها، وهي على شاطئ بحر الزقاق. ينظر الحميري، الروض المعطار، ص٣٩٥-٣٩٦.

(٢) سبتة: وهي بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب ومرساها أجود مرسى على البحر، وهي تقابل الجزيرة الخضراء وفيها آثار كثيرة وكان لها ماء مجلوب من نهر على ثلاثة أميال منها، يجري إليها من قناة مع ضفة البحر القبلي فكان يدخل كنيستها التي هي الآن جامع سبتة والبحر يحيط بسبتة من جميع جهاتها إلا من جهة الغرب. ينظر، الحموي، معجم البلدان، ١٨٢/٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٠٣.

(٣) ابن عبد الحكم، فتوح أفريقيا والأندلس، ص٨٢؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٥١؛ طقوش، تاريخ المسلمين، ص ٥٦.

(٤) سليمان أبن عبد الملك: هو سليمان بن عبد الملك بن مروان، الخليفة الأموي، الملقب بأبو أيوب، ولد في دمشق، وولي الخلافة يوم وفاة أخيه الوليد في سنة ٩٦ هـ، وكان بالرملة، فلم يتخلف من مبايعته أحد، فأطلق الأسرى وأخلى السجون وعفى عن المجرمين، وأحسن إلى الناس وكان عاقلاً فصيحاً طموحاً إلى الفتح، وفي عهده فتحت جرجان وطبرستان، وكانتا في أيدي الترك، وتوفي في دابق من أرض قنسرين بين حلب ومعرة النعما، وكانت عاصمته دمشق، ومدة خلافته سنتان وثمانية أشهر إلا أياما. الزركلي، الأعلام، ١٣٠/٣.

(٥) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٢٨؛ مؤلف مجهول، فتح الأندلس، ص٣٤؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٦٧.

موسى بن نصير وهو في طريق العودة إلى دمشق أنْ يبطئ بالسير مقدراً حالة الوليد ولكي يكون دخول موسى بن نصير في عهد سليمان لتؤول اليه الغنائم وشرف الفتح ولكن موسى بن نصير رفض طلبه واجدَ السير الأمر الذي سبب الاساءة لسليمان فتوعده وغضب عليه وقال: ((والله لأنّ ظفرت به لاصلبنهَ))[1]، فدبرَ له تهمة أنَّه بددَ الاموال والغنائم التي حصل عليها من بلاد الأندلس ولم يحسن التصرف بها فعذبه، وكان السبب في وفاته سنة ٩٧هـ/٧١٥م، وانتهت سيرة هذا القائد الذي يُعد من بين أعظم الشحصيات الإسلامية الذين ضربوا المثل في الشجاعة والحنكة العسكرية والذي قاد احدى أضخم علميات الفتوح في الدولة الاموية [2].

## خامساً: حملة الحر بن عبد الرحمن الثقفي[3] على جنوب الأندلس سنة ٩٩هـ/٧١٧م.

نظراً للعمليات العسكرية التي شنها قادة الجيش الفاتح، إذ تمكن بعض القادة من شن غزوات على مناطق أسبانيا وفتحها وخير مثال على ذلك ما وقع في سنة ٩٩هـ/٧١٧م، حيث قدم الحر عبد الرحمن الثقفي(٩٧-١٠٠/٧١٥-٧١٨)، إلى الأندلس في أربعمائة من وجوه افريقية وبقيَّ والياً عليها ثلاثة سنوات، ونقل عاصمة الامارة من اشبيلية إلى قرطبة وقد استغل الحر حالة الضعف لدى حكام المناطق الجنوبية لبلاد الأندلس وقام بفتح جميع هذهِ المناطق وعاد محملاً بالغنائم والأسرى إلى اشبيلية ويذكر أنَّ عبد الرحمن قام بغزوات تجاوز بها حدود بلاد الأندلس إلى بلاد الفرنج[4]، ونواحي اربونة وحصل على سبي واسرى وغنائم وقد أدَّى توجيه الجهود إلى بلاد الفرنج إلى انتعاش حركة المقاومة الأسبانية التي أنتزعها بلاي المعتصم في جبال اشتوريس، إذ قام بجمع بقايا

(١) ابن حبيب،كتاب التاريخ، ص١٥٠-١٥١؛ ابن القوطية، تاريخ أفتتاح، ص٣٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/ ٢٠.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ٢/ ٣٠٢؛ طقوش، تاريخ المسلمين، ص٥٧-٥٨.

(٣) الحر بن عبد الرحمن الثقفي: هو الحرّ بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان الثقفي، وهو امير الأندلس لسليمان بن عبد الملك، حكم الأندلس بعد مقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير، وإليه يُنسب (بَلاط الحرّ) في شرقيّ قرطبة، وكانت الأندلس في أيامه إمارة تابعة لوالي إفريقية، ووالي إفريقية تابع لوالي مصر، وهذا تابع لبني مروان بدمشق واستمر إلى سنة ١٠٦ هـ وعزل بعنسبة بن سُحيم. ينظر، ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/ ٢٥؛ الزركلي، الاعلام، ١٧٢/٢.

(٤) بلاد الفرنج: أو ما يُعرف أيضًا باسم بلاد الغال أو غاليس، غالة، هي المنطقة الجغرافية التي تقع خلف جبال البرتات، التي تفصل شبه جزيرة الأندلس عن أوروبا، هذه التسمية كانت تُطلق في الماضي على الجزء الجنوبي من فرنسا الحالية، كانت تُستخدم هذه التسمية للإشارة إلى الإمبراطورية الرومانية في عصر شارلمان. البكري، جغرافية الأندلس، ص١٤٣-١٤٥.

الفلول المنهزمة وثار بهم في تلك النواحي، مما اضطر الحر بن عبد الرحمن الثقفي إلى أنْ يعود أدراجه؛ لقمع هؤلاء الثائرين بينما هو مشغول بذلك تم عزله من قبل الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز(١).

أمَّا فيما يخص الغنائم التي حصل عليها المسلمون من جليقيه فكانت عبارة عن اسلحة ؛ وهذا يعود لوفرة الأسلحة واختلاف أنواعها كذلك كثرة المؤن والاعتدة وإنّ تلك الاسلحه لم تكنْ من صنع الجلالقة بل من صنع بلاد الفرنج وبلاد الجرمان والبرابرة (٢).

## سادساً: حملة الحاجب عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث على برشلونة سنة ٢٠٨هـ/٨٢٣م.

أكتسبت مدينة برشلونة أهمية كبرى، ونالت اهتماماً كبيراً من قبل الأمير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الأوسط(٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢١-٨٥٢م) (٣)، الذي تولى حكم الأندلس بعد ابيه الحكم بن هشام في ظل اجواء هادئة بعيدة عن المنافسات العائلية ولا الحركات الثورية الخطيرة التي عصفت بهذا العهد سابقاً (٤) ؛ ونظراً لأهميتها عند الأمير عبد الرحمن بن الحكم فقد أرسل حملة عسكرية كبيرة سنة ٢٠٨هـ/٨٢٣م، بقيادة الحاجب عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث إلى برشلونه(٥)، حيث الثغر القوطي، المعروف الذي اقامه الفرنج حتى وسعوه باحتلالهم مدينة جيرونة(٦)، وضمها أليه وقد سار إليها بجيش جرار أُريدَ لهُ أنْ يكون عظيماً باهراً، إذ وفدت إليه عساكر

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٥؛ زيتون، المسلمون في المغرب، ١/١٩٣؛ عبد الواحد، الاجراءات التعسفية، ٩٥-٩٦.

(٢) فروخ، العرب والاسلام، ص١٠٩؛ عبد الواحد، الاجراءات التعسفية، ص٩٦.

(٣) عبد الرحمن بن الحكم: هو عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، أبو المطرف وهو الرابع من حكام بني أمية بالأندلس، بويع له يوم وفاة أبية الحكم سنة ٢٠٦هـ/٨٢١م، وظهر في أيامه الوزراء والقواد وأهل الكور. ينظر، ابن الأبار، الحلة السيراء، ١/١١٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٨٠-٨١.

(٤) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٢٢؛ بيضون، الدولة العربية في أسبانيا، ص٢٣٨.

(٥) ابن الاثير، الكامل، ٥/٤٧١؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ١/١٣٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/ ٨١-٨٢؛ المقري، نفح الطيب، ٤/١٦٣.

(٦) جيرونة: وهي مدينة تقع في جنوب غرب فرانسا قاعدتها مدينة بوردو ويخترقها نهر الجارون في حوضه الأخير تمثل المركز لأحدى المقاطعات الأربع وهي مدينة صغيرة في الوقت الحالي وعدد سكانها بضعة عشر ألف نسمة ولها تاريخ عريق وفيها أبراج عالية قديمة، استولى عليها العرب في سنة ٩٥هـ/ ٧١٣م، وكان يطلق لها يومئذ جيرنده فسماها العرب بهذا الاسم وما قيل لها جيرونة إلا فيما بعد. ارسلان، الحلل السندسية، ٢/ ٢٨٠.

الإسلام من كلَّ حدبٍ ودخل برشلونه عبر الدروب التي تسمى البرتات إلى بلاد الفرنجه وأنزلَ السيوف في رقابهم وأَسرَ رجالهم وسبيَّ نسائهم وأطفالهم ثم حاصر مدينة جيرونة عاصمة ثغر القوط العظمى وعاث بها فساداً وخرب نواحيها ونهبها [١]، ثم ساروا إلى أراضي ألبة والقلاع[٢]، فنهبوا بلاد البة وأحرقوا مدنها وخربوا مزارعها، وحاصروا عدد من الحصون ففتحوا بعضها وصالحوا بعضها على مال واطلاق الأسرى من المسلمين فحصل على كمَّ هائل مِن الغنائم واستنقذوا من أسارى المسلمين وسبيهم كثيراً واظهروا هيبة الإسلام في تلك المناطق ورجعوا سالمين غانمين[٣]، وتُعد هذهِ الحملة آخر حملة يقوم بها هذا القائد المسلم الكبير الذي لعب دوراً مميزاً في الحياة العسكرية في الأندلس طيلة الربع الاول من القرن التاسع للميلاد إذ ما لبثَ أَنْ وافته المنية وذلك بعد أشهر قليلة مِن هذهِ الحملة[٤].

ذكر ابن خلدون[٥]، أحداث هذهِ الحملة ولعلَّهُ وقع في خطأ حينما حدد تأريخ هذهِ الحملة وحددها ((في سنة احدى وثلاثين بعث عبد الرحمن العساكر إلى جليقة فدوّخوها وحاصروا مدينة ليون ورموا سوارها فلم يقدروا عليه، لأن عرضه سبعة عشر ذراعاً[٦]، فثلموا فيه ثلمة ورجعوا ثم اغزى عبد الرحمن حاجبه عبد الكريم بن مغيث في العساكر إلى بلاد برشلونة فجاز في نواحيها، واجاز

(١) النويري، نهاية الأرب، ٣٧٧/٢٣؛ شبارو، الاندلس من الفتح، ص١٣١.

(٢) ألبة والقلاع: علمان جغرافيان يستعملان عادة معاً في النصوص العربية، أما ألبة (Alava) تقع عند منابع نهر أبره على الضفة اليمنى (الشمالية) للنهر ولا يزال أصل التسمية غير محدد بدقة، إذ يُرجح بعض الباحثين أن الاسم قد يكون مشتقًا من مصطلحات مثل "Uraba" و"Alba". كما يُشير آخرون إلى إمكانية ارتباطه باسم "عربه" (Araba)، حيث يلاحظ أن التسمية لم تُستخدم إلا بعد دخول العرب إلى المنطقة.أما القلاع فيقصد به المنطقة التي تعرف بقشتالة القديمة *Castilla ia vieja*، سماها العرب كذلك لكثرة القلاع التي فيها وقد يكون العرب ترجموا بذلك اسمها القديم *Castellae*.ابن الابار، الحلة السيراء، هامش رقم ( ٢)، ١٣٥/١-١٣٦.

(٣) ابن الاثير، الكامل، ٤٧١/٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب،١٣٢/٢؛ الخالدي، تحرير اسرى المسلمين، ص١٦-١٧؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٢١٠-٢١١.

(٤) نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٢١٠-٢١١.

(٥) تاريخ ابن خلدون، ١٦٦/٤.

(٦) ذراعاً: هناك عدد لا يستهان به من الاذرع في الاسلام، وان نقطة الأنطلاق لجميع الحسابات هي ذراع مقياس النيل القديم في جزيرة الروضة ويرجع الى سنة ٨٦١ م، ويبلغ معدل طوله وفق دراسات الحملة الفرنسية بقيادة نابليون والتحقيق الذي قام به ك. أ. س كرزويل، سنة ١٩٢٧ هو ٥٤،٠٤ سم بالضبط. هنتس، المكاييل والأوزان، ص٨٣.

الدروب التي تسمّى السرب إلى بلاد الفرنجة فدوّخها قتلاً وأسراً وسبياً)) إذ أنَّ أبن خلدون قد تناسى أنَّ عبد الكريم أبن عبد الواحد قد توفي بعد حملته على برشلونة بسنة وتحديداً ٢٠٩هـ/ ٨٢٤م[١].

## سابعاً: حملة عبد الله البلنسي[٢] الى اراضي البة سنة ٢١٠هـ/٨٢٥م.

ذكرت الروايات التاريخية أن بعد وفاة الحاجب عبد الكريم بن عبد الواحد آلت قيادة الحملات العسكرية إلى عبد الله البلنسي فقد خرج في صائفة بجيش كبير إلى أراضي البة سنة ٢١٠هـ/٨٢٥م، وذلك بأمر من الأمير عبد الرحمن بن الحكم[٣]، وشَنَّ عليهم الغارات محققاً نصراً عسكرياً باهراً، وإنهزمَ جيوش الاعداء في ربيع الأول فأقتتلوا وأنهزمَّ الفرنج هزيمة كبرى وانتصر جيش المسلمين وقتلوا منهم عدداً كبيراً وأخذوا منهم الكثير من الأسرى والسبايا ورجعوا غانمين ظافرين وكان فتحاً عظيماً[٤].

بعد هذا الانتصار العسكري الذي حققه كل من الحاجب عبد الكريم وعبد الله البلنسي توقف الأمير عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط) عن إرسال الصوائف إلى الشمال الأسباني لمدة عشر سنوات ولأسباب مجهولة، فالأحداث الداخلية وعلى رأسها التحركات المعادية للسلطة والتي قامت في منطقتي

(١) الحسيني، حركة الاسترداد الأسبانية، ١/١٥٢.

(٢) عبد الله البلنسي: وهو عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الملقب بالبلنسي وذلك لتملكه بلنسية وبرشلونة وتدمير ووشقة، و قد تمرد على أخيه هشام بن عبد الرحمن، وتضامن مع أخيه سليمان في صراعه على السلطة مع أخيهما وعلى الرغم من ذلك فقد تمكن هشام من التغلب عليهما وقام بنفيهما إلى المغرب، وبعد وفاة هشام وتولي الحكم قرر البلنسي العودة إلى الأندلس وأعلنَّ التمرد على الحكم والمطالبة بالسلطة مرة اخرى في مدينة بلنسية وقدم نفسه كمطالب بالطاعة فأستقر بالمدينة حتى وفاة الحكم ثم عاد البلنسي وأعلن تمرده و عصيانه على عبد الرحمن بن الحكم وجمع حوله أتباعه وانصاره وفي هذهِ المرة كان يستهدف قرطبة، وقد خطب بأصحابه ودعا اتباعه في خطبتهِ أنَّ ينصر الله الحق فيهما لكنه تعرض لنوبة فالج وتوفي في سنة ٢٠٨هـ/ ٨٢٣م. ابن الأبار، الحلة السيراء، ٢/٣٦٣-٣٦٤.

(٣) عبد الرحمن بن الحكم: هو عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، رابع ملوك بني أمية في الأندلس، يكنى أبا المطرف أمه أم ولد اسمها حلاوة، ولد في طليطلة وبويع بقرطبة سنة ٢٠٦ هـ بعد وفاة أبيه بيوم واحد، وهو أول من جرى على سنن الأمراء في الزينة والشكل وترتيب الخدمة، وكسا الخلافة أبهة الجلالة، فشيد القصور، وبنى المساجد في الأندلس، ومنها جامع إشبيلية وسورها، وضرب الدراهم باسمه، له ثلاثون سنة فاتصلت ولايته إلى أن مات في صفر سنة ثمان وثلاثين ومائتين وكان وادعاً محمود السيرة ينظر، الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٠؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٢١٩؛ الزركلي، الأعلام، ٣/٣٠٥.

(٤) ابن الاثير، الكامل، ٥/٤٨١؛ شبارو، الاندلس من الفتح، ص١٣١؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٢١١.

طليطلة وماردة كانت محدودة الفعالية قليلة الخطر ولا يمكن أن تكون هي السبب الأساس في توقف مسار سياسة الجهاد التي جعلها الأمير في أولى اهتماماته منذ تسلمه السلطة، ولكن يبدو أنَّ هناك هدنة ما، وقعت بين الطرفين وهو ما أشار اليهِ ليفي برفنسال مؤكداً أنّ ثمة هدنة او أتفاق حصل ما بين الفونسو الثاني وأمير قرطبة، الأمر الذي صمتت عنه المصادر الإسلامية إذ لم تُشيرْ إلى هذهِ الهدنة [1].

## ثامناً: حملة الأمير عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط) إلى أراضي جليقية سنة ٢٢٥هـ/٨٣٩م.

توجه الأمير عبد الرحمن الأوسط بنفسه بالصائفة إلى أراضي جليقية في سنة ٢٢٥هـ/٨٤٠م، فجال في أراضيها وفتح العديد من الحصون، وقد أهمل المؤرخون إيراد تفاصيل ما حدث فيها وما حقق خلالها من منجزات إذ صمتت بعض المصادر عن ذكر هذهِ الأحداث واكتفتْ بقول مقتضب مفاده ما ذكره ابن عذاري[2]: ((وفي سنة ٢٢٤هـ، أغزى الإمام عبد الرحمن ابنه الحكم إلى دار الحرب، وأمره بالتجوال في جهات [الثغور[3]]، ليتعرف أخبارها ومصالحها. وأمر باصلاح قنطرة سرقسطة. ودخل الحكم بالصائفة إلى دار الحرب؛ فدوخها، وقتل من المشركين ما لا يحصى. واجتمع من رؤوسهم أكداس كالجبال، حتى كان الفارس يقف من ناحية ؛ فلا يرى صاحبه من ناحية أخرى من عظمها)) أما المقري [4]، فقد خص هذهِ الحملة بالقول: ((ثم سار عبد الرحمن في الجيوش إلى بلاد جليقية، فدوّخها وافتتح عدة حصون منها، وجال في أرضهم، ورجع بعد طول المقام بالسبي والغنائم)).

(١) نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٢١١-٢١٢. نقلاً عن ليفي بروفنسال.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٥/٢؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٢١٢.

(٣) الثغر: بالفتح ثم السكون، وراء كل موضع قريب من أرض العدوّ يسمّى ثغرا، كأنه مأخوذ من الثّغرة، وهي الفرجة في الحائط، والثغرة كل فرجةٍ في جبل او بطن واد أو طريق مسلوك، والثغر كل جوبة منفتحة أو عورة غيره، والثغرة الثلمة والثغر: ما يلي دار الحرب والثغر: موضع المخافة من فروج البلدان، والثغر هو الموضع الذي يكون حدا فاصلًا بين بلاد المسلمين والكفار، وهو موضع المخافة من اطراف البلاد. ينظر، الحموي، معجم البلدان، ٧٩/٢؛ ابن منظور، لسان العرب، ١٠٣/٤.

(٤) نفح الطيب، ٣٤٥/١.

## تاسعاً: حملة محمد ابن الأمير عبد الرحمن إلى جليقيه في سنة ٢٣١هـ/٨٤٥م.

بعد سنوات عدة أقدمَ الأمير عبد الرحمن على إرسال ابنه محمد بصائفة أخرى إلى جليقيه وكان ذلك في سنة٢٣١هـ/٨٤٥م، فتمكن محمد من محاصرتها ومحاصرة مدينة ليون وقام بقذف أسوارها بالمجانيق بغية هدمها، ولكنهُ لم يفلحْ في هدم الأسوار وشدد الحصار على أهلها ولما اشتد الحصار عليهم وأيقنوا أنهم هالكين لا محاله هربوا في جنح الظلام ولجأوا إلى الجبال فاقتحمها محمد ابن الأمير عبد الرحمن وأضرم النار فيها، وأقدم على هدم أسوارها، وأنزل السيوف في رقاب سكانها، وحصل على الكثير من السبي والغنائم(١).

## عاشراً: حملة الأمير عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط) إلى جزيرتي ميورقة ومنورقة سنة ٢٣٤هـ/٨٤٨م.

لم تقتصر غارات الاسطول الأندلسي على قواعد الفرنج وسواحلهم الجنوبية بل شملت أيضاً جزر البليار(٢)، التي كانت خاضعة لحمايتهم إذ كانت تعرقل غزوات الاسطول الأندلسي فأغزى الأمير عبد الرحمن الأوسط أسطولاً كبيراً قدر بثلاثمائة مركب وذلك سنة ٢٣٤هـ/٨٤٨م، إلى جزيرتي ميورقة ومنورقة لتأديب ومعاقبة أهلهما ؛ بسبب نقضهم العهد ولحاقهم الضرر بالمسلمين المجاهدين وذلك بعد ما تعرضوا لسفنهم، ففتح الله عليهم وأظفر بهم إذ تمكن المسلمين من أخضاعهما وأنزلوا بهما أنزالاً وحصلوا على الكثير من السبي، وفتحوا أكثر جزرهم وقد كانت الجزيرتان تحت حماية الدولة الكارولنجية(٣).

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب ٨٨/٢؛ المقري، نفح الطيب، ٣٦٤/١؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص٢٤٠؛ الصوفي، الأخلاق الإسلامية، ص٩٠.

(٢) جزر البليار: تتألف جزر البليار في الأساس من أربع جزر رئيسية كبيرة، محاطة بالعديد من الجزر الصغيرة المتناثرة حولها وتعد جزيرة ميورقة هي الجزيرة الرئيسية وعاصمة جزر البليار، كما أنها أكبرها من حيث المساحة، تأتي في المرتبة الثانية جزيرة منورقة ثم جزيرتي إبيزا وفورمنتيرا، والتي تعتبر أصغر جزر البليار من حيث المساحة لم يتم ذكرها في الكتب التاريخية القديمة، ويبدو أنها كانت مهجورة وغير مناسبة للمرافئ لرسو السفن. سيسالم، جزر الأندلس المنسية، ص١٥-١٦.

(٣) ابن حيان، المقتبس، ١٤٤/١؛ الحايك، عبد الرحمن الاوسط، ص١٥٦؛ عنان، دولة الاسلام، العصر الأول، القسم الأول، ص٢٦٥-٢٦٦؛ العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص١٣٧.

في السنة التالية (٢٣٤هـ/٨٤٩م)، ورد كتاب أهل ميورقة ومنورقة إلى الأمير عبد الرحمن الاوسط أوضحوا به ما أصابهم من سخطه ومن نكاية المسلمين بهم مستقيلين لعثراتهم لديه وراغبين مسامحته وأقالته، فعطف عليهم وأقالهم زلتهم وأجابهم إلى مسألتهم، وأعطأهم ذمته وجدد لهم عهده فكتب اليهم كتاباً مفاده: ((أما بعد، فقد بلغنا كتابهم، تذكرون فيه أمركم، وإغارة المسلمين الذين وجهناهم إليكم لجهادكم، وإصابتهم ما أصابوه منكم من ذراريكم وأموالكم، والمبلغ الذي بلغوه منكم، وما أشفيتم عليه من الهلاك وسالتم التدارك لأمركم، وقبول الجزية منكم، وتجديد عهدكم على الملازمة للطاعة، والنصيحة للمسلمين، والكف عن مكروههم، والوفاء بما تحملونه عن أنفسكم. ورجونا أن يكون فيما عوقبتم به صلاحكم، وقمعكم عن العود إلى مثل الذي كنتم عليه. وقد أعطيناكم عهد الله وذمته!))[1].

يتضح مما تقدم أنَّ جزر البليار خضعت لنفود الأمارة الأموية في الأندلس في سنة ٢٣٤هـ/٨٤٨م، ومع ذلك فأنَّ هذهِ الجزر لم يتم إخضاعها نهائياً وتحكم حكماً مباشراً بواسطة عمال الدولة إلاَّ في زمن الأمير عبد الله بن محمد[2]، سنة ٢٩٠هـ/٩٠٢م، حينما أرسل قائده عصام الخولاني[3]، حاكماً عليها، ورغم الانتصارات التي حققها الأمير عبد الرحمن الاوسط على خصومه من الفرنج وحلفائهم في حوض البحر المتوسط إلاَّ أنَّ البحرية الأندلسية كانت في عهده محدودة في

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٩/٢؛ الحايك، عبد الرحمن الاوسط، ص١٥٦؛ العبادي، في تاريخ المغرب والاندلس، ص١٣٧-١٣٨.

(٢) الأمير عبد الله: هو عبد الله بن محمد الذي تولى الحكم بعد أخيه أبي الحكم المنذر بن محمد بن عبد الرحمن وذلك في شهر صفر سنة خمس وسبعين ومائتين وتوفي سنة ثلاثمائة وهو ابن اثنتين وسبعين سنة فكانت مدة حكمه خمساً وعشرين سنة وكان أديباً وشاعراً بصيراً باللغة ووقعت في أيامه الفتنة بالأندلس. ينظر، ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص٩١؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ١٢٠/١.

(٣) عصام الخولاني: هو أحد رجال الأمير عبد الله بن محمد البارزين وكان قد خرج حاجاً في سفينة أتخذها لنفسهِ ومرافقيهِ فهبت عليه الريح حتى رست سفينتهم على سواحل جزيرة ميورقة فأقاموا فيها مدة من الزمن قاموا خلالها بالاطلاع على أحوالها وما كان فيها من خيرات وما تشكله من خطر على الأندلس لاسيما أنها كانت تحت حكم الأساقفة والرهبان الذين يكنون العداء للمسلمين، مما اطمعهم بالاستيلاء عليها فلما رجع عصام الخولاني إلى الأندلس أخبر الأمير عبد الله بما رأى وطلب منه أن يجهز معه حملة للاستيلاء على الجزيرة وكان الامير يثق بعصام فوافق على إرسالهِ إلى الجزيرة سنة ٢٩٠هـ وقد نجحت الحملة بالإستيلاء على الجزيرة بعد محاصرتها، وكتب عصام بالفتح للأمير عبد الله فكتب إليهِ الأمير بولايتها عشر سنين. ينظر، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ٢١٠/٤-١١٢؛ أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص٣٦٢.

وسائلها وأمكانياتها، إذ لم تكن تمتلك القواعد الكافية لحماية جميع سواحلها خصوصاً الغربية منها؛ لهذا فأنها عجزت عن حمايتها عندما هاجمتها أساطيل النورمان بتحركاتها السريعة وأشرعتها السوداء واسهمتها النارية الخاطفة [1].

## الحادي عشر: حملة الأمير عبد الرحمن الناصر لدين الله[2] سنة ٣٠١هـ/٩١٤م على الممالك النصرانية.

أكدت الدراسات والأبحاث التاريخية أنَّ الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م)، شهد تاريخه السياسي القيام بحملات عسكرية كبرى حصل فيها على غنائم وسبي كثير ففي شوال سنة ٣٠١هـ /مايو سنة ٩١٤م، عندما قاد الأمير عبد الرحمن الناصر لدين الله غزوته الثانية، قاصداً مناطق كورة ريه [3]، والجزيرة وفي هذهِ المدة عاد عمر بن حفصون[4]، زعيم ثورة المولدين، وبسط نفوذه وسيطرته على هذهِ المناطق مِمَّا أدى إلى أندلاع الثورة من جديد فقام عبد الرحمن الناصر لدين الله بحصار قلعة طرش[5]، التي تقع في شرق مالقة تُعد هذهِ القلعة من المواقع الاستراتيجية

(١) الحايك، عبد الرحمن الاوسط، ص١٥٦؛ العبادي، في تاريخ المغرب والاندلس، ص١٣٨.

(٢) عبد الرحمن الناصر: هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الربضي بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي ولقبه الناصر لدين الله وكنيته ابي المطرف كما يلقب بعبد الرحمن الثالث تمييزاً له عن سلفيه عبد الرحمن الأول (الداخل) وعبد الرحمن الثاني (الاوسط) ولد في سنة ٢٧٧هـ ونشأ في بلاط الإمارة وبرعاية جده الأمير عبد الله وتوفي سنة ٣٥٠هـ.ينظر، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ٧/١، ابن الابار، الحلة السيراء، ١٩٧/١.

(٣) كورة ريه: وهي كورة من كور الأندلس في قبلي قرطبة نزلها جند الأردن من العرب، وفيها خيرات كثيرة. الحميري، الروض المعطار، ص٢٧٩-٢٨٠.

(٤) عمر بن حفصون: هو عمر بن حفصون بن عمر بن جعفر بن شتيم بن ذيان ابن فرغلوش بن إذفونش بن مسالمة وكان جدهم مرغلوش قومسا برندة، هو كبير الثوار بالأندلس ونسبه عمر بن حفص، من مسالمة الذمة، كان أصله من رندة ثم انتقل جده جعفر في أيام الحكم بن هشام، فسكن بقرية طرجالة، المجاور حصن أوطة، من كورة رية استوطنها فأنسل فيها عمر، ثم أنسل عمر حفصا، ففخم فقيل حفصون، ثم أنسل حفصون عمر الثائر، وكان ابتداء أمره في سنة ٢٦٧هـ، واقتعد حصن ببشتر سنة اثنتين وسبعين وتوفي سنة ٣٠٥ هـ. ينظر، ابن عذاري، البيان المغرب، ١٠٦/٢؛ بن خميس، مطلع الأنوار، ص٣٢٥.

(٥) قلعة طرش: بضم أوله، وتشديد ثانيه وضمه أيضاً، وآخره شين معجمة، وهي ناحية بالأندلس تشتمل على ولاية وقرى، تقع على مقربة من شمال شنترين، وهي قلعة عظيمة شديدة المنعة، تقع فوق ربوة عالية. ينظر، الحموي، معجم البلدان، ٢٩/٤؛ البغدادي، مراصد الأطلاع، ٨٨٤/٢؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص ١٧٧.

ذو القوة والحصانة ثم سار عبد الرحمن الناصر لدين الله إلى حصون ريه ومعاقلها، حيث بدأ في تدميرها والأستيلاء عليها تباعاً، في هذا السياق إذ قدمَ ابن حفصون على رأس قواته والتقى بعبد الرحمن أمام قلعة طرُّش نشبت معركة شديدة بين الطرفين حيث قتل فيها عدد كبير من جنود ابن حفصون وحلفائه النصارى وحصل الناصر على سبي كثير وأسر أعداداً كثيرة من نصارى الأسبان الأمر الذي أجبر أبن حفصون ورفاقه على الأنسحاب نحو المغرب (١).

كذلك نجح أسطول عبد الرحمن الناصر لدين الله في احتجاز مجموعة من السفن كانت تحمل مواد غذائية وإمدادات قادمة من منطقة المغرب مخصصة لتزويد قوات ابن حفصون، فقام الناصر بحرق تلك السفن ؛ لمنع وصول الموارد إلى وجهتها المقصودة، بعد ذلك تقدم الناصر بقواته نحو منطقة الجزيرة الخضراء ونجح في اقتحام حصن لورة (٢)، الواقع بجوار الجزيرة ثم دخل الناصر الجزيرة الخضراء في ذي القعدة سنة ٣٠١هـ/يونيو سنة ٩١٤م، بعد ذلك، سار إلى شذونة ثم إلى قرمونة وفي تلك الأثناء كان حاكمها قد قام بثورة فيها وبناءً على ذلك، فرض الناصر حصاراً كبيراً على قرمونة حتى قرر أبن حفصون أنْ يستسلم على وفق ضمانات الأمان، ثم قرر عبد الرحمن السماح له بالرحيل بأمانٍ، وقام بمرافقته هو وأتباعه إلى قرطبة ؛ بيد أنه نكث بعهده فيما بعد ودخلت في طاعته سائر المعاقل والحصون التي مر بها، ثم عاد إلى قرطبة في شهر ذي الحجة بعد أنْ ضربَ جبهة الثورة في ذلك الوقت بضربة قوية تسببت بإلحاق أضرار جسيمة لها لكنها لم تقضِ عليها بشكل نهائي، ومع أن الناصر كان يتوق إلى سحق الثورة بكل الوسائل، إلا أنهُ لم يلجأ إلى القسوة، بل اتبع سياسة الرفق والتسامح تجاه الزعماء والثوار الذين قدموا خضوعهم وطاعتهم سمح لعدد كبير منهم بالانتقال إلى قرطبة برفقة أسرهم واطفالهم وقدم لهم الدعم المادي والمعونة وتجلى هذا التسامح بشكل خاص تجاه النصارى الذين قبلوا الخضوع والأنضمام إلى الحكم حيث أظهر لهم الكرم والتسامح بشكل بارز(٣)، وهذا أنَّ دل على شيء فإنما يدل على مدى التسامح الذي تمتع به المسلمون تجاه إخوانهم النصارى في تلك المدة وتعكس هذهِ السياسة الرغبة في بناء علاقات متسامحة ومتبادلة بين المسلمين والنصارى وتعزز روح التعايش والتفاهم بينهم.

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ١٦٤/٢؛ عنان، دولة الاسلام، العصر الأول، القسم الأول، ص٣٧٧.

(٢) حصن لورة: لم أعثر على ترجمة له في كتب البلدان.

(٣) عنان، دولة الاسلام، العصر الأول، القسم الأول، ص٣٧٧-٣٧٨.

## الثاني عشر: حملة عبد الرحمن الناصر ضد مدينة تُطِيلَةُ[1] سنة ٣١٢هـ/٩٢٤م.

أستمر عبد الرحمن الناصر في غزواته وإلحاقه القتل والسبي بأعدائة طيلة مدة حكمهِ وفي ضوء المكاسب التي حققها يستحق الإشارة إلى نجاحه في حملته التي قادها سنة ٣١٢ هـ/ ٩٢٤ م، حيث أستهدف بلاد النصارى بهدف الثأر لبني قسي[2]، وبني ذي النون[3]، خلال هذهِ الحملة قام الناصر بإعادة تنظيم المدن التي عبرها وأستعادة الولاء من سكانها وعندما وصل إلى تُطِيلَةُ، واجه تحصينات قوية وتجمعات كبيرة من جنود العدو[4]، لذا اتخذ قراراً بالأستقرار في تُطِيلَةُ لفترة من الوقت، بهدف إعادة تنظيم قواته وتعزيز سيطرته، استعداداً للدخول إلى بلاد النصارى واستخدم باب تُطِيلَةُ كنقطة دخول ومرور نحو أرض النصارى[5].

في ذات السياق قاد عبد الرحمن الناصر حملة عسكرية قصد فيها غزو أراضي نافار[6]، مِمَّا أسفر عن انتشار حالة من الرعب والهلع بين النصارى، وفي ظل ذلك، قام العدو بترك قلاعهم وحصونهم دون أي مقاومة فعالة وأول ما أستولى عليه المسلمون حصن قلهرّة [7]، أمر عبد الرحمن بتدميره وحرق ما يحتويه من ممتلكات بعد ذلك استاق النصارى قتلاً واسراً وسبياً [8].

---

(١) تُطِيلَةُ: مدينة بالأندلس في شرقي قرطبة في جوفي وشقة، وبين الجوف والشرق من مدينة سرقسطة، ويطيف بجنات تطيلة نهر كالش، وأهل تطيلة لا يغلقون أبواب مدينتهم ليلاً ولا نهاراً، قد انفردوا بذلك بين سائر البلاد هي اليوم بيد الروم، وهي غزيرة المياه كثيرة الأشجار، اختطت في أيام الحكم بن هشام. ينظر، الحموي، معجم البلدان،٢/٣٣؛ الحميري، صفة جزيرة، ص٦٤. وللمزيد من المعلومات ينظر، التميمي، مدينة تطيلة الاندلسية، ص٧٨-٨٠.

(٢) بني قسي: أسرة من الاسر قوطية سميت بهذا الاسم نسبة إلى جدها الأعلى قسي كونت الثغر الأعلى في أوآخر عصر القوط الغربيين قبل الفتح الإسلامي للأندلس وكانوا يسكنون في إقليم أرغون فلما تم الفتح لحق قسي بالشام وأسلم على يد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك لكي يحتفظ في ظل الفاتحين بأملاكه نفوذه في منطقة ولايته وقد تعاقب بني قسي على رئاسة الثغر الأعلى طول عصر الإمارة الأموية في الأندلس. ينظر، ابن حزم، جمهرة أنساب، ص٥٠٢؛ العذري، نصوص عن الأندلس، ص٢٩-٣١.

(٣) بني ذي النون: جدّهم إسماعيل الظافر بن عبد الرحمن بن سليمان بن ذي النون أصله من قبائل هوارة ورأس سلفه في الدولة المروانية وكانت لهم رياسة في شنترية ثم تغلب على حصن أفلنتين أزمان الفتنة سنة تسع وأربعمائة. ابن خلدون، تاريخ، ٤/٢٠٦-٢٠٧.

(٤) ابن حيان، المقتبس، ص١٨٨؛ التميمي، مدينة تطيلة الأندلسية، ص٧٨.

(٥) ابن غالب، فرحة الأنفس، ١/٢٨٧؛ عنان، دولة الاسلام، العصر الأول، القسم الأول، ص٣٣٩؛ التميمي، مدينة تطيلة الأندلسية، ص٧٨.

(٦) نافار: مملكة اسبانية تقع في شمالي اسبانيا على نهر إبره، وهي مجاورة لمملكة أرغون، وهذه المملكة القديمة، أصبحت مقاطعة إسبانية تحمل هذا الاسم في الوقت الحاضر. ارسلان، الحلل السندسية، ٢/ ٢٦- ٦٨.

(٧) حصن قلهرة: لم أعثر له على ترجمة في كتب البلدان.

(٨) التميمي، مدينة تطيلة الأندلسية، ص٧٩.

يتضح مِمَّا تقدم أنَّ هذهِ الحمله من أشهر الحملات التي قادها عبد الرحمن الناصر إذ أنَّفق فيها أربعة أشهر ويطلق عليها في الرواية الإسلامية بغزوة بنبلونة [١]، التي انتهت بالنصر الكبير لاسيَّما على النصارى بعدما دخلت الجيوش الإسلامية بنبلونة [٢]، وبذلك النصر تمكن عبد الرحمن الناصر من إضرام الخوف والشك عند حكام بني تجيب[٣]، الذين استقلوا بحكم سرقسطة بمجرد دخول الناصر إلى تُطِيلَةُ اسرعوا في تقديم الطاعة والولاء له لاسيما حين أعلن الكثير من رجالها الأنضمام والاشتراك في هذهِ الحملة [٤]، ولما عادوا أمر الأمير بالنزول في بلتيرة[٥]، وأمرَ باصلاحه وإدخار الاطعمة فية، كما أمر بتفريق الأموال والارزاق على المرابطين والمجاهدين عنده لكي يشجعهم على مواصلة الدفاع [٦]، ثم خرج منه صوب تُطِيلَةُ وذواتها [٧].

في ضوء ما تقدم يمكن أنَّ نوضح أنَّه خلال فترة حكم الأمارة الأموية كان حكام تُطِيلَةُ كثيري الشغب إذ سعوا ومنذ الأيام الأولى إلى إعلان أستقلالهم لكن بمرور الوقت وبمقتل الرجال ذوي القوة بدأت المدينة تتجرد من قوتها وأصبحت أكثر عرضة لهجمات ملوك النصارى الذين أتخذوا من المدن النصرانية الشمالية مركزاً لمقاومة الحكم الإسلامي[٨]، في ضوء ذلك أضطر حكام تُطِيلَةُ لإبداء الولاء والطاعة للأمير المركزي ؛ بهدف الحفاظ على مناصبهم الحاكمة في المدينة عن طريق ذلك، أستطاعوا البقاء في السلطة والاستفادة من الدعم والمساعدة في حال تعرضوا لأي هجوم خارجي[٩].

(١) ابن حيان، المقتبس، ص١٨٩-١٩٠؛ عنان، دولة الاسلام، العصر الأول، القسم الأول، ص٣٣٩.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ١٨٧/٢؛ عنان، دولة الاسلام، العصر الأول، القسم الأول، ص٣٣٩؛ التميمي، مدينة تطيلة الأندلسية، ص٧٩.

(٣) بني تجيب: بيت من البيوت العربية العريقة في تاريخ الأندلس، ويتألف هذا البيت من فرعين رئيسين ينتمي الفرع الأول إلى بنو هاشم، وهم من الأسر النبيلة التي تتمتع بمكانة عالية في المجتمع الأندلسي، أما الفرع الثاني فهم بنو صمادح، التجيبيون الذين كانوا يحكمون مدينة وشقة وأن جدهم هو عبد الله بن المهاجر الذي هاجر إلى الأندلس مع جيش موسى بن نصير. ينظر، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٠٣-٤٠٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٧٩/٣.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ١٨٦/٢؛ السامرائي، الثغر الاعلى، ص١٦٨؛ التميمي، مدينة تطيلة الأندلسية، ص٧٩.

(٥) بلتيرة: لم أعثر على ترجمة لها في كتب البلدان.

(٦) ابن حيان، المقتبس، ص ١٩٥؛ التميمي، مدينة تطيلة الأندلسية، ص٧٨-٧٩-٨٠.

(٧) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٤٤؛ التميمي، مدينة تطيلة الأندلسية، ص ٧٩.

(٨) العذري، نصوص عن الأندلس، ص ٤٤؛ التميمي، مدينة تطيلة الأندلسية، ص٧٩.

(٩) التميمي، مدينة تطيلة الأندلسية، ص٨٠.

## المبحث الثاني

## سبي النصارى للمسلمين في بلاد الأندلس

### أولاً: حملة الحكم بن هشام ضد القوات الفرنجية سنة ١٩٤هـ/٨٠٩م.

ذكرت المصادر التاريخية حالات سبي قام بها المسلمون ؛ لتكون رداً على الغزوات التي قام بها النصارى وذلك لاستنجاد السبايا بهم فشنوا الغزوات وأوقعوا السبي في العدو وأنقذوا ما بأيديهم من مسبيات المسلمين، ومن الرؤى التي تؤكد هذا الأمر ما حدث سنة ١٩٣هـ/٨٠٩م، حين كان الحكم أبن هشام (١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢١م)[١]، مشغولاً بتمرد أهل ماردة وبقمع الثورات والفتن المختلفة فقامَ الفرنج كعادتهم بإنتهاز كُلَّ فرصةٍ سانحة للأغارة على أراضي المسلمين وشنوا هجماتهم على الأراضي الأندلسية المجاورة لبلادهم وطمعوا في ثغور المسلمين وعاثوا فيها قتلاً ونهباً وسبياً وتدميراً [٢].

ومن الجدير بالذكر أنَّ حملات الفرنج كانت تتجه خاصةً إلى اطراف الثغر الادنى[٣]، وإلى المنطقة الواقعة بين نهري دويرة والتاجه، ويعود السبب في ذلك لبعدها عن حكومة قرطبة، كذلك

(١) الحكم بن هشام: يكنى بالربضي أبو العاصى، كان رجلاً ذو شجاعة وبسالة وكان أديباً وخَطِيبًا مفوهاً وشاعراً مجوداً تحذر صولاته وتستندر أبياته وهو الذي أوقع بأهْل الربض فنسب إِليه وأمر بهدمه وتعطيله وصير ذَلِك وَصِيَّة فِيمَن خَلفه وعهداً على بنيه مَا كَانَ لَهُم سُلْطَان بالأندلس فَلم يعمر وَلَا أختطت فِيهِ دَار إِلَى آخر دولتهم، وَلم ينل الحكم بعد وقعة الربض حلاوة العيش وأمتحن بعلة صعبة طاولته أَربعة أَعوام قلت غربه وأطالت ضناه وأحتجب فِيهَا آخر مدَّته وأستناب ولده عبد الرحمن فِي تدمير ملكه فماتَ على توبة من ذنُوبه وَنَدم كثيرا على مَا اقترف مِنْهَا بَين صَلَاتي الظهر والعصر من يَوْم الْخَمِيس لأَرْبَع بَقينَ من ذِي الحجة سنة سِتّ وَمِائتين ينظر، ابن الابار، الحلة السيراء، ١/ص٤٣،٤٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٣٦٣.

(٢) ابن الاثير، الكامل، ٥/٤٠٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٧٣؛ عنان، دولة الاسلام، العصر الاول، القسم الاول، ص٢٤١؛ الحجاج، جرائم النصارى، ص٦٦.

(٣) الثغر الأدنى: ويشمل المنطقة الواقعة بين نهري دويرة و التاجة، ومن أشهر مدنه مدينة قورية ومدينة قلمرية، وتعتبر مدينة قورية قاعدة لهذا الثغر في السابق، وأصبح مدلول مصطلح الثغور في الجغرافية الأندلسية يعني هذهِ الثغور الثلاثة ومن سكنها يطلق عليه لقب ثغري، وتأتي أهمية هذهِ الثغور من كونها أصبحت المراكز المهمة التي تنطلق منها الجيوش الأندلسية لمجاهدة الإمارات الإسبانية التي ظهرت في الشمال والتي أخذت تسترجع المدن الأندلسية تباعاً كما أصبحت هذهِ الثغور مركزاً مهماً لحركات التمرد ضد حكومة الإمارة في قرطبة، وقد أحرجت مركزها في كثير من الأحيان. ينظر، ابن بشكوال، الصلة، ١/١٤؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الأول، القسم الأول، ص٢٤١؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص٣٦٧؛ السامرائي، الثغر الأعلى، ص٣٩-٤٠.

ضعف وسائل الدفاع فيها وتوغلوا في حملاتهم حتى قلمرية [١]، واشبونة [٢]، وعانى المسلمون في تلك الأنحاء كثيراً من جراء غزوات النصارى وترامت إلى الحكم أبن هشام آلامهم واستغاثتهم، خصوصاً أنَّ أمرأة مسلمة في ناحية وادي الحجارة[٣]، وهيَّ من أكثر المدن التي تعرضت للهجمات والغزوات الفرنجية وقعت سبية في قبضة القوات الافرنجية فاستغاثت بالحكم أبن هشام وهيَّ تقول: (واغوثاه يا حكم قد ضيعتنا واسلمتنا واشتغلت عنا، حتى استأسد العدو علينا)[٤].

ورفع اليه شاعره عباس بن ناصح الجزيري[٥]، قصيدة يصف فيها الآم أهل الثغر ومصائبهم، وقد جسد الكتاني[٦]، هذهِ الحادثة في بيت شعري قال فيه:

**تململت في وادي الحجارة مسهرا ... أراعي نجوما ما يردن تغوّرا**

---

(١) قلمرية: مدينة بالأندلس، من بلاد إشبانية، بينها وبين قورية أربعة أيام، وهي، على جبل مستدير، وعليها سور حصين ولها ثلاثة أبواب، وهي مدينة صغيرة متحضرة عامرة كثيرة الكروم والفواكه من التفاح والجراسيا والعيون ومكانها في رأس جبل تراب منيع لا يمكن قتالها وهي على نهر يسمى نهر منديق وهو يجري منها في شرقيها وعليه أرحاء طاحنة، وبين قلمرية وشنترين في جهة الجنوب ثلاث مراحل وبين قلمرية والبحر في جهة الغرب اثنا عشر ميلا. ينظر، الادريسي، نزهة المشتاق، ٧٢٦/٢؛ الحموي، معجم البلدان، ٣٩١/٤؛ البغدادي، مراصد الأطلاع، ١١١٨/٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٧١.

(٢) أُشبونَة: مدينة بالأندلس أيضا يقال لها لشبونة، وهي متصلة بشنترين قريبة من البحر المحيط يوجد على ساحلها العنبر الفائق، وهي على مصبّ نهر شنترين إلى البحر، وهي بغربي باجة، وهي مدينة قديمة على سيف البحر تتكسر أمواجه في سورها واسمها قودية، وسورها رائق البنيان بديع الشان. ينظر، الحموي، معجم البلدان، ١٩٥/١؛ البغدادي، مراصد الأطلاع، ٨٠/١؛ الحميري، الروض المعطار، ص٦١.

(٣) وادي الحجارة: ناحية تقع بقرب مدينة طليطلة، وتعرف بمدينة الفرج بالأندلس، وهي بين الجوف والشرق من قرطبة، بينها وبين طليطلة خمسة وستون ميلاً وهي مدينة حسنة كثيرة الأرزاق جامعة لأشتات المنافع والغلات، ولها أسوار حصينة، ومياه معينة، وبينها وبين مدينة سالم خمسون ميلاً، وينسب إليها عبد الباقي ابن محمد بن سعيد بن بريال الحجاري أبو بكر. ينظر، الحموي، معجم البلدان، ٣٤٣/٥؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٦٧؛ الحميري، الروض المعطار، ص٦٠٦.

(٤) ابن الاثير، الكامل، ٤٠٨/٥-٤٠٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٧٣/٢؛ المقري، نفح الطيب، ٣٤٣/١.

(٥) عباس بن ناصح الجزيري الثقفي: يكنى ابا العلاء وهو شاعر من أهل الجزيرة، أخذه معه ابوه فنشأ بمصر وتردد بالحجاز طالباً للغة العربية، وكان من أهل العلم باللغة وكان جزيل الشعر، يسلك في أشعاره مسالك العرب القديمة، كما كان له علم بالفقه والرواية، وكان فضلاً عن براعته في الشعر والأدب، بارعاً في علوم الهندسة والفلسفة والفلك، وكانت له منزلة خاصة عند الحكم، وله في مديحه أشعار كثيرة، وقد ولاه الحكم قضاء الجزيره بلده ومسقط ثم وليه من بعده ولده عبد الوهاب بن عباس، وكان مثله شاعراً نابهاً، وتوفي أواخر عهد الحكم ينظر، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس،١/ص٣٤٠-٣٤١؛ عنان، دولة الاسلام، العصر الأول، القسم الأول، ص٢٥٢.

(٦) التشبيهات، ص٢٩٤.

ثم زاد عليهم المقري[1]، وجسد الحادثة بصورة شعرية أكثر وضوحاً حيث قال:

**تململت في وادي الحجارة مسهرا ... أراعي نجوما ما يردن تغوّرا**

**إليك أبا العاصي نضيت مطيتي ... تسير بهم ساريا ومهجّرا**

**تدارك نساء العالمين بنصرة ... فانّك أحرى أن تغيث وتنصرا**

أثارت هذهِ القصيدة في الحكم روح الجهاد لاغاثة المرأة، فجهز حملة عسكرية كبيرة قاصداً بها أراضي القوات الفرنجية سنة (١٩٤هـ/٨٠٩م)، لكي يأخذ بثأر المسلمين فأوغل في بلادهم، وأمر بتحصين الثغور وأفتتح حصون عديدة، هدمَ المنازل، وقتلَ الرجال، وسبى النساء، وخرب البلاد، ونهب الأموال، وقفل على الناحية التي كانت فيها المرأة وأمر بتخليصها من القوات الفرنجية وهذا ما تم فعلاً وعاد إلى قرطبة ظافراً غانماً [2]، وقيل بشأن الحادثة: ((وأمر لأهل تلك الناحية بمال من الغنائم، يصلحون به احوالهم ويفدون سبايـاهم؛ وخص المراة واثرها، واعطأهم عدداً من الأسرى عوناً وأمر بضرب رقاب باقيهم، وقال لأهل تلك الناحية وللمرأة: ((هل أغاثكم الحكم؟)) قالوا: ((شفا والله الصدور، ونكى في العدو، وما غفل عنا إذ بلغه امرنا! فأغاثه الله واعز)) [3]، فارتاح لقولها، وبدا السرور في وجهه وقال:

**ألم تر يا عباس أنّي أجبتها ... على البعد أقتاد الخميس المظفرا**

**فادركت أوطاراً وبردت غلّةً ... ونفّست مكروبا وأغنيت معسرا**

فقال عباس: نعم، جزاك الله خيراً عن المسلمين، وقبّل يده[4].

---

(١) نفح الطيب، ٣٤٣/١.

(٢) الكتاني، التشبيهات، ص٢٩٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٧٣/٢؛ المقري، نفح الطيب، ٣٤٣/١؛ الخالدي، تحرير اسرى المسلمين، ص١٤؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الأول، القسم الأول، ص٢٤١.

(٣) ابن الاثير، الكامل، ٤٠٩/٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٧٣/٢؛ المقري، نفح الطيب، ٣٤٠/١؛ الحجاج، جرائم النصارى، ص٦٦؛ الخالدي، تحرير اسرى المسلمين، ص١٥.

(٤) المقري، نفح الطيب، ٣٤٤/١؛ الخالدي، تحرير اسرى المسلمين، ص١٥.

## ثانياً: غارات النورمان (الفايكنك)[١] البحرية على الممالك الإسلامية سنة ٢٢٩هـ/ ٨٤٣م.

لم تكن بلاد الأندلس بعيدة عن خطر هجمات النورمان (الفايكنك) لاسيمَّا أنَّهم أشتهروا بخبرتهم العريقة في جوب البحار، و برعوا في مغالبة قسوة أنواء الجو، وفي معرفة الطرق البحرية والتيارات المائية وبدأوا في اوآخر القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، يشنون حملاتهم البحرية الذاهبة إلى شواطىء الجزر البريطانية وكانت روح المخاطرة تدفع بهم دائماً إلى عرض البحار، وتجعلهم خطراً دائماً على الشواطىء والثغور المجاورة وفي اوائل القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، أصبحت حملاتهم تشمل شواطئ بلدان غرب أوربا إذ كانوا يشنون حملاتهم في بداية كل ربيع يجوبون البحار ويهاجمون الشواطئ ويحرقون القرى والمدن ويسرقون كل ما يجدونه أمامهم ثم يعودوا إلى مواطنهم قبل حلول فصل الشتاء [٢]، وطيلة الثلث الاول من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي،كانوا يشنون غاراتهم على شواطئ الفرنج وعبر مجاري أنهارها فتعيث فيها الفساد والدمار ثم أنشاوا لهم مركزاً وقواعد عدة، عند مصبات الأنهار الكبيرة فنمت لهم بصورة خاصة تجمعات اقاموها عند مصب نهر السين[٣]، حيث سُميت هذهِ الأراضي فيما بعد بأسمهم وصارت تعرف بأسم نورماندیا، وهنا بدأ تطلع النورمانيين إلى أسبانيا وشبه الجزيرة الأيبيرية بصورة خاصة لما كان يصلهم من أخبار بما تشتهر به الأندلس من وفرة الثروات الخصب فيها، الأمر الذي كان يثير جشع أولئك الغزاة [٤].

أستغل النورمان تأخر الحكومات الإسلامية في الأندلس بأنشاء أسطول بحري يُمكنهم من مواجهة القوى البحرية المهددة لمياه الأندلس، كذلك أخذَ النورمان يجوبون البحار برحلات أثبتوا فيها

(١) النورمان (الفايكنك): Vikings وهم من الأمم البحرية العريقة التي تسكن في البلاد الاسكندنافية أي السويد، النرويج، والدانمارك الحالية، وكلمة النورمان تعني سكان الشمال، وهي تحريف لكلمة Norsemen الانكليزية أو Normandos الاسبانية، وقد وردت تسمية هذهِ الأقوام بأشكال مختلفة، مثل المجوس، والأردمانيون أي النورمانيين، وقد ترجع هذهِ التسمية إلى أنَّ النورمانيين كانوا في العهد الذي عرفهم فية عرب الأندلس لأول مرة (مجوساً ) أي وثنيين لم يعتنقوا النصرانية بعد وكان من طبيعة هؤلاء النورمان حب المغامرة وجوب البحار بحثاً عن الأماكن الضعيفة في الشواطئ لمهاجمتها وسلبها، ينظر، الخلف، نظم حكم الامويين، ٥٦١/٢؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص١٣١.

(٢) الخلف، نظم حكم الامويين، ٥٦١/٢؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٢٢٢.

(٣) نهر السين: لم أعثر على ترجمة له في كتب البلدان.

(٤) نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٢٢٢.

كفاءتهم البحرية وأخذوا يهاجمون موانئ الفرنج [١]، وكان الساحل الشرقي للأندلس كثير الحركة وتحميه المراكب بينما الساحل الغربي كان مكشوفاً ولا توجد حماية له بل أنَّ وضع في الأندلس كان مكشوف بصورة واضحة عند هجوم سفن النورمانيين على الأندلس [٢].

ظهر النورمانيين في السواحل الأندلسية، لاوّل مرة في صيف سنة ٢٢٩هـ/٨٤٣م، إذ هاجموا الشواطئ الفرنسية في فرنسا، والشواطئ الواقعة عند مصب نهر الغارون او الجارون فوصلت سفنهم إلى مدينة بوردو الفرنسية ثم تابعوا تقدمهم صوب شواطئ أسبانيا المطلة على المحيط الاطلسي فنزلوا على الساحل بالقرب من مدينة خيخون ومنها توجهوا إلى شواطئ مملكة جليقية فبعث ملكها راميرو (رذمير) اليهم جيشاً تصدَّى لهم وأحرق كثيراً من سفنهم، فأنقلب النورمانيون عندئذ إلى مياه أسبانيا الغربية والجنوبية، يجوبونها في طلب السبي والغنيمة، واقتحموا شواطىء الأندلس في غزوتهم الاولى[٣]، وبعد ذلك اتجهوا جنوباً وساروا على محاذاة شواطئ شبه الجزيرة الأيبيرية المطلة على المحيط الاطلسي وتقدموا بسفنهم إلى شواطئ المسلمين في مدينة لشبونة، في ذي الحجة سنة ٢٢٩هـ/ آب سنة ٨٤٣م، إذ خرج أسطولاً من النورمان قدر قوامه زهاء ثمانين مركباً رسى في مياه لشبونة الأمر الذي فاجئ المسلمين وادرك عامل لشبونة خطورة الموقف وما يمكن أنَّ يجر من كوارث فكتب إلى أمير قرطبة عبد الرحمن بن الحكم يخبره بالأمر[٤]، فكتب عبد الرحمن إلى عمال الثغور في المدن والمناطق الساحلية ليأخذوا الحيطة والاستعداد ولبث النورمانيون في مياه أشبونة تقريباً ثلاثة عشر يوماً أشتبكوا خلالها مع المسلمين في عدة معارك ثم زحفوا بأسطولهم جنوباً صوب مرفأ قادش ومنها اتجهوا للعبور في مجرى نهر الوادي الكبير، وفي طريقهم صوب مدينة اشبيلية[٥]، فأحتلوا أراضيها ودخلوها قسراً وأنزلوا السيف بسكانها مستأصلين أهلها قتلاً وأسراً وسبياً [٦]،

(١) سيسالم، جزر الأندلس المنسية، ص٦٤.

(٢) الخلف، نظم حكم الامويين، ٥٦١/٢.

(٣) عنان، دولة الاسلام، العصر الاول، القسم الاول، ص٢٦٢؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٢٢٣.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٧/٢؛ الخلف، نظم حكم الامويين، ٥٦١/٢؛ عنان، دولة الاسلام، العصر الاول، القسم الاول، ص٢٦٢؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٢٢٣.

(٥) ابن الاثير، الكامل، ٨٣/٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٧/٢؛ عنان، دولة الاسلام، العصر الاول، القسم الاول، ص٢٦٣؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٢٢٣.

(٦) ابن الاثير، الكامل، ٨٣/٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٧/٢؛ عنان، دولة الاسلام، العصر الاول، القسم الاول، ص٢٦٣؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٢٢٣؛ الخلف، نظم حكم الامويين، ٥٦١/٢؛ شبارو، الاندلس من الفتح، ص١٣٤.

ثم ساروا بعدها إلى قرية صغيرة تدعى قورَةُ [١]، تبعد عن اشبيلية اثنا عشر ميلاً اشتبكوا مع حاميتها بمعركة حامية الوطيس قتل فيها عدد كبير من المسلمين ثم توجوا بعد ذلك صوب قرية طلياطة[٢]، التي كانت تبعد حوالي ميلين عن اشبيلية فاملتئ سكانها رعباً وفروا منها إلى قرمونه وإلى جبال اشبيلية ولم يتمكنوا من مقارعة النورمان لقوة شوكتهم [٣]، ويبدو أنَّهم هربوا لأن المدينة تفتقر لمقومات الدفاع القوية وبصورة أدق تفتقر لسور قوي يحميها ويرد عنها المغيرين إلا أنَّهم دافعوا عن مدينتهم عندما هاجمها النورمان وخسر المسلمين وقتل منهم عدد كبير [٤].

في ظل تلك المتغيرات السياسية فقد دخل النورمان المدينة دخول المستعربين وأمعنوا في أهلها قتلاً واسراً وسبياً وأشاعوا فيها الدمار والخراب ؛ ونتيجة لتلك العوامل فقد سارع عبد الرحمن الأوسط بالاستنجاد بعماله وولاته وأمراء المقاطعات البعيدة وكانت استجابة الناس لاستغاثته سريعة فجاءته الأمدادات من كل مكان وهذا ما سمح للأمير بأنَّ يرسل جيشاً كبيراً عليه قادة شجعان وتمركز المسلمون في تلٍ مُشرفً على اشبيلية يُدعى تل الشرف ثم وصل أمداداً آخراً فتراجع النورمان بعد ما أيقنوا أنَّ المسلمين عازمون على قتالهم وتمركزوا في قرية طلياطة [٥].

على أيَّةِ حال فقد بدات المعركة في صفر ٢٣٠هـ/ تشرين الثاني ٨٤٤م، كان على رأس قوات المسلمين محمد بن رستم [٦]، فحاصروا النورمان من جانبي النهر وقطع اسطول كبير يتألف من خمسة

(١) قَوْرَةُ: قرية من قرى إشبيلية بالأندلس، ينسب إليها الفقيه أبو عبد الله محمد بن سعيد بن أحمد بن زرقون القوري ثم الإشبيلي. الحموي، معجم البلدان، ٤١٢/٤.

(٢) قرية طَلْيَاطَةُ: ناحية بالأندلس من أعمال إستجة قريبة من قرطبة، بينها وبين اشبيلية محلة من عشرين ميلاً، ومن طلياطة إلى لبلة نفس المحلة، ينسب إليها حماد ابن شقران بن حماد الإستجي الطلياطي. ينظر، الحموي، معجم البلدان، ٣٩/٤؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٣٩٥؛ صفة جزيرة، ص١٢٨.

(٣) ابن القوطية، تاريخ أفتتاح، ص٨٤-٨٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب،٨٧/٢؛ عنان، دولة الاسلام، العصر الاول، القسم الاول، ص٢٦٣؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٢٢٤.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٧/٢؛ عنان، دولة الاسلام، العصر الاول، القسم الاول، ص٢٦٣؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٢٢٤.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٨/٢؛ عنان، دولة الاسلام، العصر الاول، القسم الاول، ص٢٦٣؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٢٢٤.

(٦) محمد بن رستم: قائد عسكري وعامل الثغر الادنى الذي تم تكليفه من قبل الأمير عبد الرحمن واردفه بقوات من الخيل لانقاذ مدينة اشبيلية من غزو النورمان عليها في سنة مائتي وثلاثون للهجرة. ينظر، عنان، دولة الاسلام، العصر الاول، القسم الاول، ص٢٦٣، ٢٥٨.

عشر سفينة مشحونة بالرجال والسلاح [1]، فهزم النورمان بعد قتال عنيف، وقتل منهم ما يقارب ألف وكان قائدهم بين القتلى وأسر اكثر من أربعمائة، وأحرقوا من سفنهم ثلاثون سفينة وأرتد النورمان إلى سفنهم وتحصنوا بها وقتل المسلمون أسراهم وصلبوا بعضهم على جذوع النخيل، ثم أقلعت سفن الغزاة مرتدة إلى الجنوب، والمسلمون من ورائهم يطاردونهم، ويفتدون أسرى المسلمين منهم وأنتقم النورمانيون لأنفسهم اثناء ارتدادهم بالاغارة على لبلة وباجة، ثم أنتهوا ثانية إلى ثغر اشبونة حيث غادروا مياه الأندلس مع باقي سفنهم، بعد أنَّ لبثوا بضعة أسابيع يبثون فيها الخوف والروع واستمرت هذهِ الغزوة ما يقارب ثلاثة وأربعون يوماً نزلت نزول الصاعقة على سكان اشبيلية والمدن الواقعة على مجرى نهر الوادي الكبير فقد ذاقوا فيها الأمرين وعرفوا مختلف ألوان المحن والرزايا[2].

ثم عاود النورمان غاراتهم إلى لبلة فأصابوا سبياً، ثم رحلوا فطوقوا شذونة وحصلوا على الغنائم والسبي وأقاموا يومين، ثم وصلت مراكب للأمير عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط) إلى اشبيلية فلما أحس بها النورمان لحقوا بلبلة فأغاروا وسبوا [3]، وعلى أيَّة حال عدت هذهِ المحنة نقطة تحول في سياسة بني أمية البحرية إذ لم يِعد النورمان إلى غزو بلاد الأندلس فقد اتخذ عبد الرحمن الأوسط الاحتياطات الكاملة لحماية السواحل وقام بتنظيم القوى البحرية بحيث يكون هناك اسطول حربي قوي يمكن الأعتماد عليه في الدفاع عن سواحل الأندلس كما أهتم بالدفاع عن اشبيلية فأمر ببناء سور عالي لحماية المدينة من الحجارة يحميه من المغيرين وأمر بتحصينها من ناحية النهر[4].

## ثالثاً: غارات النورمان على السواحل الأندلسية سنة ٢٤٥هـ/٨٥٩م.

عادت سفن النورمان بعد غياب استمر لعدة سنوات للظهور أمام سواحل الأندلس الغربية وشنوا هجومهم على السواحل الأندلسية إذ انحدروا في سفنهم نحو شواطئ جليقية في

(١) ابن القوطية، تاريخ أفتتاح، ص١٥٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٨٨؛ عنان، دولة الاسلام، العصر الاول، القسم الاول، ص٢٦٣؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٢٢٥.

(٢) ابن الاثير، الكامل، ٦/٨٣-٨٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٨٨؛ الصوفي، الأخلاق الإسلامية، ص٨٩؛ عنان، دولة الاسلام، العصر الاول، القسم الاول، ص٢٦٣؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٢٢٥.

(٣) ابن الاثير، الكامل، ٦/٨٤.

(٤) نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٢٢٥؛ شبارو، الاندلس من الفتح، ص١٣٥.

سنة ٢٤٥هـ/٨٥٩م[١]، في اسطول قوامه اثنين وستين مركباً إلاَّ أنَّهم فشلوا فشلاً ذريعاً امام أسطول القوات الإسلامية وهذا أنَّ دلَ على شيء فإنما يدل على التطور الكبير الذي شهده عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط لما قام به من تحصين بلاده لتجنب هجمات أولئك الغزاة فكان دائم الاهبة والاستعداد لردهم كذلك فأن مراكز المراقبة التي اقامها عبد الرحمن الأوسط على طول الساحل الغربي للأندلس قامت بوظيفتها على أتم وجه الأمر الذي مَكَّنهُ من تحقيق حضور قوي في ميادينه الحربية، فتمكن المسلمون من صد سفن النورمان وأستولوا على مركبين من مراكبهم محملات بالذهب والفضة والسبي وأحرقوا مركبين آخرين فعاد الغزاة ادراجهم من حيث قِدموا بعد أنَّ خسروا العديد من مراكبهم ومقاتليهم ودون أنْ يلحقوا الإذى بالمسلمين [٢].

واجه النورمان مقاومة كبيرة من قبل قوات المسلمين وتحديداً بالقرب من نهر الوادي الكبير لذلك اضطرت القوات النورماندية للأنحدار جنوباً حتى مدينة الجزيرة الخضراء التي نجحوا في التغلب عليها فأحرقوا مسجدها الجامع، ثم تمكنوا من النزول على سواحل الأندلس الشرقية، ووصلوا حتى شواطىء كورة تدمير[٣]، وعاثوا فيها فساداً ونهباً وسبياً واشتبكوا مع القوات الأندلسية في معاركٍ بحرية وبرية حامية الوطيس حطَّمت فيها الكثير من سفنهم وخسروا فيها كثيراً من رجالهم وقبالة هذا فقد قتل عدد من المسلمين وخسروا العديد من سفنهم إذ بلغ تعداد ما فقدوه منها أكثر من أربعين مركباً وانتهت هذهِ الغزوة النورمانية على بلاد الأندلس دون تحقيق نتائج إيجابية إذ كانت هذهِ الغزوة بمثابة أول اختبار جدي لفعالية القوى البحرية التي أسسها الأمير

(١) اختلفت الروايات الإسلامية في تحديد تاريخ هذهِ الغزوة النورمانية الثانية لشواطىء الأندلس فيضعه الرازي في سنة ٢٤٥ هـ /٨٥٩ م. ويتابعه في ذلك ابن الأثير وابن عذاري ويضعها هشام ابن معاوية الشبينسي في سنة ٢٤٧هـ/٨٦١ م، ونتفق مع الرواية الأولى لأنها الأرجح والأكثر توافقاً مع سير الحوادث. ينظر، عنان، دولة الاسلام، العصر الاول، القسم الاول، ص٢٩٨، هامش رقم (١).

(٢) العذري، نصوص عن الأندلس، ص ١١٨-١١٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٩٦/٢؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص١٣٢-١٣٣؛ الخلف، نظم حكم الامويين، ٢٤٤/٢، ٥٦٨-٥٦٩؛ عنان، دولة الاسلام، العصر الاول، القسم الاول، ص٢٩٧؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٢٦١.

(٣) كورة تدمير: وهي كورة بالأندلس، تتّصل بأحواز كورة جيان، وهي شرقيّ قرطبة، ولها معادن كثيرة ومعاقل ومدن ورساتيق، وبينها وبين قرطبة سبعة أيام للراكب القاصد، وتسير العساكر أربعة عشر يوما، خطاب، قادة فتح الأندلس، ص٦٣.

عبد الرحمن الأوسط وجهوده كانت قد بلغت درجة عالية في عهد ولده الأمير محمد[١]، فكان للاحتياطات الدفاعية التي اتخذها في تقوية الأسطول والمحارس والرباطات التي أقامها على طول الساحل الغربي للأندلس، أثر كبير في رد الغزاة والتقليل من شأن هجومهم فأثبت فعالية كبيرة جعل من أتى بعده من الأمراء الأمويين يستمرون في الاهتمام بالأسطول وتطويره وزيادة عدد قطعه ورجاله [٢].

## رابعاً: حملة اردونيو الثاني ضد مدينة يابرة سنة ٣٠١هـ/٩١٣م.

واجه الأمير عبد الرحمن الناصر في بداية حكمه تحديات جسيمة تتمثل في تهديدات الممالك النصرانية فبادر الخليفة في المقام الأول إلى تجاهل تصرفات الممالك الأسبانية، بهدف التركيز على الجبهة الداخلية ومواجهة التمردات السياسية التي أندلعت في جميع أنحاء البلاد فاستغل ملك ليون أردونيو الثاني(٣٠٠-٣١٢هـ/٩١٤-٩٢٤م)، هذهِ الفرصة وقام بشن هجوم على مدينة يابرة في سنة (٣٠١هـ/٩١٣م)[٣]، حيث قصدها في قوات عسكرية ضخمة تتألف من ثلاثين ألف فارس وجندي ورماة، وفرض الحصار الشديد على المدينة وضيق الخناق على سكانها، وكان عامل مدينة يابرة في ذلك الوقت مروان بن عبد الملك[٤]، مسؤولًا عن إدارة يابرة، وبعد توصل أردونيو إلى قناعة تامة بأن المدينة لا تمتلك أي تحصينات دفاعية ولا توجد عوائق تعيق اقتحامها طمح بشدة لاحتلالها وبالتالي، قام بإرسال قوات عسكرية ؛ لتحاصر المدينة من جميع الجهات وبالمقابل من ذلك، فقد بذل مروان بن عبد الملك جهوداً كبيرة لمقاومة الغزاة والدفاع عن المدينة، في حين قام أردونيو بتطويق المدينة بقواته من كافة الزوايا وهاجمها بقواته من مختلف الجهات[٥].

---

(١) الأمير محمد: هو محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام ابن صقر بني أُمَّية عَبْد الرَّحْمَن بْن معاوية بْن هشام بْن عبد الملك، الأمير أبو عبد الله الأموي المرواني الأندلسي، صاحب الأندلس، ولد في قرطبة سنه ٢٠٧هـ، بويع بالملك عند موت والدهِ سنة ثمانٍ وثلاثين، بقي فِي الملك خمسًا وثلاثين سنة، وأُمُّه أُمُّ ولد، وكان كثير الإحسان للرعية، عاقلا، عادلا، كان يتوغّل فِي بلاد الفِرَنْج، ويبقي فِي الغزوة العام والعامين، فيقتل ويأسر ويسبي، وتوفي سنة ٢٧٣هـ. ينظر، الذهبي، تاريخ الإسلام، ٦١٢/٦؛ سير أعلام، ٢٨٥/٧؛ الزركلي، الأعلام، ١٨٩/٦.

(٢) ابن الاثير، الكامل، ١٣٢/٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٩٦/٢؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص١٣٣؛ عنان، دولة الاسلام، العصر الاول، القسم الاول، ص٢٩٨؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٢٦١.

(٣) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٣٢٤.

(٤) مروان ابن عبد الملك: لم أعثر على ترجمة له في كتب التراجم.

(٥) ابن حيان، المقتبس، (تحقيق شالميتا)، ٥/ص٩٣-٩٤؛ عنان، دولة الاسلام، العصر الاول، القسم الاول، ص٣٩٢؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص١٥٩.

تصاعدت الاشتباكات بين المسلمين والقوات النصرانية و قام المسلمون بالدفاع عن مدينتهم بقوة، واستخدموا الأسوار كوسيلة لصد هجمات العدو ومنع أختراقها ومع ذلك كان العدو قوياً من حيث العدد والتجهيزات، وتمكن بعض القوات النصرانية من تسلق الأسوار واختراقها، اندلعت معارك عنيفة داخل المدينة بين المسلمين والنصارى، حيث تصدى المسلمون للهجمات وقاتلوا بشجاعة للدفاع عن أنفسهم والحفاظ على المدينة، وعلى الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلها المسلمون، إلا أنَّ العدو تفوقَ عليهم وفي ظل هذهِ الظروف الصعبة، واجه المسلمون هزيمة مدمرة وساحقة، إذ تم اجتياح المدينة وكثُرَ القتل والدمار بين صفوف المسلمين وفي ظل تلك الكارثة، قُتلَ معظم المسلمين، ونجا فقط عدد قليل من الناجين الذين نجحوا في الهروب ليلاً إلى مدينة باجة هناك، سعوا لإعادة تجميع قواتهم وتعزيز صفوفهم بهدف أستعادة مكانتهم والمضي قُدماً في الصراع المستقبلي[1] وقيل بشأن الحادثة: ((ثم كاثرهم العدو حتى قهرهم والجأهم إلى موضع بشرقي المدينة بقرب من سورها تضايقوا فية لازدحامهم فقتلوا على اخرهم وسبى المشركون جميع نسائهم وذراريهم.... واستشهد في هذهِ الواقعه مروان بن عبد الملك عامل يابرة حيث قتل في مسجده وسبي جميع نسائه وولده وأهله)) [2].

أستولى النصارى الأسبان على المدينة بالكامل وأحدث فيها فسادًا شاملاً وحصلوا على أعداد هائلة من السبي بلغ نحو أربعة آلاف امرأة وطفل، وتم قتل سبعمائة رجل داخل المدينة ثم ترك العدو المدينة في حالة خراب وانسحبَ إلى جليقية [3].

وترى الباحثة أنَّهُ ثمة مبالغة واضحة في تقدير الأعداد التي تم ذكرها سواء فيما يتعلق بأعداد الجيوش النصرانية التي تم تقديرها بثلاثين ألف، أو بأعداد السبي التي حصل عليها النصارى والتي قدرت بأربعة الآف أمرأة وطفل، ومن المهم أن نعترف بأنَّ الأحداث التاريخية قد تتسم بتعقيداتّ في توثيق الأعداد بدقة، وقد يكون هناك تناقص أو تضخيم في هذهِ التقديرات وبالتالي فأنَّ هذا الخلط يبعدنا عن الحقيقة التاريخية المنشودة.

(١) ابن حيان، المقتبس، ٥/٩٤؛ عنان، دولة الاسلام، العصر الاول، القسم الاول، ص٣٩٢؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص١٥٩.

(٢) ابن حيان، المقتبس، ٥/٩٥.

(٣) ابن حيان، المقتبس، ٥/٩٥؛ الدليمي، التحديات الداخلية والخارجية، ص٨١؛ عنان، دولة الاسلام، العصر الاول، القسم الاول، ص٣٩٢.

رغم النتائج العسكرية التي خلفها هجوم النورمان على شواطئ الأندلس إلا أنَّ الملك اردونيو الثاني أمر بمغادرة المدينة وعدم ضمها الى مملكته ولعلَّ ذلك يعود للأضطرابات الداخلية التي كانت تعيشها مملكته والتي كانت تستدعي عودته اليها بالإضافة إلى ذلك يمكن أن يشَّكل وجود عدد كبير من المناطق والمدن والحصون التي تركها خلفه خطراً كبيراً عليه وعلى حياة جنوده وقد تُهدد سلامتهم وبتركه المدينة، عادت مدينة يابرة إلى الحكم الإسلامي لمدة مائتين وستين سنة تحت حكم المسلمين ومع ذلك تم استعادتها لاحقاً من قبل النصارى الأسبان سنة ٥٦١هـ/١١٦٦م [١].

## خامساً: حملة اردونيو الثاني ضد مدينة ماردة سنة ٣٠٢هـ/٩١٤م.

في سنة (٣٠٢هـ/٩١٤م)[٢] وقيل (٣٠٣هـ /٩١٥م)[٣]، حسب اختلاف الروايات كررَ اردونيو سياسته العدوانية متفاخراً بما حقق من أنجازات عسكرية باهرة فأستغل أنشغال المسلمين في مشاكلهم الداخلية فقاد جيشاً مكوناً من النصارى الأسبان من مناطق الشمال وشن هجوماً على غرب الأندلس، حيث استهدف بالتحديد مدينة ماردة، وعبر نهر تاجة وأستولى على حصن مادليس[٤]، وقد وجد عبد الرحمن الناصر نفسه في بداية حكمه مضطرًا لمواجهة تحديات قوية في مدينة ليون مواجهة لم يكن يتوقعها فقد حدث أن تصاعدت توتراته مع ملكهم القوي أردونيو الثاني حيث أقدم هذا الأخير على ارتكاب أعمال عداء بحق إقليم ماردة من خلال أتباع سياسة القوة والقسوة وفي ذلك الوقت أستولى أردونيو الثاني على حصن الخشب[٥]، بعد أن نجح في القضاء على الحامية المكلفة بحمايته وقام بقتل جميع الرجال وسبى النساء والأطفال، ثم أمر بتدمير الحصن بالكامل وفي مكان الحصن تم إنشاء كنيسة تحمل أسم كنيسة اقديسة مارية [٦].

(١) ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ٣٧٣/١؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الأول، القسم الأول، ص٣٩٢.

(٢) رينهارت، المسلمون في الأندلس، ٢٣/٢.

(٣) السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص١٦٠.

(٤) حصن مادلين: لم أعثر على ترجمة له في كتب البلدان.

(٥) حصن الخشب: لم أعثر على ترجمة له في كتب البلدان.

(٦) مؤنس، معالم تاريخ المغرب، ص٣٦٤؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص٢٨٩؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٣٣٩.

بعد ذلك فرض اردونيو الثاني حصاراً محكماً وصارماً على المدينة التي كانت تتحلى بقوة وحصانة فعالة لذلك قررَ سكان المدينة المحاصرة التفاوض معه من خلال تقديم هدايا وتسهيلات كجزء من استرضائه وتحفيزه على الانسحاب والتراجع عن الحصار وفي نهاية المطاف توصل الطرفان إلى اتفاق ينص على انسحاب القوات المحاصرة بفضل الغنائم التي حصلت عليها طول مدة الحصار، وخلال رحلتها اجتاحت القوات المحاصرة المناطق التي عبرتها وارتكبت أعمال قتل بشكل واسع النطاق وسبي النساء والأطفال وبعد انتهاء الرحلة، عادت القوات المحاصرة إلى بلادها [1]، فضلاً عمّا كانت تعانية من مشاكل سياسية داخلية شهدت الأندلس على مدى عامين متتاليين( ٣٠٢-٣٠٣هـ/ ٩١٤-٩١٥م)، ظروفاً اقتصادية صعبه إذ اجتاحتها المجاعه وتوالي القحط عامين كاملين شمل الأندلس واطرافها وثغور فكان من الطبيعي أنَّ تعجز حكومه قرطبه على تجهيز الحملات العسكرية لصد هجمات النصارى في ظل الظروف الاقتصادية الصعبه التي كانت تعيشها البلاد سيما أنَّ تجهيز تلك الحملات يحتاج إلى امكانيات مادية كبيرة [2].

(١) ابن حيان، المقتبس (تحقيق شالميتا)، ٥/١٢٠-١٢٣؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ١٨٢/٤.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ١٦٦/٢-١٦٨؛ مؤلف مجهول، تاريخ عبد الرحمن، ص٣٣-٣٤.

# الفصل الثاني

## السبي في بلاد الأندلس في عهد الخلافة الأموية ودويلات الطوائف

## (٣١٦-٤٨٤هـ/٩٢٩-١٠٩٢م)

المبحث الاول: سبي المسلمين للنصارى الاسبان في بلاد الاندلس

المبحث الثاني: سبي النصارى للمسلين في بلاد الاندلس

## المبحث الأول

## سبي المسلمين للنصارى الإسبان في بلاد الأندلس

### أولاً: غزوات محمد بن أبي عامر[1] ضد الممالك النصرانية ٣٦٦-٣٦٧هـ /٩٧٧م.

يُعد محمد بن أبي عامر (٣٢٦ - ٣٩٢ هـ /٩٣٨ - ١٠٠٢ م)، أحد رجالات الحكم في الأندلس الامر الذي دفعه للتخلص من كُل القوى المناوئة لهُ في الحكم مبتدءاً بالصقالبة[2]، يساعده الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي[3]، والتي تعد من أولى خطواته باتجاه السيطرة على السلطة وذلك بعد ما حمل الحاجب المصحفي على نكبتهم فنكبهم وأخرجهم من القصر وكانوا ثمانمائة أو اكثر[4].

بعد النجاح الذي حققه محمد بن أبي عامر في التخلص من الصقالبة حاول بعد ذلك السيطرة على القوى العسكرية، والتحالف مع القوى الأخرى التي لا يستطيع بسط نفوذه عليها فأراد أنَّ يوطد نفسه في السلطة ويبسط نفوذه على الجيش، فقادَ خلال فترة وجيزة ثلاث حملات بأتجاه الممالك

(١) محمد بن ابي عامر: هو محمد بن عبد الله بن عامر بن محمد أبي عامر بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري القحطاني، أبو عامر، المعروف بالمنصور ابن أبي عامر، أمير الأندلس في دولة هشام المؤيد الأموي، وأحد الشجعان الدهاة أصله من الجزيرة الخضراء قدم قرطبة شابا، طالبا للعلم فبرع وولي الشرطة والسكة والمواريث، وأضيف إليه القضاء بإشبيليّة حكم الاندلس ما يقارب ٢٦ سنة، غزا فيها بلاد الإفرنج ٥٦ غزاة، لم ينهزم له فيها جيش وتوفى في طريق الغزو في أقصى الثغور بمدينة سالم سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة. ينظر، الضبي، بغية الملتمس، ص١١٥-١١٦؛ الزركلي، الاعلام، ٢٢٦/٦.

(٢) الصقالبة: هي جمع لكلمة صقلبي وتعني الشعوب السلافية وقد كانت بعض الشعوب الأوربية تبيعهم كالعبيد إلى الأندلسيين الذين توسعوا في استعمال هذهِ الكلمة فأصبحت ايضاً تعني الرقيق المجتلب من أوربا وكان اليهود يقومون بهذهِ التجارة وأحيانا استعملت الكلمة للدلالة على الشعوب نفسها لا على العبيد المجتلبين منها فقط. متز، الحضارة الإسلامية، ٣٠٠/٢-٣٠١.

(٣) جعفر المصحفي: هو جعفر بن عثمان بن نصر، أبو الحسن، الحاجب المعروف بالمصحفي وهو وزير، أديب، أندلسي، ومن كبار الكتاب، أصله من بربر بلنسية، استوزره المستنصر الأموي إلى أن مات وولي جزيرة ميورقة في أيام الناصر ولما ولي الحكم استوزره، وضم إليه ولاية الشرطة وآلت الخلافة إلى هشام المؤيد ابن الحكم، فتقلد حجابته وتصرف في أمور الدولة وقوي عليه المنصور بن أبي عامر بخدمته لصبح أم هشام المؤيد فاعتقله وضيق عليه، فاستعطفه جعفر بمنظومه ومنثوره، فلم يرق له، وصادره في ماله حتى لم يترك له ولا لأبنائه ما يسدون به أرماقهم، ثم قتله وبعث بجسده إلى أهله.الزركلي، الاعلام، ١٢٥/٢.

(٤) المقري، نفح الطيب، ٣٩٧/١؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص١٩٤؛ السادة، الفكر السياسي، ص٤٣-٤٤.

الأسبانية الشمالية، وكانت أولى غزواته في رجب سنة ٣٦٦هـ/ شباط سنة ٩٧٧م، ضد مملكة ليون وذلك بعد أنَّ أنتهز القشتاليون فرصة وفاة الخليفة الحكم المستنصر(٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م)[١]، وأنشغال المسلمين عقب وفاته فدفعوا غاراتهم جنوباً ووصلوا إلى مقربة من العاصمة ذاتها فتصدى لهم محمد بن أبي عامر وأعطى أمر للحاجب جعفر المصحفي بتجهيز حملة عسكرية متكاملة العدد والعدة فخرج من قرطبة وسار شمالاً إلى أراضي قشتالة فقام القشتاليون بهجوم شديد على قلعة رباح[٢]، فطلب أهلها النجدة من حكومة قرطبة التي بدت وكأنها عاجزة عن مناصرته [٣].

هنا دعا محمد بن أبي عامر لتجميع القوات وإعدادها وتجهيز المال والجند لمهاجمة قشتالة، وتولى هو قيادة هذهِ الحملة التي دخلت أراضي جليقية، ونزل حصن الحامة [٤]، ومكانه اليوم محلة يطلق عليها بالأسبانية (لوس بانيوس) في جليقية وفرض عليه حصاراً فدمرهُ وعاث في أطرافه وحصلَ على الغنائم والسبي، وعاد إلى قرطبة بعد ثلاثة وخمسين يوماً من خروجه منها مثقلاً بالغنائم والأسرى والسبي، وكان لهذا الظفر الحربي الأول نتائج بعيدة المدى فقد أضاف إلى رصيده في نجاحه العسكري هذا صفة القائد العسكري الناجح وابرزت هذهِ الغزوة كفاءته العالية كقائد عسكري واظهرته أمام الأندلسيين بمظهر القادر الوحيد في الدولة على متابعة سياسة الناصر والحكم المستنصر في ممارسة القوة والشجاعة تجاه النصارى في الشمال، واتاحت أيضاً له إقامة أول أتصال مباشر بينه وبين

(١) الحكم المستنصر: هو الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية الاموي يكني بابو المطرف او ابو العاص، ويلقب بالمستنصر بالله وقيل ان الخليفة الناصر هو الذي لقبه بهذا اللقب منذ صغره ولد في الرابع والعشرين من شهر جمادي الاخرة سنة ٣٠٢هـ/التاسع من كانون الثاني سنة ٩٢٤م. الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٣-١٧؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ص٣٥٨؛ أبو الفداء، المختصر، ١١٧/٢؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٤.

(٢) قلعة رباح: مدينة حسنة ولها حصن حصين على نهر آنه، وكانت محدثة في أيام بني أميَّة، وإنما عمرت قلعة رباح بخراب أوريط وفي سنة إحدى وأربعين ومائتين أمر الإمام محمد بتحصين مدينة قلعة رباح والزيادة في مبانيها، ونقل الناس إليها وإلى مدينة طلبيرة. ينظر، البغدادي، مراصد الأطلاع، ٦٠٠/٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٦٩.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٦٥/٢؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الأول، القسم الأول، ص٥٢٧؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ١٩٤؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٤٢٨.

(٤) حصن الحامة: هذا الحصن هو غير حصن الحمة الذي يبعد عن مدينة بجانة ستة أميال، ويقع على رأس جبل ذكر المسافرون أنه لا نظير لهذهِ الحمة في معمور الأرض أتقان بناءً وسخانة ماء والمرضى يذهبون اليها من جميع الجهات، ويقيمون عليها حتى يشفوا من امراضهم. الحميري، الروض المعطار، ص٨٠.

العسكريين وخاصة الجنود الذين أسرهم، كما رأى الجند فيه قائدهم المنتصر عسكرياً، ورأى فيه الشعب حامي البلاد والمدافع عنها إضافة إلى الصفات السياسية والإدارية التي تميز بها [1].

أستغلَّ محمد بن أبي عامر نجاحه هذا إلى أقصى الحدود وبسرعة مدهشة وكان مصمماً على تحقيق هدفه السياسي المتمثل في القضاء على الحاجب جعفر المصحفي، الذي يُعد الحاجز الأهم والأقوى بالنسبة لهُ قبل تحقيق سيطرته الكاملة على السلطة كان محمد بن أبي عامر يدرك جيداً قوة وتأثير الحاجب وجذورهِ العميقة في مفاصل الدولة ومؤسساتها وبناءً على هذا الاعتقاد، قررَ تكوين تحالف مع قوة عسكرية ضخمة ؛ لتعزيز قوته وتوازنها مع خصمه كما فعل حين لجأ إلى المصحفي للمساعدة في القضاء على الصقالبة ؛ لذلك تقرب من قائد الشرطة غالب بن عبد الرحمن الناصري[2]، والي مدينة سالم[3]، والثغر الأدنى وشيخ الموالي في قرطبة الذي يُعد فارساً بارزاً في الأندلس خلال عصره، وأحد القادة الشجعان البارزين في الأندلس إذ كان غالب يتصدى للهجمات الأسبانية عند الحدود الشمالية للدولة الإسلامية.

أستغل محمد بن ابي عامر، العداء وسوء العلاقة بين غالب والمصحفي، وزاد في حدتهما ما كان الحاجب يتهم به سيد مدينة سالم من تقصير وتهاون في مدافعة النصارى بعد وفاة الخليفة الحكم المستنصر، وأخذ يهتم بشؤون غالب ويرعى مصالحهِ داخل قصر الخلافة، ونجح محمد بن أبي عامر في رد التهم عن القائد غالب الناصري وأنتزاع لهُ بدون علم الحاجب لقب ذي الوزارتين الذي منحه إياه الخليفة[4].

---

(١) ابن بسام، الذخيرة، القسم الرابع، المجلد الأول، ص٤٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٦٤/٢؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص٣٢٧-٣٢٨؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ١٩٤؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الأول، القسم الاول، ص٥٢٧؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٤٢٩.

(٢) غالب ابن عبد الرحمن الناصري: مولى الخليفة عبد الرحمن الناصر نصبه أميراً للبحر ثم أصبح من اكبر الرجال في الدولة في زمن المستنصر ومقره مدينة سالم كانت له علاقات قوية مع الحاجب محمد بن أبي عامر بعد وفاة الحكم المستنصر سنة ٣٦٦هـ لكن ما لبث ان دب الخلاف بينهما وانتهى بمقتله سنة ٣٧١هـ. ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٧٨/٢-٢٧٩.

(٣) مدينة سالم: وهي مدينة بالأندلس تتصل بأعمال باروشة وقد كانت من أعظم المدن وأشرفها ومن أكثرها شجرا وماء، وكان طارق لما افتتح الأندلس ألفاها خرابا فعمّرت في الإسلام، وهي الآن بيد الأفرنج. الحموي، معجم البلدان، ١٧٢/٣.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٦٥/٢؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٤٢٩-٤٣٠.

بعد فترة قصيرة تأهب محمد بن أبي عامر لخوض غمار غزوة كبرى إذ لم يكتفِ بهذهِ الغزوة بل قاد غزوته الثانية في نفس السنة وتحديداً في عيد الفطر سنة ٣٦٦هـ/ مايو سنة ٩٧٧م، وأعاد هجومهِ بالإشتراك مع قوات غالب الناصري قائد الجبهة الشمالية، فخرجا من مجريط[١]، على طريق وادي الحجارة وتوغلا بقواتهما في أراضي مملكة قشتالة، وسيطرا على حصن مولة [٢]، وأصابا كثيراً من الغنائم والسبي، وهنالك توثق التحالف بين الرجلين وظهرت رغبتهم في التّخلص من الخصم المشترك ثم عادت القوات إلى قرطبة محملين بالغنائم والسبي وبعودة محمد بن أبي عامر إلى قرطبة محرزاً انتصاراً كبيراً على النصارى الأسبان للمرة الثانية زادت مكانته عند أهل القصر، وذاع صيته وأرتفعت هيبته ومكانته وقد استمال محمد بن أبي عامر بهذا الفتح قلوب الشعب قاطبةً فازدادوا حولهِ حباً والتفافاً و استطاع كسب القائد غالب الناصري إلى جانبه [٣].

كما أسندَ اليهِ الخليفة هشام المؤيد حكم العاصمة وقد جاء هذا التعيين ضربة موجعة لنفوذ الحاجب المصحفي اذ أنَّ هذا التعيين يعني مزيداً من نفوذ محمد بن أبي عامر مستغلاً هذهِ الفرصة وبذكاء مدهش وكان الوضع الامني في البلاد يشهد حالة سياسية غير مستقرة إذ كان الناس في بلاء عظيم وقيل بشأنَّ الحادثة: ((يتحارسون الليل كله ويكابدون من روعات طراقه ما لا يكابد أهل الثغور من العدو))[٤].

أزدادت شهرة محمد بن أبي عامر وأنتشرت بين أوساط المجتمع الأندلسي لاسيَّما حينما جهز القوات للجهاد في غزوته الثالثة في سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م، ضد مملكة ليون وبالاشتراك مع صهره القائد غالب الناصري فاقتحمت قواتهما المشتركة بعض الحصون في أحواز المدينة، وقصدوا مدينة شلمنقة

(١) مجريط: مدينة بالأندلس شريفة بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن، ومن مجريط إلى قنطرة ياقوه، وهي آخر حيز الإسلام، وهي تقع بوادى الحجارة من الغرب، ينسب إليها هارون بن موسى بن صالح بن جندل القيسي الأديب القرطبي أصله من مجريط يكنى أبا نصر. ينظر، الحموي، معجم البلدان، ٥٨/٥؛ البغدادي، مراصد الاطلاع، ١٢٣١/٣، ١٢٣٤؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥٢٣.

(٢) حصن مولة: لم أعثر على ترجمة له في كتب البلدان.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٦٥/٢-٢٦٦؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٦٠؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص٣٢٩؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ١٩٤؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الأول، القسم الاول، ص٥٢٨.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٦٦/٢؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٤٣١.

الواقعة جنوب مملكة ليون فاقتحموها وأحتلت معظم المناطق المحيطة بها وحصلوا على كم هائل من الغنائم والسبي ثم عادت القوات إلى قرطبة ومعهم عدد كبير من رؤوس النصارى الأسبان فبادر الخليفة هشام المؤيد (٣٦٦ – ٣٩٩هـ/ ٩٧٧ – ١٠٠٩م) [١]، بتكريم محمد بن أبي عامر فارتفعت منزلته عنده فرفع راتبه إلى ثمانين دينار في الشهر ومنحهُ لقب ذي الوزارتين[٢]، ورفع مرتبته إلى مرتبة صاحب الحجابة فحصل محمد بن أبي عامر على مكانة مرموقة مساوية لمكانة جعفر المصحفي الذي كان يتمتع بنفوذ واسع لكنهُ تلاشى مع مرور الوقت أذ تم عزله بعد ذلك، وتم القبض عليه وعلى ولده محمد وابن أخيه هشام وبعض أقربائه وصرفوا جميعاً عما كان بأيديهم من الأعمال، واستصفيت أموالهم وأُلقِيَ جعفر في سجن المطبق حتى وفاته سنة ٣٧٢ هـ/٩٨٣ م[٣].

## ثانياً: غزوة محمد بن أبي عامر على مدينة برشلونة سنة ٣٧٥هـ/٩٨٥م.

قامت جيوش محمد بن أبي عامر بفرض حصار على أسوار مدينة برشلونة ودخلها عنوة وذلك في صفر سنة ٣٧٥هـ/تموز سنة ٩٨٥م [٤]، وفي الوقت نفسه قام أسطول أندلسي بمحاصرة مرفاها من جهة البحر، وكان بوريل الثاني حاكم مدينة برشلونة عاجزاً تماماً عن مواجهة هذا الحشد العسكري الكبير، ولم يتجرأ بالدفاع عنها بل غادرها وتركها لمصيرها المحتوم، بالمقابل من ذلك تمكنت الجيوش الأندلسية من أقتحام المدينة وأجتياحها وبعد أيام قليلة أنزلت بها أنزالاً فدمرتها وهدمت مبانيها وأستاقوا أهلها قتلاً وسبياً [٥].

(١) هشام المؤيد: هشام بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر، أبو الوليد، المؤيد الأموي، وهو من خلفاء الدولة الأموية بالأندلس، ولد بقرطبة، وبويع يوم وفاة أبيه سنة ٣٦٦ هـ، وهو صاحب الأندلس وأمه تسمى صبح بايعوه صبياً يبلغ من العمر عشرة أعوام وأشهر، بعد وفاة أبيه المستنصر فلم يزل متغلباً عليه، لا يظهر، ولا ينفذ له أمر، وتغلب عليه أبو عامر محمد بن أبي عامر الملقب بالمنصور فكان يتولى جميع الأمور إلى أن مات، فصار مكانه ابنه عبد الملك بن محمد الملقب بالمظفر، فجرى على ذلك أيضاً إلى أن مات، وتوفي هشام وكان في طول مدته متغلباً عليه لا ينفذ له أمر وتغلب عليه في هذا الحصار غير واحد من العبيد ولم يولد له قط. الضبي، بغية الملتمس، ص٢١، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥٤٩/١٢؛ الزركلي، الأعلام، ٨٥/٨.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٦٧/٢؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص٣٣٠؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الأول، القسم الاول، ص٥٢٩؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٤٣١.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٦٧/٢-٢٦٨؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الأول، القسم الاول، ص٥٣٠؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب،ص ١٩٥؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٤٣١.

(٤) ابن الخطيب، الأحاطة، ١٠٦/٢؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٤٥٢.

(٥) نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٤٥٢.

بعد مضي عدة أشهر عادت الجيوش الإسلامية إلى الأندلس تاركة مدينة برشلونة خلفها، وفي هذا السياق، فأنه من الطبيعي أنَّ يُثار تساؤل حول الحكمة والفائدة المترتبة عن حملات الصوائف والشواتي إذ دخل المنصور إلى برشلونة وأقام فيها بعد أن أخضعها لسلطته وإذا كان المنصور يرغب في ضم برشلونة إلى دولته، فلن يجد من يعارضه على أرضها وأصبح النصارى في الشمال إما إتباعاً للمنصور أو مشغولين بالاستعداد للتصدي لأي عدوان قد يحدث من الأندلسيين ويهدد أراضيهم وبالتالي، فأنهم يكرسون أهتمامهم بشكل أساسي لهذهِ الأمور، ويُعدونها الأولوية القصوى بالنسبة لهم ؛ وذلك على حساب أمور أخرى وكان الكارولانجيون يعدون السنوات الأخيرة المتبقية من حكمهم في بلاد الفرنجة، وإذا افترضنا أن الهدف الرئيسي من تلك الحملات كان إنهاك قوى الأسبان، فأنه في المقابل أثرت تلك الحملات على قوى الأندلسيين بشكل سلبي، إذ أدَّتْ إلى استنزاف طاقاتهم العسكرية والاقتصادية على المدى البعيد، ويُعتقد أنَّ حكام الأندلس بشكل عام والمنصور بشكل خاص وعلى الرغم بما كانوا يتمتعون به من ذكاء وحنكة وبراعة في القتال والسياسة إلا أنهم باتوا أسرى سياسة الصوائف والشواتي كما وضعها أوائل حكام الأندلس بأسم الجهاد كهدف لذاته، ولم يتمكنوا من تطوير مفهومها وفشلوا في جعلها ذات تأثير إيجابي بل لم يستطع أحد ممن حكموا في شبه الجزيرة الأيبيرية أنْ يطور مفهوم الجهاد ويجعله مفيد ولو أستطاعوا فعل ذلك لربما قد حصل تغيير في شكل مصير دولة الإسلام في الأندلس(١).

## ثالثاً: غزوة محمد بن أبي عامر على قنالش والدير سنة ٣٩٢هـ/١٠٠٢م.

قاد محمد بن أبي عامر غزوته الأخيرة المعروفة بغزوة قنالش والدير في سنة ٣٩٢هـ/١٠٠٢م، وهي تعود إلى فترة التوسع الإسلامي في الأندلس في هذهِ الغزوة تقدم محمد بن أبي عامر إلى قنالش، وهي منطقة تقع بالقرب من حصن مدينة ناجِرَةُ (٢)، في أرض قشتالة كما يعتقد أن الدير المذكور هو دير القديس أمليان في هذهِ الغزوة، وقد حققَ محمد بن أبي عامر النصر على الأعداء

(١) نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٤٥٢.

(٢) ناجِرَةُ: مدينة في شرقي الأندلس من أعمال تطيلة وهي مدينة عامرة تبعد عن مدينة برغش مسافة يوم واحد، هي الآن بيد الأفرنج. ينظر، الادريسي، نزهة المشتاق، ٧٣٢/٢؛ الحموي، معجم البلدان، ٢٥٠/٥؛ البغدادي، مراصد الاطلاع، ١٣٤٨/٣.

وسبى نساءهم وأطفالهم وعلى العادة قام بتدمير الممتلكات والقتل، وهذا ما كان يمارسه في حملاته العسكرية ومع ذلك، تعرض محمد بن أبي عامر للمرض والإعياء بعد هذهِ الغزوة، وعاد إلى مدينة سالم مسرعاً وهو محمول على أكتاف الرجال وكانت حالته الصحية سيئة جداً، وتفاقمت عليه العلة في مدينة سالم، حتى توفي هناك في رمضان سنة ٣٩٢ هـ/ آب سنة ١٠٠٢م[١]، عن عمر ناهز أربع وستين عاماً، وتم دفنه في مثواه الأخير في قصره بمدينة سالم مجللاً باكفان من صنع بناته من خالص ماله الموروث ومعه صرة التراب التي كانت ترافقه دوماً في أسفاره ونقش على قبرة [٢].

**آثاره تنبيك عن أخباره ... حتى كأنك بالعيان تراه**

**تالله لا ياتي الزمان بمثله ... أبداً ولا يحمي الثغور سواه**

## رابعاً: حملات عبد الملك المظفر[٣] إلى الممالك الأسبانية سنة ٣٩٤-٣٩٨هـ/١٠٠٤-١٠٠٧م.

بعد وفاة محمد بن أبي عامر سنة ٣٩٢هـ/١٠٠٢م، انتقل السلطان إلى ابنه عبد الملك المظفر (٣٩٢-٣٩٩هـ/١٠٠٨-١٠٠١م)، المعروف أيضاً بأسم "سيف الدولة" اذ تقلد منصب الحجابة بالأمر الواقع من أبيه وبأقراره على ذلك من الخليفة هشام المؤيد، وأنطلق عبد الملك في ممارسة سلطانه من مواقع ثابتة وقوية في مواجهة خصومه وواصل سياسة أبيهِ المتمثلة بالصوائف والشواتي وفي الغزو والإغارة على الممالك النصرانية [٤]، رغم ذلك تزايدت طموحات تلك الممالك في الاستيلاء على الأراضي الإسلامية بعد وفاة أبيه، مما دفع عبد الملك للمضي قدماً في حماية المصالح الإسلامية ومواجهة تلك الطموحات إذ تجسدت سياسة عبد الملك في الدفاع عن الأراضي الإسلامية وتعزيز

(١) ابن بسام، الذخيرة، القسم الرابع، المجلد الاول، ص٧٥؛ الضبي، بغية الملتمس، ص١١٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣٠١/٢؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص١١٦؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٤٥٥.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣٠١/٢؛ المقري، نفح الطيب، ٩٨/١.

(٣) عبد الملك المظفر: أبو مروان عبد الملك بن محمد بن ابي عامر المعافري الملقب بالمظفر بالله، تولى الحجابة بعد وفاة أبيه سنة ٣٩٢هـ/١٠٠١م ولما تمت له الولاية وصلت كتبه إلى أقطار الأندلس والعدوة يخبرهم بوفاة أبيه وتوليتهِ تدبير الاندلس من بعده فاستوثق له الأمر واستطاع ان يحصل على حب الناس وطاعتهم. ينظر، ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/٣؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٨٤.

(٤) ابن الأبار، الحلة السيراء، ٧١/١؛ المقري، نفح الطيب، ٤٢٣/١؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص٣٣٩؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٤٧٠.

الاستقرار الإقليمي، الأمر الذي عكس التزامه بالحفاظ على سيادة الدولة ومصالحها في وجه التحديات الخارجية [1].

في ذات السياق توجه عبد الملك بغزوة إلى أراضي قشتالة وذلك في صيف سنة ٣٩٤هـ/١٠٠٤م، وخلال هذهِ الغزوة قام عبد الملك بالتحرك في الأراضي المستهدفة دون أنَّ يتعرض لأي مواجهة مباشرة مع أمير قشتالة شانجة غرسية الذي كان مشغولًا بخلافاته الحاصلة مع مملكة ليون ؛ ولذلك لم يظهر اهتمام كبير بالتصدي لعبد الملك في تلك المدة، وعادَ عبد الملك إلى قرطبة ومعه الكثير من الغنائم والسبايا، كان لديه هدفاً حاسماً وهو تقديم دليل قاطع لأهل المدينة يثبت أنهُ سيد شبه الجزيرة الأيبيرية في كل جوانبها، وبلا منازع بالإضافة إلى ذلك أراد أنَّ يظهر لهم بأنه أقوى فرسانها وأبرع مقاتليها، ولهدف من وارء هذا هو إقناع أهل قرطبة بالقدرات العسكرية والسياسية لعبد الملك، وتعزيز سلطته ومكانته كحاكم قوي وأنه يمتلك مهارة في القتال وما لبث أَنْ حضر شانجة شخصياً إلى قرطبة، معبراً عن رغبته في التوصل إلى سلام مُعلناً أستعدادهِ للخضوع متعهداً بالتزامه بالمشاركة في المعارك كلما طُلب منه ذلك بجانب سيد قرطبة [2]، وبهذا نجح عبد الملك في إثبات مكانته الكبيرة بين ملوك الأعاجم في دولته، مستلهماً منزلة والدهِ المنصور و تجاوب شانجة بالانصياع لعبد الملك، واحترامهُ وإبداء الإجلال لهُ، والامتثال لأوامره، متجنباً سخطه وسعياً لاستحقاق رضاه[3].

في صيف سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٥م، قاد عبد الملك المظفر جيوشه من مدينة قرطبة في الأندلس نحو مناطق الحدود المشتركة مع مملكة جليقية ومنذ البداية، أبدى عبد الملك المظفر شكاً تجاه نوايا حكام جليقية، وبخاصةً الوصي على العرش في تلك المناطق ويرجع هذا الشك إلى عدم وضوح العلاقات بين الأندلس ومملكة جليقية حتى ذلك الحين، خاصةً فيما يتعلق بالموقف المتخذ تجاه الأندلسيين، وقد شرعَ عبد الملك المظفر أولاً في توجيه خطواته نحو مدينة طليطلة، ورافقهُ في هذهِ الرحلة الملك شانجة

(١) سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص٣٣٩؛ عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس واسبانيا، ص٢٣٩؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص ٤٧٠.

(٢) ابن بسام، الذخيرة، القسم الرابع، المجلد الأول، ص ٨٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/١٠؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص ٤٨٠.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/١٠؛ عنان، دولة الاسلام، العصر الأول، القسم الأول، ص٦١١؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص ٤٨٠.

غرسية أمير قشتالة بناءً على الاتفاق الموقَّع بين الطرفين ومن هناك، وجه عبد الملك المظفر القائد العسكري واضح الصقلبي[١]، لتخريب مدينة سَمُّورَةُ[٢]، التي سبق وأنْ تعرضت لعمليات تدمير من قِبل المنصور ولم يبقَ فيها إلاَّ القليلَ من النصارى الذين سكنوا في بعض أبراجها فتمكن جيش واضح الصقلبي من قتل الرجال وسبي النساء وحرق كل ما يحيط بها، أَمَّا عبد الملك ومرافقوه، فتمكنوا من عبور الحدود إلى أراضي جليقية ووصولهم إلى أقصى أرجاء تلك الأراضي، حيث قاد الكونت شانجة عبد الملك إلى مناطق ضعف قومه، وأشار إليه بمهاجمة حصن ليونه[٣]، او بلدة لونه [٤]، وفعلاً تمت المهاجمة إلاَّ أنَّ عبد الملك المظفر لم يستطع الإستيلاء عليه او تحقيق أي نصر يُذكر[٥].

لم يكتفِ عبد الملك المظفر بكل انتصارته السابقة بل قاد في صيف سنة ٣٩٦هـ/١٠٠٦م، غزوته نحو شمال أسبانيا ؛ بهدف التوغل في أرض الشمال والسيطرة على العاصمة بنبلونة متوجهاً نحو عاصمة الثغر الأعلى[٦]، التي تدعى سرقسطة، وانظم إليه عدد من القادة المسلمين وجنودهم، ثم

(١) واضح الصقلبي: هو شخصية من الصقالبة وكان من الموالين للمنصور بن أبي عامر، صاحب مدينة سالم يُعتبر من الفتيان البارزين والذين لهم دور في الفتنة القرطبية في الأندلس في سنة ٣٩٩ هـ قام بالتحالف مع محمد المهدي بعد عزل هشام المؤيد من الحكم شارك في الحرب ضد سليمان المستعين ولكنه فيما بعد قتل محمد المهدي وقام واضح الصقلبي بتجديد البيعة لهشام المؤيد وأصحابه وتولى مهام الحجابة ومع ذلك تم قتله لاحقاً على يد مجموعة من الفتيان الذين تآمروا عليه عندما علموا بنية هروبه. ينظر، ابن الأبار، الحلة السيراء، ٧/٢.

(٢) سَمُّورَةُ: مدينة الجلالقة وبها مستقر ملكهم، وقيل سمرة، هي دار مملكة الجلالقة، على ضفة نهر كبير جداً خرار كثير الماء شديد الجرية عميق القعر، وبين سمورة والبحر ستون ميلاً، وسمورة مدينة جليلة وهي قاعدة من قواعد الروم. ينظر، البكري، المسالك والممالك، ص٥٧؛ الحموي، معجم البلدان، ٢٥٥/٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٢٤.

(٣) ليونه: لم أعثر لها على ترجمة في كتب البلدان.

(٤) هناك اختلاف ورد بين المؤرخين حول أسم هذا المكان فمنهم من اطلق عليها مدينة ليونة، ينظر، أبن بسام، الذخيرة، القسم الرابع، المجلد الأول، ص ٨٥، ومنهم من اطلق عليها حصن ليونة، ينظر، سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص٣٤٠، ومنهم من اطلق عليها أسم بلدة لونة، ينظر، عنان، دولة الاسلام، العصر الأول، القسم الأول، ص٦١٢.

(٥) أبن بسام، الذخيرة، القسم الرابع، المجلد الأول، ص ٨٥-٨٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٢/٣-١٣؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص٣٤٠؛ عنان، دولة الاسلام، العصر الأول، القسم الأول، ص٦١١-٦١٢؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص ٤٨٠-٤٨١.

(٦) الثغر الأعلى: وهو من قواعد شرق الاندلس ويقال له الثغر الأقصى وعاصمته سرقسطه ويشمل مرسية وبلنسية ودانية والسهلة. ارسلان، الحلل السندسية، ٢٠٦/١.

توجه إلى مدينة وشقة، ثم إلى حصن بربُشْتَرُ[1]، من هناك، عبر إلى أراضي أعدائه حيث قام بتدمير العديد من الحصون وجاب بلادهم بقواته العسكرية خلال هذهِ الحملة، ثم قتلَ وسبيَّ الأعداء وحرق ودمر ممتلكاتهم ثم قفل راجعاً إلى قرطبة [2].

يبدو أن عبد الملك لم يحقق المكاسب المتوقعة في غزوته هذهِ، إذ لم يحقق الهدف المرجو منها ويُشير ذلك إلى أن الناس في العاصمة لم يكونوا راضين تماماً عن نجاحه في هذهِ الحملة، حيث تحدثوا عن عدم تحقيقهِ للنتائج المأمولة والتقصير في جهودهِ، ويمكن أعتِبار ما حدث أنتكاسة مؤقتة لا تترك أثراً ملحوظاً في سجل انتصارات هذا القائد والذي حققَ العديد من الانتصارات الباهرة والمهمة في الماضي فضلاً عن ذلك أَنَّ ظاهرة الضعف التي ظهرت في صفوف الجيش الأندلسي وفي بنيته لم تكن غامضة بالنسبة لوجهاء ومقدمي النصارى، الذين يُعدون جميعاً من العسكريين البارزين والمحاربين الشجعان فشجعتهم بالاضافة إلى اعتبارات أخرى كانت تتفاعل في صفوف أسبان الشمال وبين دولتهم على أنَّ يكونوا تحالف قوي بوجه حكومة قرطبة[3].

كذلك خرج عبد الملك في غزوة من قرطبة في شاتية أوائل شهر صفر سنة ٣٩٨هـ/أكتوبر سنة ١٠٠٧ م، وتمكن من اختراق قشتالة وقصد حصن شنت مرتين[4]، المنيع على الضفة اليمنى من نهر دويرة قرب منطقة الثغر الاوسط[5]، وعلى مقربة من غربي قلونية وفرض المسلمون حصاراً شديداً عليه وفي محاولة فاشلة من النصارى إذ حاولوا ما بوسعهم أنْ يردوا المسلمين في ظاهر الحصن ولكنّ المسلمين صدوهم بقوةٍ، ولم يبقَ امام النصارى إلاّ أنْ يلتجأوا للحصن محاولين الدفاع من وراء الأسوار فهاجمهم المسلمون بعنف وحطموا أسوار الحصن بالمجانيق وصمد النصارى داخل الحصن وقاوموا

(١) بَرْبُشْتَرُ: مدينة عظيمة في شرقي الأندلس من بلاد بربطانية وبعضها في ملك المسلمين وبعضها للعجم اليوم وحصن بربشتر على نهر تارة، وبربشتر من أمّهات مدن الثغر الفائقة في الحصـــــــانة البائنة في الامتناع. ينظر، البكري، المسالك والممالك، ٩٠٩/٢؛ الحموي، معجم البلدان، ٣٧٠/١.

(٢) ابـن عذاري، البيان المغرب، ١٣/٣؛ نعنعي، تـاريخ الـدولـة الأمـوية، ص ٤٨١؛ عنان، دولة الاسلام، العصر الأول، القسم الأول، ص٦١٣.

(٣) نعنعي، تـاريخ الـدولة الأموية، ص ٤٨١.

(٤) حصن شنت مرتين: لم أعثر على ترجمة له في كتب البلدان.

(٥) الثغر الأوسط: لم أعثر على ترجمة له في كتب البلدان.

الحصار ببسالة الا أَنَّ نفاذ الماء والمؤن حال دون أستمرار مقاومتهم الأمر الذي دفعهم إلى الاستسلام بعد تسعة أيام من فرض الحصار ولم يتسامح عبد الملك معهم، بل قام بممارسة العنف والإرهاب ضدهم وعمد قومه إلى قتل رجالهم وسبي نسائهم وأطفالهم، وأمر عبد الملك بأصلاح ما تهدم من الحصن، وبعد النصر سارع إلى كتابة رسالة للخليفة لاعلامه بالانتصار، وفي هذهِ المرة أيضاً ظهرت عوامل الضعف والإنقسام في بنية الجيش الأندلسي، ولكنْ بشكل أكثر تعقيداً وتأثيراً فكان الانتصار ظاهري لم يكن حاسماً ولا قاطعاً ثم عاد إلى قرطبة سالماً ظافراً فوصلها في أواخر شهر ربيع الآخر[1].

## خامساً: الفتنة القرطبية سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٩م.

عندما قام عبد الرحمن شنجول[2]، بأخذ ولاية العهد لنفسه من الخليفة هشام المؤيد، تم نقل الخلافة بشكل رسمي وفعلي إلى العامريين وبذلك تم سحب الأمويين من الأسم الذي أبقاه لهم المنصور، وبعد وصول عبد الرحمن إلى سدة الحكم، تفتحت بوابة الفتنة وبدأت حركات متعددة للتخلص منه ومن طموحاته اللا محدودة فتشابكت الأيدي من جهات مختلفة للعمل على إزاحة العامريين الذين قربوا العناصر المغربية[3].

في جمادي الأولى سنة ٣٩٩هـ/كانون الثاني سنة ١٠٠٩م، خرج عبد الرحمن شنجول إلى الثغور الشمالية غازياً ، ووصلت الأخبار إلى محمد بن هشام بن عبد الجبار (٣٦٦ – ٤٠٠هـ/٩٧٧ – ١٠١٠م)[4]،

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢١/٣؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص ٤٨٢؛ عنان، دولة الاسلام، ٦١٥/١.

(٢) عبد الرحمن شنجول: عبد الرحمن بن محمد بن ابي عامر (المنصور)، لقب بالناصر لدين الله، وشنجول، والمأمون، وشغل منصب الحاجب لهشام المؤيد، ثم تبنى سياسة الاستئثار بما تبقى من رسوم الخلافة فطلب من هشام المؤيد لتسلم عهده فوافق ودعا لذلك أرباب الشورى وأهل الحل والعقد فكان يوماً مهماً فكتب عهده من إنشاء أبي حفص بن برد.المقري، نفح الطيب، ٤٢٤/١.

(٣) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٩١؛ ابن خلدون، العبر، ٣٢٠/٧؛ السنيدي، الفتنة القرطبية، ص١٢٠.

(٤) محمد بن هشام بن عبد الجبار: وهو مُحَمَّد بْن هشام بْن عبد الجبار ابن النّاصر لدين اللَّه أَبِي المطَرِّف عَبْد الرَّحْمَن بْن مُحَمَّد الأموي الملقب بالمهدي، توثب عَلَى الأمر بالأندلس، وخلع هشام المؤيد، وملك قرطبة فحبس هشام في القصر، ثم أظهر أنه مات، ويعد المهدي أول من فتح على بني أُمَيَّة بالمغرب بَاب الْفتنَة، وتوفي المهدي سنة اربعمائة هجرية وذلك عندما دخل عليه جماعة من الغلمان فأسروه وأخرجوا هشام فأجلسوه مجلس الخلافة وبايعوه وأحضروا ابن عبد الجبار بين يديه، فأمر به فقتل وطيف برأسه في قرطبة، وكانت مدة ولايته منذ قام إلى أن قتل سبعة عشر شهرا. ينظر، الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٨؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٢٢؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ٨٢١/٨؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٠٨/٥؛ الزركلي / الاعلام، ١٣١/٧-١٣٢.

بأنَّ شنجول قد غادر العاصمة قرطبة بهدف مواجهة نصارى الشمال فاستغل محمد هذهِ الفرصة وشنّ هجوماً على قرطبة وأستولى عليها وبادر بنفسه وقام بمهاجمة باب السلطان في قصره الخلافي في قرطبة [1]، وبسرعة مدهشة تمكن محمد بن هشام ومن معه من إعتقال حاكم قرطبة وقتلوه وقطعوا رأسه وفي ذات الوقت أرسل محمد مجموعة من اتباعه لاقتحام سجن العاصمة واخراج ما بهِ من اللصوص وأصحاب الموبقات لنصرته كذلك للمشاركة في نهب ثروات قصر الخليفة هشام المؤيد، ولم يكتفِ المهدي بذلك بل أصطحب جموع غفيرة من رعاع قرطبة بعد أنَّ سلحهم بالاسلحة وشنوا هجوماً على قصر الزاهرة [2]، وأستولوا عليها ؛ وذلك بعد مناوشات مع أهل القصر وبوحشية ودمار مطبق هجمت الغوغاء على قصر العامريين، واقتحمت أبوابه وهدمت أسواره ونُهبَ كل ما في القصر من خزائن: كالكسوة، الذخائر، الحُلي، السلاح والعدة، وقيل بشأن ذلك: ((وأمر بنهب دور بني عامر، وانتهب جميع ما في الزَّهْراء من الْأموال والسلاح، حتى قلعت الْأبواب، فيقال: إنَّ الذي وصل إلى خزانة ابن عبد الجبار خمسة آلاف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار، ومن الفضة ألف ألف دِرْهَم، ثم وجد بعد ذَلِكَ خوابي فيها ألف ألف ومائة ألف دينار، ))[3]، لم يكتفِ المهدي بما حصل عليه من منهوبات القصر العامري بل سَبى الجواري والإماء وأخذهنَّ لنفسه ولاصحابه بعد ذلك أمر بهدم مدينة الزاهرة بأكملها مخافة أنَّ يعود عبد الرحمن شنجول من غزوته ويتخذها مقراً لهُ من جديد [4].

عندما علم عبد الرحمن شنجول بسقوط قرطبة في أيدي الثوار، قررَ العودة إلى المدينة لمواجهتهم وإستعادة مكانته فيها وأثناء عودته، تسللَ عنهُ الجند ووجوه البربر ولحقوا بقرطبة و أدوا البيعة لمحمد بن هشام المهدي، بعد ذلك أدركَ عبد الرحمن شنجول أنَّ مقاومته لا تجدي نفعاً أمام

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/ ٥٥؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٤٩١.

(٢) الزاهرة: مدينة متصلة بقرطبة من البلاد الأندلسية بناها المنصور بن أبي عامر لما استولى على دولة خليفته هشام وأقامها بطرف البلد على نهر قرطبة الأعظم، وشرع في بنائها سنة ثمان وستين وثلثمائة وأبرزها بالذهب وجلب نحوها الآلات الجليلة وبالغ في رفع أسوارها وثابر على تسوية أنجادها وفي سنة سبعين وثلاثمائة انتقل المنصور إليها ونزلها بخاصته وعامته فتبوأها وشحنها بجميع أسلحته وأمواله وأمتعته واتخذ فيها الدواوين للعمال وكان الفراغ منها سنة سبعين وثلثمائة وفي هذهِ السنة نزل فيها بخاصته وعامته وخلع الخليفة إلا من الاسم الخلافي ورتب فيها جلوس وزرائه ورؤوس أمرائه. الحميري، الروض المعطار، ص٢٨٣-٢٨٤.

(٣) الذهبي، تاريخ الاسلام، ٨٢١/٨.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/ص٥٨،٦٣،٦٥؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ٤٩١-٤٩٣.

المهدي وأهل قرطبة الذين أجمعوا للوقوف ضده فحاول الهروب ولكن أُلقيَ القبض عليهِ من قِبل أنصار المهدي وتم قتلهِ وصلبهِ على باب قرطبة [١]، وكان ذلك في رجب ٣٩٩هـ/اذار ١٠٠٩م، وبمقتل عبد الرحمن شنجول أستُتدلَ الستار عن الدولة العامرية التي حكمت الأندلس ما يُنيف عن ثلاثين سنة التي تعد من أبهى وأجمل حقب دولة الإسلام في الأندلس، وأحفلها بالانتصارات والمفاخر، كذلك أغناها بالموبقات والجرائم أما بالنسبة للخليفة هشام المؤيد فقد تخلى عن الخلافة لصالح محمد بن هشام عندما شاهد قوته المتزايدة واستيلائه على قرطبة [٢].

قبل أنَّ يحصل محمد بن هشام على الاعتراف بهِ كخليفة من قِبل الأندلسيين، أعلن عن وفاة الخليفة هشام المؤيد وتداولت الروايات التاريخية أنَّ المهدي جاء برجل كان نصرانياً أو يهودياً يشبه هشام المؤيد وترددت أيضاً أقاويل تفيد بأنَّ المهدي نفسه قد قام بخنق هذا الرجل [٣]، وقدمهُ للوزراء والشخصيات البارزة على أنَّهُ الخليفة هشام وقام بدفنهِ بمأتم رسمي وذلك في شعبان ٣٩٩هـ/نيسان ١٠٠٩م [٤]، ومن الجدير بالذكر أنَّ صاحب كتاب ذكر بلاد الأندلس[٥]، ذكر أنَّ المهدي قد أحتجز المؤيد في مطبق المحابس، وتفسر هذهِ الخطوة على أنّها تهدف إلى إقناع الناس بأنَّ الشخص الذي يستحق الخلافة هو المهدي نفسه، وبذلك يتم قبول الواقع واعتماده وفعلاً تمت البيعة لهُ في قاعة من قاعات القصر تحت أسم "المهدي" ومنذ ذلك اليوم صار محمد بن هشام الخليفة الرابع للاندلس وأستدل الستار عن هشام المؤيد بعد أنَّ أستمرت خلافته اكثر من ثلاثة وثلاثين سنة [٦].

---

(١) باب قرطبة: وهو عقد كبير مزدوج، عمقه تقريبا ثمانية أمتار، وعرضه تقريبا سبعة امتار، وارتفاعه نحو عشرة امتار، ويقع شرقي قرطبة، وعليه قصبة وأبراج، وهو وعر ممتنع، وقد بنيت فوق اعلى الباب مقصورة نصرانية، وسمي باب قرطبة لانه يتجه نحو الشمال الشرقي الى طريق قرطبة، ويرجع هذا الباب في القديم الى اصل روماني ثم جدد في ايام المسلمين واتخذ طابعه الاندلسي. ينظر، الحميري، الروض المعطار، ص٤٦١؛ عنان، الآثار الأندلسية، ص٧٣-٧٤.

(٢) المراكشي، المعجب، ص ٦٣-٦٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/ ص٥٢-٦٣؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٠٩-١١٣؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ٤٩٤-٤٩٥؛ مرزيان، الفتنة البربرية، ص ٧٧٨؛ السنيدي، الفتنة القرطبية، ص ١٢١-١٢٢.

(٣) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ١/٢٠٠.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب ٣/٧٧؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١١٢؛ الخلف، نظم حكم الأمويين، ص٨٧؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٥٠٥.

(٥) مؤلف مجهول، ١/٢٠٠.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب ٣/٧٧؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١١٢؛ الخلف، نظم حكم الأمويين، ص٨٧؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ٤٩٢.

في ظل تلك المؤثرات فقد تغيّبَ الاهتمام بالمهدي وتراجعت شعبيته بين الموالين والخواص، كما تعرضَ لأضطرابات من أتباع بني أمية وقد أضافَ المهدي إلى سجله السابق مزيداً من الأخطاء، حيث تجاهل وجود قوة مؤثرة في المجتمع الأندلسي، وهم فئة البربر الذي قدمهم محمد بن أبي عامر لدعم حكمهِ فقام المهدي بتجاهل هذهِ الفئة وأهانَّ زعيمهم زاوي بن زيري بن مناد[1]، مما أدى إلى استهزاء بعض الأشخاص الجاهلين في قرطبة بالبربر ونهب منازلهم، وفي رجب سنة ٣٩٩هـ/مارس سنة ١٠٠٩، قام المهدي بنفي جماعة من الصقالبة العامريين عن مدينة قرطبة وطرد صقالبة القصر[2]، إضافةً إلى ذلك قام المهدي بتفريق الصقالبة العامريين وتشتيتهم، وتسبب في إلحاق الضرر بالعوام الذي سبق وأن استظهرَ بهم وبعد التأكد من الأمر، قام بأقصاء سبعة آلاف رجل كان قد تم تجنيدهم في جيشه[3].

من الضروري أنْ يتم إبراز الوقائع الحقيقية والتصرفات المشينة للمهدي ؛ لكي يتسنى للناس تقييم أفعاله السابقة بشكل صحيح، فقد أظهرَ المهدي سلوكاً فاسداً وأنحرافاً عن المبادئ الدينية والأخلاقية، تلك الأفعال المشينة التي قام بها المهدي جعلت القوى المعارضة تتحد ضده ويُعتقد أنَّ أول فئة وقفت ضده من بين تلك القوى، هي تلك الفئة التي تم استبعادها من جيشه، إضافةً إلى العبيد من العامريين، وقد تصدى لقيادتها بعض المراونيين الأمر الذي دفعهُ إلى اعتقال مجموعة منهم من بينهم سليمان الذي اختارهُ ولي لعهده، وقد تم تعيين هشام بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر، الملقب بالرشيد[4]، لقيادة الثورة ضد المهدي وعلى الرغم من محاولة المهدي إقناع الرشيد بالتراجع عن تمرده من خلال إطلاق سراح ابنه سليمان[5]، إلاّ أنَّ الرشيد وأنصاره تقدموا وهاجموا

(١) زاوي بن زيري بن مناد: وهو زاوي بن زيري بن مناد الصّنهاجي، الحاجب المنصور، يكنى أبا مثنّى. ابن الخطيب، الإحاطة، ٢٩٣/١.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ٧٧/٣؛ الخلف، نظم حكم الأمويين، ص٨٧، ذهب هؤلاء الصقالبة واستولوا على الأطراف الشرقية للأندلس، وكونوا بها ممالك خاصة بهم في كل من المرية ومرسية ودانية والجزائر وبلنسية. ينظر، عنان، دولة الإسلام، العصر الثاني، دول الطوائف، ص١٥٦-١٦٢، ١٧١-١٧٦؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٥٠٥.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ٧٧/٣؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص١١٢؛ الخلف، نظم حكم الأمويين، ص٨٧.

(٤) هشام بن سليمان: هو هشام بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر الأموي، وهو من أمراء بني أمية في الأندلس، الملقب بالرشيد. الزركلي، الاعلام، ٨٦/٨.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/ص٥١، ٧٩؛ النويري، نهاية الأرب، ٤١٩/٢٣؛ الخلف، نظم حكم الأمويين، ص٩٠.

سوق السرادق أو سوق السراجين[1]، في قرطبة وأحرقوه ومع ذلك خذلهُ الأنصار عندما شاهدوا تجمع الجماهير مع المهدي وتم أسر الرشيد وقتلهِ على يد المهدي في شوال سنة ٣٩٩هـ/يونيو ١٠٠٩م[2].

قررَ المهدي مكافاة العامة على ولائهم له عن طريق السماح لهم بنهب دور البربر ونادى مناديه ((أن من أتى برأس بربري فله كذا وكذا)) وبناءً على ذلك سارع أهل قرطبة لقتل كُل من تعرضوا له، حتى لم يتبقَ تاجراً أو جندياً دون أنَّ يشارك في هذهِ الجريمة، لم يستثنى علماء وقضاء البربر من هذا الاضطهاد، وذلك بسبب أفراط وتدهور العامة وحقدهم ضد البربر إذ سُبيت البنات وبُعنَّ في دار البنات وقتلت النساء الحوامل، ولعلَّ ذلك يعود لتحمس العامة للحصول على المكافاة لدرجة أنهم قتلوا سبعة عشر رجلاً من أهل تلمسان[3]، في ساعة واحدة، وكانوا قد جاءوا للجهاد وأيضاً قتلوا آخرين من أهل خراسان والشام بزعم أنهم بربر، وبناءً على ذلك بايع البربر سليمان بن الحكم بن سلميان وسُمِّيَ بـ المستعين بالله (٣٥٤ – ٤٠٧ هـ/ ٩٦٥– ١٠١٦ م)[4]، وذلك في شوال ٣٩٩هـ/يونيو ١٠٠٩م[5].

سمحت المتغيرات السياسية التي طرأت على الساحة السياسية لظهور تكتلات طائفية، رافقها تصاعد حالة العنف والصراع في إطار الحرب الأهلية، وبالمقابل من ذلك لحقت أضرار جسيمة بالمجتمع،

(١) حول هذا الاختلاف ينظر، ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٠/٣؛ النويري، نهاية الأرب، ٤١٩/٢٣؛ الخلف، نظم حكم الأمويين، ص٩٠.

(٢) المراكشي، المعجب، ص٨٨؛ النويري، نهاية الأرب، ٤١٩/٢٣؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ١١٣؛ الخلف، نظم حكم الأمويين، ص٩٠؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٥٠٥.

(٣) تلمسان: وهي قاعدة المغرب الأوسط وتقع في أول الصحراء وهي على الطريق إلى سجلماسة ووارکلان وغيرهما من بلاد الصحراء وهي مدينة عظيمة قديمة وكانت دار مملكة زناتة في هذهِ العصور القريبة وحواليها قبائل كثيرة من زناتة وغيرهم من البربر وهي كثيرة الخصب والرخاء كثيرة الخيرات والنعم ولها قرى كثيرة وعمائر متصلة ومدن كثيرة ترجع إلى نظرها. الحميري، الروض المعطار، ص١٣٥.

(٤) سليمان بن الحكم: سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر، الأموي، المرواني، الاندلسي، صاحب الأندلس، المعروف بأبو أيوب، وابو الربيع، وهو من ملوك الدولة الأموية في الأندلس بويع بعد مقتل عمه هشام بن سليمان في سنة ٣٩٩ هـ وتلقب بالمستعين باللَّه ودخل قرطبة سنة ٤٠٠ هـ فتلقب فيها بالظافر بحول الله، مضافا إلى المستعين باللَّه. ينظر، الذهبي، سير أعلام، ٦٣/١٣؛ الزركلي، الأعلام،١٢٣/٣.

(٥) المراكشي، المعجب، ص٨٨؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص١١٣؛ ابن خلدون، العبر، ٣٢٥/٧؛ الخلف، نظم حكم الأمويين، ص٩٢؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٥٠٥،٥٠٧؛ السنيدي، الفتنة القرطبية، ص١٢٤.

حيث طغى العنف والدمار، وقد دخلت جهة ثالثة جديدة في هذا الصراع وهم النصارى الذين استغلوا هذهِ الفرصة لتسوية حساباتهم مع المسلمين فبذلوا جهوداً كبيرة لإشعال نيران الصراع الأهلي، وفي ظل تلك الأحداث توجه المستعين بالله برفقة البربر إلى طليطلة وبهدف تنظيم صفوفه وزيادة قوته قام المستعين بمفاوضة أمير قشتالة شانجة بن غرسيه [1]، وفي الوقت نفسه، قام المهدي بالتحضير لهم حيث حفر الخنادق حول قرطبة وجمع الرجال عند أبوابها وأسوارها وكان جيشه مؤلفاً من مزيج من العسكريين المدربين والمدنيين وقد أنضم إليه واضح الصقلبي برفقة أربعمئة فارس من مدينة سالم والتقى الطرفان في سفح الجبل شرق قرطبة في ربيع الأول من سنة ٤٠٠هـ/١٠١٠م، وحقق جيش المستعين انتصاراً ساحقاً على جيش المهدي[2].

بعد هذهِ الهزيمة أدركَ المهدي أَنَّ بقائهِ في قرطبة أصبح أمراً مستحيلاً ؛ لذا قررَ مغادرة المدينة بشكل سري والتوجه إلى طليطلة وقامَ بالاستعانة بصاحبها واضح وطلب مساعدة الثغور التي كانت موالية لهُ، أَمَّا سليمان المستعين فقد دخل قرطبة وتلقى البيعة في ربيع الأول من سنة ٤٠٠هـ/١٠١٠م [3].

من زاوية أخرى فأنَّ فرحة المستعين بتربعه على كرسي الحكم لم تدمّ إذ سرعان ما اتصل المهدي بالنصارى ؛ لمساعدته في استعادة منصبهِ من سليمان بن الحكم وذلك في سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م، ونتيجة لذلك كانت الفرصة للنصارى لا تُفوت في التوغل في أراضي الأندلس دون مواجهة مقاومة وبدأوا في نشر الفساد وارتكاب جرائم القتل والسبي وقتلوا الاطفال وشقوا بطون الحوامل في المناطق التي يمرون بها، مِمّا أثار الرعب والهلع في نفوس سكان الأندلس، حيث أصبح العديد من المسلمين، سواء كانوا صغاراً أم كباراً، ضحايا لهذهِ الأعمال الوحشية وتم سفك دمائهم بدون أي ذنب يُذكر[4].

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٣/٣؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص١١٣؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٥٠٨؛ السنيدي، الفتنة القرطبية، ص١٢٥.

(٢) أبن بسام، الذخيرة، القسم الأول، المجلد الأول، ص ٤٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٣/٣؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ١١٣؛ ابن خلدون، العبر، ٧/ ٣٢٦؛ السنيدي، الفتنة القرطبية، ص١٢٥.

(٣) أبن بسام، الذخيرة، القسم الأول، المجلد الأول، ص ٤٣؛ السنيدي، الفتنة القرطبية، ص١٢٦.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ٩٧/٣؛ الخلف، نظم حكم الأمويين، ص ٩٩، هامش رقم (٢)؛ الحجاج، جرائم النصارى، ص٧٠-٧١.

من بين تلك الجرائم تبرز حادثة السبي لفتاة عربية ابنة رجُل من البادية وكانت رائعة الحسن والجمال حيث أدعى أتباع محمد بن هشام أنها تنتمي إلى البربر وربما يكون السبب وراء ذلك هو وجود خلاف بين أحدهم وبين عائلتها، تم القبض على الفتاة بواسطة جندي إفرنجي، وعندما اشتكى والدها إلى أتباع محمد بن هِشام، لم يجد أي استجابة وبالتالي قررَ والدها التوجه بنفسه إلى النصراني محملاً مبلغاً من المال لفداء ابنته ولكن النصراني أستولى على المال وقتل والدها[1].

في ضوء تلك الأحداث، أصبح الطريق مفتوح أمام المهدي وأتباعهِ لدخول قرطبة استلم المهدي البيعة من سكان قرطبة وعين واضح كحاجب لهُ، وقد كان الفتيان العامريون ينقمون على المهدي ويُعدونه المسؤول الرئيسي عن كل ما حدث للاندلس منذ مقتل عبد الرحمن شنجول فتآمروا عليه مستغلين سخط القرطبيين ونقمتهم عليه وعلى حكمه الذي بات العقبة الوحيدة التي تحول دون رجوع الامن والسلام اليهم، ولما كان واضح في اعماقه لا يقل منهم حقداً عليه ؛ لذلك رافقهم على ضرورة التخلص منه وسعى لاستعادة الحكم لهشام المؤيد فاخرجه من محبسه واجلسوه على سدة الحكم ثم حملوا إليه المهدي فقام هشام بمحاسبتهِ طويلاً على افعالهِ التي أقترفها ثم أمر باخراجهِ، من ثم قتلوه ورموا جثته في الشارع وكان ذلك في ذي الحجة من سنة ٤٠٠ هـ/ تموز سنة ١٠٠٩ م، وبهذا أنتهت حياة محمد بن هشام، الذي وصفه ابن عذاري[2]، بأنهُ "أشأم خليفة على وجه الدنيا" إذ به أنفتح باب الفتنة وأنتشرت الفوضى[3].

يقولُ أبن بسام نقلاً عن أبن حيان [4]: (( أن منبعث هذهِ الفتنة البربرية الشنعاء المدلهمة، المفرقة للجماعة، الهادمة للملكة المؤثلة، المغربة الشاو على جميع ما مضى من الفتن الإسلامية، ففاضت أهوالها تعاظما أدلهني منها))، وقال في موضع آخر[5]: (( وهذهِ نادرة من طخيات هذهِ الفتنة المبيرة، أن

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٩٧/٣؛ الحجاج، جرائم النصارى، ص٧٠-٧١.

(٢) البيان المغرب، ٧٥/٣؛ ويبدو ان ابن عذاري كان يتحامل على المهدي ويظهر ميوله نحو المستعين والبربر. ينظر، السنيدي، الفتنة القرطبية، ص١٢٩، هامش رقم (٢).

(٣) أبن بسام، الذخيرة، القسم الأول، المجلد الأول، ص ٤٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٩٩/٣؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١١٦؛ ابن خلدون، العبر، ٣٢٧/٧؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٥١١؛ السنيدي، الفتنة القرطبية، ص١٢٩.

(٤) ابن بسام (رواية ابن حيان)، الذخيرة، القسم الاول، المجلد الثاني، ص٥٧٦.

(٥) ابن بسام (رواية ابن حيان)، الذخيرة، القسم الثاني، المجلد الثاني، ص٦٥٨.

تخطت أرض هذهِ الجزيرة، إلى ما وراء بحرها الزقاقي الذي كان منه دخول العرب أيام فتحهم هذا الصقع، هاجتها أسباب المنفسة الفادحة، لامتعاض حسيب الأملاك النبيه الأبوة الشامخة)).

ترى الباحثة أنَّ أبن حيان حملَ البربر مسؤولية الفتنة وأطلقَ عليها (الفتنة البربرية) بيدَ أنَّها لا تمت للبربر بأيةِ صلةٍ، ولعلَّ ذلك يعود إلى ميوله للأمويين مما جعلهُ يُبرأ ساحتهم من هذهِ الفتنة والصقها بالبربر، وهذا ما لا يمكن قبوله إذ كان ينبغي عليه أنْ يكون أكثر موضوعية وحيادية وأنْ يتجرد عن أهوائهِ وميولهِ في كتابة الحادثة التاريخية فلو كان كل كاتب ومؤرخ يكتب حسب ميولهِ ونزعاتهِ ؛ لكان التاريخ عبارة عن أهواء وميول للكاتب وهذا يبعدنا كل البعد عن الحقيقه التاريخيه التي نروم الحصول عليها.

ومن ثم يُثار تساؤلات حول سبب تسميتها بالفتنة البربرية ارتباطاً بفئة البربر دون غيرهم، ولم تسمى بأسم موقعها كباقي المعارك التاريخية الأخرى تُسمى بأسماء مواقعها الجغرافية،كالأرك والعقاب وغيرها ؟ وما هي الدلالات الثقافية والاجتماعية التي تكمن وراء هذه التسمية، وكيف تعكس طبيعة الصراع الذي يتجاوز الجوانب العسكرية ليشمل أبعاداً عرقية؟ وإلى أي مدى تسلط هذه التسمية الضوء على التوترات بين الفئات المتحاربة وتساهم في فهم التحولات الاجتماعية والسياسية في تلك المدة؟

على وفق تلك المتغيرات والظروف المأساوية تولى هشام المؤيد السلطة الأسمية في قرطبة في المسجد الجامع مرة أخرى وأصبح واضح حاجبه وأراد هشام مهادنة البربر والمستعين وبعثَ اليهم رأس المهدي وطلبَ الدخول في طاعته الا أنَّ هذهِ المبادرات باءت بالفشل إذ أنَّ الصراع بين البربر والقرطبيين قد تجاوز إمكانية الصلح والتفاهم سلماً فتمسك البربر بالمستعين، وبعد مدة قصيرة تقدم البربر نحو قرطبة وفرضوا الحصار على مدينة الزهراء[1]، ووقعت حرب بين البربر وأهل قرطبة وأخرجوا ما تبقى فيها من جنود الخليفة وما أكتفى البربر بذلك وإنما هاجموا كور الأندلس بما فيها مالقة والبيرة وعاثوا فيها خراباً وتدميراً ونهباً وسبياً للسكان، وعجز واضح عن مساعدة المحاصرين اما بالنسبة

(١) الزهراء: مدينة اندلسية تقع في غربي قرطبة بناها الخليفة عبد الرحمن الناصر وبينها وبين قرطبة خمسة أميال وهي قائمة الذات بأسوارها ورسوم قصورها، وكانت في ذاتها عظيمة، وهي مدينة فوق مدينة، سطح الثلث الأعلى على الحد الأوسط، وسطح الثلث الأوسط على الثلث الأسفل، وكل ثلث منها له سور، فكان الحد الأعلى منها قصوراً يعجز الواصفون عن وصفها، والحد الأوسط بساتين وروضات، والحد الأسفل فيه الديار والجامع. الحميري، الروض المعطار، ص٢٩٥.

لهشام فكان على عادته لا يقدم ولا يأخر لأنهُ ما عرف في يوم من الأيام كيف يكون سيداً، وكان البربر يتمتعون بقوة عسكرية كبيرة حاولوا القرطبيون كسر الحصار إلَّا أنَّهم جوبهوا بضربات شديدة من البربر وبعد مدة طويلة من الحصار جزع السكان المحاصرين بسبب قلة المؤن وبعد محاولة منهم لكسر الحصار هزمهم البربر وقتل منهم ما لا يحصى(١).

مهما يكن من أمر فقد أستمرت الحرب بين البربر والقرطبيين وكان كل منهما يزداد حقداً على الآخر وفي الوقت نفسه، شهدت العاصمة أزمة أقتصادية شديدة حتى أنَّ الخليفة أضُطر أنَّ يبيع كل ما يملك من تحف وكتب ومجوهرات ؛ لتمويل الحرب ومتابعة القتال، وعندما شعر الحاجب واضح بصعوبة الصمود أمام البربر قررَ الهروب متخفياً تاركاً الناس لمصيرهم الأمر الذي أستغلهُ جنودهِ واعوانهِ فقاموا بمهاجمة قصره ونهبوا كل ما به من مالٍ وامتعه ثم لحقوه وقتلوه وطافوا برأسه في شوارع العاصمة وكان ذلك آواخر سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م، وقد سيطر البربر على مقاليد الأمور في قرطبة مضطهدين سكان قرطبة الأمر الذي ولدَ رغبة عند القرطبيين في التخلص من البربر ؛ لذلك حينما وقع احد كبار قادة البربر بيد القرطبيين المدعو ماكسن بن زيري (٢)، زعيم قبيلة صنهاجة أسروه وقتلوه وقطعوه إربا إربا ومنذ أنَّ وقعت تلك الحادثة حتى صعدت وتيرة هجمات البربر على قرطبة وسادت الفوضى والاضطراب وانزلوا السيوف في رقابهم وسبوا نسائهم واطفالهم وعاثوا في المدينة خراباً فخرج القاضي ابن ذكوان(٣)، مع بعض الفقهاء إلى المستعين ورؤساء البربر وطلبوا منهم الأمان فامنوهم مقابل أموال ضخمة فرضت عليهم(٤).

(١) أبن بسام، الذخيرة، القسم الأول، المجلد الأول، ص ٤٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١١٢/٣؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١١٧؛ ابن خلدون، العبر، ٣٢٧/٧؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٥١٤.

(٢) ماكسن بن زيري: لم أعثر على ترجمة له في كتب التراجم.

(٣) ابن ذكوان: هو أحمد بن عبد الله بن هرثمة بن ذكوان بن عبد الله بن عبدوس بن ذكوان الأموي، المعروف بأبو العباس، وهو قاضي القضاة بالأندلس، ولاه القضاء المنصور ابن أبي عامر، بقرطبة وكان من خاصته يلازمه في رحلاته وغزواته، ومحله منه فوق محل الوزراء، يفاوضه المنصور في تدبير الملك وسائر شؤونه وكذلك كانت حال المظفر والمأمون ابني المنصور معه بعد وفاة أبيهما وعزل في أيام المظفر ثم أعيد وتوفي المظفر، فزاد أخوه المأمون (عبد الرحمن) في رفع منزلة ابن ذكوان وولاه الوزارة مجموعة إلى قضاء القضاة ولما انقرضت دولة بني عامر وقامت الفتن في قرطبة نفي ابن ذكوان وأهله إلى المرية فوهران. ينظر، اليحصبي، ترتيب المدارك، ١٦٦/٧؛ الزركلي، الاعلام، ص١٥٦.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ١١٢/٣؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١١٨؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٥١٤.

في ضوء ما تقدم فقد دخل المستعين إلى قرطبة للمرة الثانية في شوال سنة ٤٠٣هـ/ آيار١٠١٣م، واحضر هشام المؤيد ووبخه ولم يستمر هشام المؤيد بعد ذلك إذ توفي سنة ٤٠٣هـ/١٠١٣م، انتقل سليمان إلى الزهراء واستقر فيها و بدأت السلطة والقرار الفعلي يكون في أيدي رؤساء البربر الذين فرضوا سيطرتهم عليه قام المستعين بوضع خطة لمحاولة إرضاءهم من جهة والتخلص منهم من جهة أخرى قام بتقسيم بعض مدن الأندلس بين رؤسائهم، بما في ذلك علي بن حمود(١)، الذي سيطر على سبتة وأخوه القاسم بن حمود(٢)، الذي تولى طنجة، ولم يكن المستعين يعلم أنه بفعله هذا، كان يمهد الأرضية لظهور ما يسمى بـ "دول الطوائف" بدأ سليمان في تنظيم شؤون هذهِ الحكومة المضطربة، حيث سادت الفوضى في جميع الجوانب وتفككت عرى الدولة فأستولى البربر على السلطة الحقيقية وأصبحت الحجابة والوزارة بيدهم وفي محرم من سنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م، تمكن علي بن حمود من القضاء على المستعين(٣).

استمرَّ الوضع المضطرب والصراعات والفوضى في الأندلس بين القرطبيين من جهة، والبربر من جهة أُخرى وفي محاولة لحل النزاعات المستمرة اجتمع وجهاء قرطبة برئاسة الحزم بن جهور(٤)،

(١) علي بن حمود: عليّ بْن حمّود بْن ميمون بْن أحمد بْن عليّ بْن عُبيد اللَّه بْن عُمَر بْن إدريس بْن إدريس بْن عَبْد الله المحْض بْن الحَسَن المثنى ابن رَيْحانة رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحَسَن بْن عليّ رضي الله عنهما، الحسني الهاشمي العلوي الإدريسي، لما قتل سليمان وأباه استقّل بالأمر، وحكم علي الأندلس، وتسمّي بالخلافة، وتلقَّب بالنّاصر وبقى عليّ في الإمرة اثنين وعشرين شهرًا، ثمّ قتله غِلمانٌ لَهُ صقالبة في الحمّام في اواخر سنة ٤٠٨هـ، وقام بالأمر بعده أخوه القاسم. ينظر، الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٢؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٢٧؛ الذهبي تاريخ الاسلام، ١٣٢/٩؛ سير اعلام النبلاء، ٥٥٦/١٢.

(٢) القاسم بن حمود: هو القَاسم بن حمود بن ميمون بن احمد بن عبيد اللهِ بن عمر بن إدريس ابن إدريس بنِ عبد الله بن حسن، العلوي الحسني الادريسي، وَلِي قرطبة سنة ثمان واربعمائة عندما قتل أخيه علي بن حمود وكان ساكناً وادعاً، أَمن الناس بِه، وقد توفي القَاسِمَ في سنة احدى وثلاثين واربعمائة وله ثلاثون سنة، ثُم حملَ تابوته إلى الجزيرة الخضراء، فدفن بها، وبها يومئذ ولده محمد. ينظر، الضبي، بغية الملتمس، ص٢٨؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ٥٠٧/٩؛ سير اعلام، ١٩١/١٣؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ٨٧/٢٤.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ١١٣/٣-١١٥؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١١٩؛ نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص٥١٤-٥١٥.

(٤) الحزم بن جهور: هو الحزم بن جهور بن عبيد الله أبو الحزم، شخصية بارزة في تاريخ قرطبة، حيث كان رئيسها وذو تأثير كبير في فترة حكمه، ينتمي إلى عائلة مرموقة، حيث كان جده أبو أمية عبد الغافر من وزراء عبد الرحمن بن معاوية، تميز الحزم بذكائه وحنكته، إذ تمكن من إدارة شؤون المدينة بشكل فعّال واستمر في السلطة حتى وفاته في عام ٤٣٥ هـ. ينظر، أبن الأبار، الحلة السيراء، ٣٠/٢، الذهبي، سير إعلام النبلاء، ١٤٠/١٧.

وتوصلوا إلى قرار بأنهاء الخلافة الأموية في الأندلس، نظراً لعدم وجود شخصية مؤهلة من الأمويين لقيادها وقد حدث ذلك في سنة ٤٢٢هـ/١٠٣١م، وبهذا القرار انتهى حكم الدولة الأموية في الأندلس وبدأت حقبة جديدة تُعرف بـ "عصر الطوائف"(١).

## سادساً: الجهاد المشترك بين المرابطين(٢) وملوك الطوائف ضد الممالك الأسبانية (موقعة الزلاقة) سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م.

دعت الضرورة السياسية والمتغيرات العسكرية أنْ يشترك المرابطين في الصراع الإسلامي النصراني الدائر في بلاد الأندلس لذلك كانت الخطوة الأولى التي اتخذها أمير المرابطين يوسف بن تاشفين(٣)، في هذا المجال هي العبور بقواته إلى الأندلس في ربيع الأول سنة ٤٧٩ هـ/حزيران ١٠٨٦م (٤)، ذلك بعد أنْ أستنجد بهِ أمراء الطوائف وعلى رأسهم المعتمد بن عباد(٥)، إلاَّ أنَّ يوسف اشترط على المعتمد بن عباد

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ١٥٢/٣؛ السنيدي، الفتنة القرطبية، ص١٤٠.

(٢) المرابطين: يرجع اصلهم الى البربر، هم من قبيلة لمتونة، ولمتونة هذه بطن من بطون صنهاجة، وهي أعظم القبائل البربرية، وهي بدورها فرع من فروع قبيلة البرانس الكبرى، وكانت لمتونة تسكن منذ عصور بعيدة قبل الإسلام في قلب الصحراء، ما بين جنوبي المغرب والسودان، وكانوا يعتمدون في قوتهم على لحم الإبل ولبنها، ولا يعرفون حرثاً ولا ثماراً، ولا يأكلون الخبز وكان شعارهم " اللثام " ومن ثم فقد عرفوا " بالملثمين "، وقيل في سبب ذلك إنهم كانوا يتخذون في أعراسهم نوعاً خاصا من الحجاب، أو لأنه حدث ذات مرة في بعض حروبهم أن نساءهم كن يقاتلن معهم محجبات. عنان، دولة الإسلام، العصر الثاني، دول الطوائف، ص٢٩٩.

(٣) يوسف بن تاشفين: أبو يعقوب بن تاشفين اللمتوني، البربري، الملثم، اول من تسمى بأمير المسلمين، وهو ملك الملثمين، ويعرف بأمير المرابطين، وهو الذي اختط مدينة مراكش بالمغرب في سنة خمس وستين وأربعمائة وجعلها دار ملكهِ، وكان رجل شجاع وعادل وكان مقربا للعلماء، توفي في محرم سنة خمسمائة بعد عمر ناهز تسعين سنة قضى منها خمسين سنة في الملك. ينظر، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ١١٢/٧، ١١٣، ١٢٤، ١٢٥؛ الذهبي، سير أعلام، ٢٢٨/١٤.

(٤) السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص٢٥٢.

(٥) المعتمد بن عباد: المعتمد على الله أبو القاسم محمد بن المعتضد بالله أبي عمرو عباد بن الظافر المؤيد بالله، صاحب قرطبة وإشبيلية وما والاهما من جزيرة الأندلس وكان المعتمد بن عباد أكبر ملوك الطوائف وأكثرهم بلاداً، ومن أبرز الأحداث التي تعكس فضله، انه قام بدعوة أمير المرابطين يوسف بن تاشفين لمواجهة الفونسو السادس في معركة الزلاقة في عام ٤٧٩ هـ وقد تم القبض على الملك فونسو السادس في هذهِ المعركة ومع ذلك، قرر المرابطين فيما بعد خلع المعتمد بن عباد والاستيلاء على الأندلس بأكملها نفي المعتمد وعائلته إلى بلاد المغرب، وتوفي هناك في عام ٤٨٨ هـ. ينظر، ابن الأبار، الحلة السيراء، ٢/ص٥٢-٥٣؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢١،٢٨/٥؛ الذهبي، سير أعلام، ٥٨/١٩.

أنْ يسلمه الجزيرة الخضراء فوافق على ذلك ؛ ولعل أنَّ يوسف أرادَ بذلك أنَّ يحافظ على خطوط تموينه قبل عبوره إلى الأندلس وأنَّ يؤمن طريق العودة إذا أنهزم أمام العدو فجاز بعبوره الأول ونزلَ في الجزيرة الخضراء ورحب به سكانها فاستراح بها أياماً، ثم سار صوب اشبيلية وفي أثناء سيره التقى بالمعتمد بن عباد فتابعا سيرهما معاً إلى اشبيلية وكان هدف يوسف بن تاشفين هو أنَّ يحشد القوى الإسلامية في جبهة واحدة لمواجهة الاسبان فاستنفر أمراء الطوائف للجهاد [1].

في ظل تلك الأجواء، شعر النصارى في شمالي الأندلس بالخطر المحدق بهم إذ وصلت إلى مسامع الفونسو السادس وهو محاصر سرقسطة قاعدة مملكة بني هود[2]، أخبار تفيد بعبور يوسف بن تاشفين فارتعب وخاف على عاصمته فترك حصار سرقسطة وقفل راجعاً إلى طليطلة لدفع الخطر عنها فاستنفر كل من يستطيع حمل السلاح في مملكته وبناءً على ذلك فقد تحالف مع ملوك وامراء النصارى على رأسهم: ملك اراغون شانجة راميرو، وحاكم بنبلونة الأمير رامون برنجار، كما استدعى قائده البارهانس من بلنسية وطلب الدعم من وراء الجبال البرينية من لانجدوك وبرغونية وبروفانس، كما جاء الفرسان من ايطاليا وفرنسا [3].

مهما يكن من أمر فقد خرجت القوات الإسلامية من أشبيلية صوب بطليوس وذلك بناءً على دعوة صاحبها عمر المتوكل بن الأفطس[4]؛ لانها تُعد من المدن المعرضة غالباً لهجمات الفونسو السادس فتقدمت لهم القوات النصرانية وعندما علم يوسف بن تاشفين بتقدم الجيوش النصرانية أمر الجيش الإسلامي بالتّحرك، إلى مكان آخر فاختار مع القادة مكان ليكون موقع المعركة الفاصلة، وهذا المكان موضع سهليّ

(١) طقوش، تاريخ المسلمين، ص٤٨٦-٤٨٧.

(٢) بني هود: بطن من جذام من القحطانية، وهم بني هود عبد الله ابن موسى بن سالم الجذامي، ويقال انه من ولد روح بن زنباع، كان لهم ملك بالأندلس أيام الطوائف، وأول من ملك سليمان المستعين بسرقسطة، وتولى الملك فيهم مدة بعد ذلك وادانوا بطاعة خلفاء بني العباس ببغداد. القلقشندي، نهاية الأرب، ص٤٤٣.

(٣) أشباخ، تاريخ الأندلس، ص٨٤؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثاني، دول الطوائف، ص٣٢١-٣٢٢؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص٢٥٣؛ طقوش، تاريخ المسلمين، ص٤٨٧.

(٤) المتوكل أبن الأفطس: عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلمة التجيبي بن الأفطس، تولى الحكم بعد وفاة أخوه يحيى وذلك بعد تنافس طويل كاد أن يفسد حالهما، كماكان المتوكل من أدباء عصرهِ وقد اتسم بالحزم والبلاغة، وأصبحت بطليوس في عهدهِ دار حرب وشعر ونحو وعلم وكان المتوكل أحد الداعين إلى توحيد كلمة زعماء الطوائف أمام الخطر النصراني الذي داهم الأندلس بقيادة الملك الفونسو السادس، وتوفي قتلاً على يد المرابطين سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م. ينظر، ابن الأبار، الحلة السيراء، ٢/٩٦-١٠٧؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٨٥-١٨٩.

من عمل بطليوس وأحوازها على مسافة اثنا عشر كيلو متر شمالها الشرقي، ويقع على حدود البرتغال الحاليّة، وتسميه الرواية العربية "الزلاقة" وتسميه الرواية النصرانية "سَكر الياس"، ثم وصلت القوات النصرانية وعسكرت على بعد ثلاثة اميال من مكان المسلمين ولم يفصل بينهم الا نهر صغير يعرف بنهر حجير او نهر بطليوس[١]، بعد ذلك ضرب يوسف بن تاشفين معسكره خلف معسكر الأندلسيين[٢].

بعد أَنْ استكملَ الفريقين استعدادتهم الحربية اصبحت المواجهة العسكرية واضحة المعالم وكانت الدلائل تشير إلى تفوق قوات الفونسو السادس على قوات يوسف بن تاشفين من عدة جوانب أولها: العدد أذ قدر عدد النصارى ثلاثمائة ألف[٣]، وفي روايات أخرى خمسين ألفاً [٤]، في حين بعض الروايات تقول بأنَّ عددهم كان مئة وثمانين الف فارس ومئتين راجل[٥]، أمَّا اعداد جيش المسلمين فهي الأخرى يشوبها عنصر الغموض اذ لم تتفقْ المصادر التاريخية على عدد معين لها، فمنها ما يقول أنَّ اعداد المسلمين قدرت بعشرين الف [٦]، ومنها ما يقول أنَّ اعدادهم كانت ثمانية واربعين ألف نصفهم من الأندلسيين[٧]، فيما اشار اشباخ[٨]، إلى اعداد الجيوش قائلاً: ((إنَّ جيش الفونسو كان يبلغ زهاء مائة ألف من المشاة وثمانين ألفاً من الفرسان، منهم أربعون ألفاً من ذوى العدد الثقيلة، والباقون من ذوى العدد الخفيفة. ومن هؤلاء نحو ثلاثين ألف فارس من المسلمين من رعايا الفونسو. أما الرواية النصرانية فانها تلتزم الصمت إزاء عدد النصارى أسوة بالرواية العربية إزاء عدد المسلمين، ولكنها تقدر عدد الجيش الإسلامى ببضع مائة ألف أو تقول إنَّه كان لا يحصى عديده كجيش من الجراد المنتشر، وقد تقترب من الحقيقة إذا قدرنا قوات كل فريق بنحو مائة وثلاثين ألفاً إلى مائة وخمسين ألفاً))، والجانب الثاني هو أنَّ القوات النصرانية كانت تحارب في بلادها وخطوط الامدادات من القوات والمؤن والاسلحة قريبة عليهم [٩].

---

(١) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ١٤٦؛ اشباخ، تاريخ الاندلس، ص٨٥.

(٢) ابـــن أبي زرع، الأنيس المطرب، ١٤٦؛ أشباخ، تاريخ الأندلس، ص٨٥؛ طقوش، تاريخ المسلمين، ص٤٨٨؛ المصري، الزلاقة، ص٤٠٥.

(٣) المقري، نفح الطيب، ٤٣٩/١.

(٤) ابن الاثير، الكامل، ٣٠٩/٨؛ طقوش، تاريخ المسلمين، ٤٨٨.

(٥) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص١٤٩.

(٦) المراكشي، المعجب، ص٩٩.

(٧) طقوش، تاريخ المسلمين، ص٤٨٨.

(٨) أشباخ، تاريخ الأندلس، ص٨٥.

(٩) طقوش، تاريخ المسلمين، ص٤٨٨.

على أية حال فقد أرسل يوسف بن تاشفين رسالة إلى الفونسو السادس يخيره بين ثلاثة أمور: أمَّا الدخول في الإسلام، أو دفع الجزية، أو الحرب وكان مفادها: ((وبلغنا يا أذفونش أنك دعوت في الاجتماع بك، وتمنيت أن يكون لك فلكٌ تعبر البحر عليها إلينا، فقد أجزناه إليك، وجمع الله في هذهِ العرصة بيننا وبينك، وسترى عاقبة دعائك))[1]، فلما وصلت الرسالة للفونسو غضب غضباً شديداً وقال للرسول: ((قل للامير لا تتعب نفسك انا واصل اليك))[2]، فكتبَ يوسف بن تاشفين في ظهر الرسالة عبارة تقول: ((الذي يكون ستراه))[3]، وأرسله له وعندما قرأها الفونسو السادس إرتاع له وعلم أنَّه قد ابتلى برجل لا طاقة له به، بعد ذلك تجمع جيش الفونسو السادس وقد ادركته الأنفه والغرور عندما شاهد تفوق جيشه وبلغ من كثرة تعجبه بجيشه أنَّ قال: ((بهؤلاء أقاتل الجن والإنس وملائكة السماء))[4]، وبالغ في ذلك حتى قال: ((هذا الجْيشِ أَلْقَى إِلَهَ مُحمد [صلى الله عليه واله وسلم]، صَاحِبِ كِتَابِكُمْ))[5].

الجدير بالذكر أنَّ الفونسو السادس حاول أَنْ يخدع يوسف بن تاشفين في تحديد يوم الموقعة لكن دون جدوى إذ اخبرهم بانَّ المعركة ستكون يوم الاثنين (١٥ رجب ٤٧٩هـ/٢٦ تشرين الأول ١٠٨٦م)، الا إنَّ المسلمين كشفوا هذا الخدعة واخذوا يهيئون قواتهم بكل احتراس وتأهب لملاقاة العدو، فارسل الفونسو السادس قوة عسكرية في يوم الجمعة (١٢ رجب ٤٧٩هـ/٢٣ تشرين الأول ١٠٨٦م)، بقيادة الأميرين غرسية ورودريك وهجموا بصورة مباغتة على معسكر الأندلسيين لإخراجهم من المعركة لكنه تفاجئ بأنَّ جيش المسلمين كانوا قد كشفوا هذهِ الخدعة وانهم تصدوا لقواته قبل أَنْ يصلوا اليهم، ثم قام يوسف بن تاشفين بإرسال عشرة الآف فارس لمساعدتهم فاجبروهم على الارتداد[6]، وقيل أن الفونسو السادس كان قد رأى رؤية قبل وقوع المعركة وكان تفسيرها هو خسارة قواته في المعركة وقد امدنا ابن الاثير[7]، بفحوى الرؤية قائلاً: ((فرأَى في منامِهِ كَأَنَّهُ رَاكِبُ فيلٍ، وَبين يَدَيْهِ طَبْلٌ صَغِيرٌ، وَهُوَ ينقر فيهِ، فقصَّ رُؤْياهُ على الْقِسيسين، فَلَمْ يَعرفوا تَأْوِيلَهَا فاحْضَرَ رَجُلًا مُسلما، عَالِما بِتَعْبيرِ الرُّؤْيا، فقصَّهَا عليْهِ،

(١) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ١١٦/٧.

(٢) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ١٤٦؛ طقوش، تاريخ المسلمين، ص٤٨٨.

(٣) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٢٩/٥؛ المقري، نفح الطيب، ٣٦١/٤؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثاني، دول الطوائف، ص٣٢٣.

(٤) الحميري، صفة جزيرة، ص٨٨؛ المقري، نفح الطيب، ٣٦٣/٤؛ المصري، الزلاقة، ص١٩٠.

(٥) ابن الاثير، الكامل، ٣٠٨/٨؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١١٦/٥؛ المصري، الزلاقة، ص١٩٠.

(٦) ابن الاثير، الكامل، ٣٠٩/٨؛ ابـــــن أبي زرع، الأنيس المطرب، ١٤٧؛ طقوش، تاريخ المسلمين، ص٤٨٩؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثاني، دول الطوائف، ص٣٢٣.

(٧) الكامل، ٣٠٧/٨.

فاسْتَعْفاهُ من تَعْبيرِهَا، فَلَمْ يُعْفِهِ، فقالَ: تَأْوِيلُ هذهِ الرُّؤْيا من كِتَابِ اللَّهِ الْعَزِيزِ، وَهُوَ قولُهُ تَعَالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحابِ الْفيلِ**﴾(١)، وَقولُهُ تَعَالى: ﴿**فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ**﴾(٢)، وَيَقتضِي هَلَاكَ هذا الْجيشِ الذي تَجمعهُ.)).

على أيةِ حال فقد جهز الفونسو السادس قواته للهجوم، وتولى قيادة القلب بنفسه وعهد بقيادة الجناحين إلى كل من شانجة راميرو ورامون برنجار، بدأت المعركة بين الطرفين في صباح يوم الجمعة فتوجهوا النصارى صوب معسكر الأندلسيين ووقعت بينهم معركة حاسمة قاتلوا فيها المسلمين ببسالة وصبروا صبراً كبيراً حتى انهم اشرفوا على الهزيمة لولا إنَّ الأمير يوسف بن تاشفين ارسل قوة عسكرية من قبائل المغرب وزناتة والمصامدة(٣)، وغمارة(٤)، وسائر قبائل البربر بقيادة سير ابن ابي بكر(٥)، الأمر الذي أدّى إلى ارتفاع معنويات المسلمين، فقام سير ابن ابي بكر بحركة التفاف باغت بها معسكر النصارى من الخلف ثم بدأ المسلمين بحرق محلة الفونسو السادس ونهبها وقتل رجالها وفرسانها وإبادة حراسها (٦)، وسبي نساؤها (٧)، كما أنَّهم غنموا ما عند النصارى من اموال واسلحة ودواب(٨)، وكان يوسف بن تاشفين أثناء الحرب يحث المقاتلين على الصبر والثبات ويقوي نفوسهم على الجهاد، وقد استمرت المعركة

---

(١) سوة الفيل، الآية ١.

(٢) سورة المدثر، الآية ٨-١٠.

(٣) المصامدة: وهم رجال من أقصى المغرب لهم بلاد كثيرة، يقال لها بلاد المصامدة وهم قوم سود طوال حافظون لكتاب الله تعالى، ولا يتزوج واحد منهم ما لم يحج، فيخرج الحاج من هناك فيكون في الطريق ثلاث سنين ونصف ويرجع في ثلاث سنين ونصف، السمعاني، الأنساب، ٢٨٤/١٢-٢٨٥؛ السيوطي، لب اللباب، ص٢٤٦.

(٤) غمارة: وهم بطن من معمورة مصمودة من البرانس من البربر، وهم بنو غمارة بن مسطاح بن قليل بن معمورة بن برنس بن بربر، والبربر تقدم نسبهم في حرف الالف فيما يقال فيه بنو فلان في الالف واللام مع الباء الموحدة، قلت: ومن هذهِ القبيلة جدنا الشيخ عبد الله الغماري، خادم سيدي أبي العباس البصير الخزرجي الاندلسي البلنسي، وهو مدفون عنده ضريحه بقرافة مصر الصغرى، نفع الله ببركتهما. القلقشندي، نهاية الارب، ص٣٨٩.

(٥) سير بن أبي بكر: هو أحد أبرز أمراء المرابطين وقادتهم ويُعد من القادة الأربعة الذين اختارهم يوسف بن تاشفين من بين أربعين ألفًا من المرابطين، تم تكليفه بقيادة جيش المرابطين في معاركهم ضد قبائل المغرب، كما وُليّ مسؤولية مدائن مكناسة وبلاد مكلاثة وفازار قاد سير بن أبي بكر الجيوش في معارك حاسمة ضد النصارى في الأندلس، وأشهرها معركة الزلاقة، وتوفي في سنة ٥٠٧هـ. ابن الأبار، الحلة السيراء، ١٠٢/٢، ٨٦.

(٦) ابن الاثير، الكامل، ٣٠٩/٨؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص١٤٨؛ طقوش، تاريخ المسلمين، ص٤٨٩؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثاني، دول الطوائف، ص٣٢٤.

(٧) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص١٤٨.

(٨) ابن الاثير، الكامل، ٣٠٩/٨.

بضع ساعات سقط فيها آلاف المقاتلين من الطرفين[١]، إذْ استشهد من المسلمين ما يقارب الثلاثة الاف مقاتل[٢]، أمَّا النصارى فسقط الكثير منهم ولم ينج إلاَّ الفونسو السادس مع عدد قليل من رجاله وكان عددهم خمسمائة مقاتل مثخنين بالجراح وكان الفونسو السادس قد اصيب بطعنة في رجله فاتجهوا إلى طليطلة فمات منهم في الطريق أربعمائة مقاتل ودخل الفونسو السادس إلى طليطلة برفقة مئة مقاتل فقط [٣]، وقيل ثلاثمائة فارس [٤]، والجدير بالذكر أنَّ المسلمون مكثوا في ساحه المعركه اربعة أيام وهم يجمعون الغنائم التي تركها النصارى خلفهم فقام يوسف بن تاشين باعطائها لملوك الأندلس مبرهناً لهم بأنَّ هدفه الجهاد في سبيل الله وليس الحصول على الغنائم[٥].

مهما يكن من أمر فقد تناقل النصر الحاسم للمسلمين في معركة الزلاقة بسرعة عبر القواعد الأندلسية، وانتشر صداه في جميع أنحاء المنطقة، أثار هذا النصر حالة من البهجة والسرور بين المسلمين، الذين رأوا فيه تأييداً إلهياً لهم في هذا السياق، قام أمير المسلمين بإرسال رسالة مفصلة عن تفاصيل المعركة وأوصافها إلى حاكم إفريقية، المعز بن باديس[٦]، ليطلعه على هذا الأنتصار العظيم[٧]، وقد انتشرت ترددات هذا النصر عبر مدن المغرب وإفريقية، مما دفع الناس إلى التبرع بالصدقات وإعتاق الرقيق[٨].

(١) أشباخ، تاريخ الأندلس، ص٨٧-٨٨؛ طقوش، تاريخ المسلمين، ص٤٨٩.

(٢) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص١٤٩؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثاني، دول الطوائف، ص٣٢٦.

(٣) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص١٤٩؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثاني، دول الطوائف، ص٣٢٥، ٣٢٦؛ طقوش، تاريخ المسلمين، ص٤٨٩.

(٤) ابن الاثير، الكامل، ٣٠٩/٨.

(٥) طقوش، تاريخ المسلمين، ٤٩٠.

(٦) المعز بن باديس: يكنى أبو تميم ويلقب أولا شرف الدولة بن أبي مناد باديس نصير الدولة بن أبي الفتح المنصور عبد العزيز بالله بن أبي الفتوح بلقين سيف العزيز بالله بن زيري بن مناد بن منقوش الصنهاجي. ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٩٥/١.

(٧) ينظر ملحق رقم (١) (رسالة يوسف بن تاشفين الى المعز بن باديس عقب موقعة الزلاقة)، ص١٩٢-١٩٦.

(٨) عنان، دولة الإسلام، العصر الثاني، دول الطوائف، ص٣٢١؛ المصري، الزلاقة، ص١٩٦.

## المبحث الثاني

## سبي النصارى للمسلمين في بلاد الأندلس

### أولاً: حملة الحكم المستنصر إلى أراضي النصارى الأسبان سنة ٣٥٢هـ/٩٦٣م.

عندما أدركَ الخليفة الحكم المستنصر وجود تحالف نصراني ضده أضطرَ إلى مواجهة هذا التحالف ومقاتلته وفي ذات السياق قادَ الحكم في سنة ٣٥٢هـ/٩٦٣م، حملة عسكرية مُعلناً الجهاد رغم ميله إلى المسالمة والهدوء وحياة العلم إلاَّ أنَّه رد العدوان بكل بسالة ودافع عن أراضي الدولة [١]، إذ تجمعت الجيوش المسلمة في طليطلة وبدأت عمليات الغزو بالهجوم على منطقة قشتالة، حيث تم الاستيلاء على قلعة شنت اشتبين[٢]، وحاصرها المسلمون تم بعد ذلك الاستيلاء على القلعة وأجبر الحاكم النصراني فرنان جونثالث حاكم قشتالة على طلب السلام[٣].

أرسل الخليفة الحكم المستنصر حملة عسكرية تزعمها حاكم مدينة سبته المدعو يحيى بن محمد التجيبي[٤]، هاجم فيها أراضي لمملكة نبرة التي كانت تحت حكم ملكها شانجة، إذ لم يتوانَ هذا الملك في شن الغارات العسكرية على الأراضي الإسلامية ؛ لذلك حدثت معركة كبيرة عرفت بمعركة أنتيسة بين المسلمين والنصارى، حيث تم هزيمة النصارى واضطرارهم للاحتماء في الجبال[٥].

في الوقت نفسه كانت قوة إسلامية قوية بقيادة القائد غالب الناصري تهاجم المناطق المحيطة بنبره إذ قادَ غالب الناصري غزوات أستهدف بها مدينة قلهرة[٦]، حيث قام بمهاجمة المدينة وحصنها

---

(١) ابن حيان، المقتبس (تحقيق الحجي)، ص٢٣- ٢٦، ٧٨-٧٩، ٩٢-٩٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٢٣٦، ٢٣٨، ٢٤٠.

(٢) شنت اشتبين: وهي قلعة حصينة ومنيعة تقع على الطرف الشمالي لنهر دويرة، ويطلق عليها قلعة قاشترومورش. الحميري، الروض المعطار، ص٦٠.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/ ٢٣٦؛ المقري، نفح الطيب، ١/٣٨٢-٣٨٣.

(٤) يحيى بن محمد التجيبي: لم أعثر له على ترجمة في كتب التراجم.

(٥) ابن حيان، المقتبس (تحقيق الحجي)، ص١٢٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٢٣٦؛ المقري، نفح الطيب، ١/٣٨٣؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الأول، القسم الأول، ص٤٨٧.

(٦) قَلَهُرَّةُ: مدينة من مدن الأندلس، من أعمال تطيلة تقع في شرقي الأندلس هي اليوم بيد الأفرنج. الحموي، معجم البلدان، ٤/٣٩٣؛ البغدادي، مراصد الاطلاع، ٣/١١١٩

وجهزها بالجنود والمعدات اللازمة[١]، كما تقدَّم حاكم مدينة وشقه مع قواته شمالاً نحو أراضي نبره قاستطاع الاستيلاء على على بعض الحصون، واجتاح المنطقة المحيطة بها، وأستولى على أسلحة وأسر وسبى أعداد كبيرة وبهذا اضطرت الممالك الأسبانية على مهادنة الخليفة الحكم المستنصر وطلب السلم منه[٢].

## ثانياً: سبي النصارى لأهالي بلنسية في وقعة بطرنة[٣] سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٢م.

سُميت هذهِ الحادثة بوقعة بطرنة نسبة إلى القرية التي وقعت فيها الحادثة، وقد اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ هذهِ الوقعة فكل مؤرخ ذكر لها تاريخ يختلف عن التاريخ الذي ذكرهُ نظيره، إذ ذكرها كل من ابن بسام[٤]، و ابن عذاري[٥]، إنها وقعت في سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٢، فيما ذكرها المقري[٦]، إنَّها وقعت في سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٣م، وانفرد عنان[٧]، في تحديد تاريخها جاعلهُ في سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٤م، وترجح الباحثة رأي كل من أبن بسام وأبن عذاري القائل بأنَّ تاريخ وقوعها كان في سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٢ ؛ وذلك لتدهور الوضع السياسي لحكم المسلمين في الأندلس الأمر الذي أستغله الأسبان وأخذوا يشنون غاراتهم الحربية وحملاتهم العسكرية على الأراضي الإسلامية.

على أيةِ حال ذكرت الروايات التاريخية أَنَّ ملك قشتالة فرناندو الأول خرج على رأس جيش كبير صوب أراضي مدينة سرقسطة لمعاقبة أميرها المقتدر بن هود[٨]، ويعود السبب في

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٢٣٩؛ المقري، نفح الطيب، ١/٣٨٣؛ دوزي، المسلمون في الأندلس، ٢/٦٥.

(٢) المقري، نفح الطيب، ١/٣٨١-٣٨٢؛ دوزي، المسلمون في الأندلس، ٢/٦٥؛ عنان، دولة الإسلام، العصر، القسم الثالث، ص٤٨٧؛ الصوفي، الأخلاق الإسلامية، ص١٣٤.

(٣) بطرنة: قرية تقع في بلنسية، وهي التي كانت فيها الوقعة الشهيرة للنصارى على المسلمين، ينظر، ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ٢/٣٥٥؛ المقري، نفح الطيب، ١/١٨١.

(٤) الذخيرة، القسم الثالث، المجلد الثاني، ص٨٥٥.

(٥) البيان المغرب، ٣/٢٥٢.

(٦)نفح الطيب، ٤/٤٤٨.

(٧) دولة الاسلام، العصر الثاني، دول الطوائف، ص٢٢٤.

(٨) المقتدر بن هود: هو أحمد بن سليمان بن محمد بن هود، وهو حاكم سرقسطة تولى حكم المدينة بعد وفاة والده في عام ٤٣٨ هـ، ودخل في صراع مع إخوته من أجل الاستيلاء على أراضيهم التي كانت تحت سلطتهم لتحقيق هذا الهدف استعان بالنصارى تعرض المقتدر لكراهية الناس بسبب معاملته المشينة لأخوته وأفعاله السيئة وخلال فترة حكمه تعرضت مدينة بربشتر لغزو من النورمان ولكن المقتدر لم يتدخل للدفاع عنها لأنها كانت تعتبر ضمن أملاك أخيه لأخيه يوسف وتوفي المقتدر في عام ٤٧٤ هـ. ينظر، ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/٢٢٢ -٢٢٣؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٧١.

ذلك ؛ لتخلفه عن دفع الجزية التي كان متعهداً بادائها هذا من جهة، ومن جهة أخرى لأنَّه قد تم الاعتداء على النصارى في سرقسطة وغيرها من بلاد مملكته، وقتلت منهم جموع غفيرة، وكرد فعل قام فرناندو بالإغارة على أراضي مدينة سرقسطة الجنوبية، والإمعان فيها تخريباً وحرقاً للمزارع والقرى، واجتاح على هذا النحو سائر الرقاع والوديان الواقعة خارج الحصون والقلاع المسورة[1]، وأشرف في غزوته المخربة على ظاهر بلنسية وضرب القشتاليون الحصار حول المدينة، وفي ظل تلك الظروف فقد كان أهلها على غفلة من أمرهم منشغلين باللذات واللهو والأكل والشرب وهذا ما أكَّده أبن بسام[2]، قائلاً: ((وأهلها: جاهل غر أو مترف مغتر، أو غفل لا خير ولا شر. قد خلوا بشهواتهم، وانخدعوا باغضاء الدهر عن غراتهم، لا عهد لهم [يومئذ] بصريع إلا من كاس شمول))، وعندما علموا أهل بلنسية بحصار القشتاليين أصابهم الخوف والذعر[3]، وقد صورت الروايات التاريخية حالهم عندما هاجمهم النصارى قائلةً: ((فطار بهم الذعر كل مطار))[4].

على الرغم من ذلك فأنَّ أهل بلنسية تأهبوا للدفاع عن مدينتهم فلما رأى القشتاليون مناعة الأسوار، وأهبة أهل المدينة لجأوا إلى الحيلة، فتركوا الحصار، وتظاهروا بالارتداد نحو الشمال إلى قرية بطرنة فاعتقد أهل بلنسية أن القشتاليين قد ارتدوا عن مدينتهم خائبين، فخرجوا لمطاردة الفارين في ثياب من الحرير والزينة وكأنهم في عيد، وقد صور أحد الشعراء وهو أبو إسحاق بن معلى الطرسوني[5]، حالهم حين خرجوا في ثياب الزينة والترفه بابيات شعرية قائلاً:

(١) عنان، دولة الاسلام، العصر الثاني، دول الطوائف، ص٢٢٤.

(٢) الذخيرة، القسم الثالث، المجلد الثاني، ص٨٥٥.

(٣) ابن بسام، الذخيرة، القسم الثالث، المجلد الثاني، ص٨٥٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٥٢/٣؛ المقري، نفح الطيب، ٤٤٨/٤؛ الحجاج، جرائم النصارى، ص٧٢.

(٤) ابن بسام، الذخيرة، القسم الثالث، المجلد الثاني، ص٨٥٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٥٢/٣؛ الحجاج، جرائم النصارى، ص٧٢.

(٥) أبو إسحاق بن معلّى الطرسوني: شاعر اشتهر بمدح المقتدر بن هود، وطرسونة بلدة من مدن الثغر، المقري، نفح الطيب، ١٨١/١.

**لبسوا الحديد إلى الوغى ولبستم ... حلل الحرير عليكم ألوانا**

**ما كان أقبحهم وأحسنكم بها ... لو لم يكن ببطرنةٍ ما كانا**[1].

عندئذ هاجمهم القشتاليون بصورة مباغته بعنف وقسوة وأمعنوا فيهم وأسراً وسبياً ومارسوا معهم كل وسائل الوحشية إذ انزلوا السيوف في رقابهم بلاشفقة ولا رحمة وافنوهم عن آخرهم باستثناء عدد قليل ممن نجى من الموت باعجوبة، وقد علقَ ابن بسام[2]، على هذهِ الحادثة قائلاً: ((...فهاج رعاعهم، ونادى بالنفير مهنتهم وصناعهم، حتى بلغني أن مخنثين من مخنثيها تناديا إلى الخروج، وقد حلما بسبي العلوج [3]، فهما يتنازعون المنى، ويقولان نحن أعلم بفعلات القنا... أتاهم من ظهورهم، فحكم السيف في جمهورهم فلم يبق إلا من أحرزه أجله، وخفي على [سهم] المنية مقتله))، كما علق ابن عذاري[4]، عنها قائلاً: ((...فهاج رعاعهم، وتنادى بالنفير مهنتهم وصناعهم، حتى قيل أن مخنثين تناديا إلى الخروج، وقد أيقنا بسبي العلوج، فهما يتنازعان المنى، ويقولان نحن أعلم بفعلات القنى ))[5].

ترى الباحثة أنَّ ابن بسام وابن عذاري إتفقا على وقوع السبي في هذهِ الحادثة وذكروهم بالعلوج، علما أنَّ هذهِ الرواية وردت عند المقري[5]، الذي ذكر بأَنَّ ما وقع في هذهِ الحادثة هو قتل وأسر فقط دون سبي مؤكداً ذلك قوله: ((...فاستدرجهم العدو – لعنهم الله تعالى – ثم عطفوا عليهم فاستأصلوهم بالقتل والأسر، وما نجا منهم إلا من حصنه أجله...))، وعلى اية حال فقد ظفر القشتاليون بغنائم كثيرة واستبحيت المدينة بالكامل ولم ينج منهم الا القليل بما فيهم الأمير عبد

(١) المقري، نفح الطيب، ١٨١/١؛ ٤٤٨/٤.

(٢) الذخيرة، القسم الثالث، المجلد الثاني، ص٨٥٦-٨٥٧.

(٣) العلوج: العلج: هو الرجلُ الشديد الغليظ، وقيل انه كل ذو لحية، وجمعهُ علوج وأعلاج، ومعلوجى، مقصور، ومعلوجاء، وممدود هو أسم للجمع يجري مجرى الصفة عند سيبويه، واستعلج الرجل اي خرجت لحيتهُ وغلظ واشتدَّ وعبُل بدنه وإذا خرج وجهُ الغلام، وقيل قد أستعلج، واستعلج جلد فلان أي غلظ، والعلج هو الرجلُ من كفار العجم، والجمع كالجمع، والأنثى علجة، وقد زاد الجوهري فِي جمعه علجة، كما أن العلج هو الكافر، ويقال للرجل القوي هو الضخم من الكفار. ابن منظور، لسان العرب، ٣٢٦/٢.

(٤) البيان المغرب، ٢٥٢/٣.

(٥) نفح الطيب، ٤٤٨/٤.

الملك [١]، كما وقد اختلفت الروايات في مصير عبد الملك المظفر فيقال أنَّ صهره المامون بن ذي النون[٢]، قد اعتقله في شنت برية[٣] او قلعة اقليش[٤]، او قلعة قونقة [٥].

## ثالثاً: سبي فرديناند الأول لأهالي قلمرية قاعدة الثغر الأدنى سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٤م.

تُعد مدينة قلمرية واحدة من المدن الإسلامية العظيمة في شمال غرب الأندلس، كما تُعد عاصمة الإقليم وتحظى بأهمية كبيرة للديانة المسيحية، قررَ الملك فرديناند الأول إستعادتها بالكامل من قبضة المسلمين وأتخذ هذا القرار بناءً على نصيحة مستشارهِ ششند المستعرب[٦]، الذي أكد على ضرورة استرجاع المدينة وتحريرها من سيطرة المسلمين فتوجه إلى مدينة قلمرية وفرض حصاراً شديداً عليها في سنة ٤٥٦ هـ/١٠٦٤م، وأستمر هذا الحصار لمدة ستة أشهر[٧].

---

(١) ابن بسام، الذخيرة، القسم الثالث، المجلد الثاني، ص٨٥٦-٨٥٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٥٢/٣؛ عنان، دولة الاسلام، العصر الثاني، دول الطوائف، ص٢٢٤.

(٢) المأمون بن ذنون: هو الأمير أبو الحسن يحيى بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن عامر بن مطرف بن موسى بن ذي النون ويعتبر أقدم ملوك الأندلس رئاسة، اطلق عليه لقب المأمون، كان أبوه إسماعيل هو الذي تغلب على طليطلة من قبل واستبد بملكها الفتنة ولا يزال أبو الحسن يملك طليطلة وأعمالها، إلى أن أخرجه عنها الفونسو. المراكشي، المعجب، ص٧٦.

(٣) شنت بريه: هي مدينة متصلة بحوز مدينة سالم بالأندلس، وهي شرقي قرطبة، وهي مدينة كبيرة، كثيرة الخيرات، لها حصون كثيرة نذكر منها ما بلغنا في مواضعها، وفيها شجر الجوز والبندق، وهي الآن بيد الأفرنج، بينها وبين قرطبة ثمانون فرسخا. الحموي، معجم البلدان، ٣٦٦/٣.

(٤) اقليش: مدينة بالأندلس من أعمال شنت بريّة، لها حصن في ثغر الأندلس، وهي قاعدة كور شنتبرية، وهي محدثة بناها الفتح بن موسى بن ذي النون وفيها كانت ثورته وظهوره في سنة ستين ومائة، وهي اليوم للأفرنج، وهي على نهرٍ منبعثٍ من عين عاليةٍ على رأس المدينة، فيعم جميعها، ومنه ماء حمامها؛ ومن العجائب البلاط الأوسط من مسجد جامع أقليش فإن طول كل جائزةٍ من جوائزه مائة شبرٍ وإحدى عشر شبراً، وهي مربعة منحوتة مستوية الأطراف. ينظر، الحموي، معجم البلدان، ص٢٣٧؛ البغدادي، مراصد الأطلاع، ١٠٥/١؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥١.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٦٧/٣، ٣٠٣؛ عنان، دولة الاسلام، العصر الثاني، دول الطوائف، ص٢٢٤؛ اشباخ، تاريخ الأندلس، ٥٣/١.

(٦) ششند المستعرب: هو واحد من الشخصيات البارزة التي ذُكرت في المصادر الإسلامية تم أسره وهو صغير السن خلال غزوة القاضي ابن عباد ضد ابن الأفطس نشأ في بلاط ابن عباد وأعجب به المعتضد، وتم استخدامه في السفارة بين ابن عباد والملك فرديناند الأول بعد ذلك، انضم إلى خدمة الملك فرديناند الأول، الذي قربه بناءً على معرفته باللغة العربية وأحوال المسلمين كان يُعتبر مستشارًا دائم النصح للملك فرديناند وأصبح وزيرًا له يُعتقد أنه كان من مقاطعة بازو في شمال البرتغال. أبن بسام، الذخيرة، القسم الرابع، المجلد الأول، ص١٦٧، ١٦٨.

(٧) عنان، دوله الاسلام، العصر الثالث، دول الطوائف، ص ٨٦؛ البشري، جهود البابوية، ص ٢٥.

تجدر الإشارة إنَّ الملك فرديناند الأول أتبع سياسة قاسية تجاه مدينة قلمرية، إذ قام بتجويع سكانها وإرهاقهم لعله لجأ لذلك ؛ لأنَّه أدرك أنَّ المدينة قوية ومحصنة يصعب أقتحامها وأستعادتها بسهولة، وبناءً على هذهِ القوة ونفاذ مؤن الجيش القشتالي، قررَ التخلي عن فكرة أسترداد قلمرية والعودة من حيث جاء ومع ذلك تدخل الفارس القشتالي المدعو السيد القمبيطور[1]، وأتصل بالرهبان في دير لورفان، حيث قدموا لهُ المساعدة التي ساعدته على أستمرار مهمته وبفضل هذهِ المساعدات، تجددت معنويات جيشهِ وأستمر في حصار المدينة [2].

بدأ الملك فرديناند الأول يفكر باقتحام المدينة وذلك بعد أن نجح جيشه في إختراق أسوار المدينة، لذلك بدأ السكان يفكرون بتسليم المدينة دون قتال، وقد يكون قرار التسليم نابعاً من عدم قدرة سكان قلمرية على مواجهة الجيش القشتالي ورغبة حاكمها راندة [3]، في النجاة بحياته وحياة عائلته لذلك تم إرسال مبعوث بصورة سرية إلى الملك فرديناند يعرض عليه تسليم المدينة مقابل ضمان الأمان والحرية للحاكم وأسرته، وفي هذا السياق، قررَ الحاكم الخروج من المدينة ليلاً وبشكل سري دون علم السكان، ولاحظ أهل المدينة اختفاء أميرهم راندة، ما أدى إلى تدهور الروح المعنوية لديهم وتقلص الأمل في النجاة، وخاصةً مع تفاقم الجوع بين السكان [4].

ذكرت الروايات التاريخية إنَّ سكان المدينة قاوموا حصار الملك فرديناند الأول واستعدوا للقتال فطرح النصارى سؤالًا للمقاومين قائلين لهم: "كيف تقاتلوننا وأميركم عندنا؟" إذ لم يكن أهل قلمرية

(١) السيد القمبيطور: يُعرف بأنه رودريغو دياز بياز، وهو قائد وفارس ومغامر قشتالي كان لديه جيش من المرتزقة الأسبان وقد دخل في خدمة الملك الفونسو السادس، قاتل إلى جانب عدد من ملوك الطوائف مثل سليمان المستعين صاحب سرقسطة وابن عباد صاحب أشبيلية استطاع السيد القمبيطور الاستيلاء على مدينة بلنسية التي كانت تحت حكم القاضي ابن حجاف بعد أن قام أهلها بثورة ضده المقتدر بن هود وأعدموه حكم السيد القمبيطور بلنسية وسطَّح أهلها بعذاب شديد حتى وفاته في سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩ م بعد ذلك، تولت زوجته خيمينيا حكم بلنسية واستعانت بالملك الفونسو السادس، الذي قرر ترك بلنسية والانسحاب منها بعد تدميرها وفي سنة ٤٩٥هـ/١١٠١م، دخل المرابطون بلنسية. ينظر، ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/٣٠٥-٣٠٦؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٢٠٣-٢٠٥.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/ ص٢٣٨-٢٣٩.

(٣) راندة: كان رانده عبداً من عبيد محمد بن عبد الله الأفطس أمير بطليوس ويبدو من اسمه كان من المستعربين. ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/ ٢٣٨-٢٣٩.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/ص٢٣٨-٢٣٩؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثاني، دول الطوائف، ص٨٦.

على علم بهروب أميرهم راندة وانضمامه إلى المعسكر القشتالي وعندما لم يجدوا أميرهم وعلموا بأمره، طلبوا من الملك فرديناند الأول التسليم ومنحهم الأمان ولكن الملك رفض ذلك، لأنه كان يعلم بأنَّ قواتهم قد نفذت، وقام بمواصلة معركتهم حتى دخل المدينة وأستولى عليها بالكامل قام جنوده بأسر العديد من الرجال وسبي الكثير من النساء والأطفال في المدينة(١).

## رابعاً: حملة النورمان على مدينة بربشتر سنة ٤٥٦ هـ/١٠٦٤م.

تُعد حملة النورمان على الأندلس سنة ٤٥٦ هـ/١٠٦٤م، أحد أكبر التهديدات العسكرية التي ألمت بالأندلس في عصر ملوك الطوائف وتحديداً في عهد المقتدر بن هود الذي لم يبادر لأنجاد بربُشْتَرُ ؛ لأنها تقع ضمن أعمال أخيه يوسف المظفر(٢)، الأمر الذي أدرك عواقبه في ما بعد(٣).

كانت غزوة النورمانديين الصليبيين لمدينة بربُشْتَرُ، في سنة ٤٥٦ هـ/١٠٦٤م، ويُعد هذا الحدث كارثة ذات أهمية بالغة حيث تعرضت المدينة التي كانت تابعة لبني هود لإعمال عنف واستباحة على نطاق واسع وقد رأى الناس أَنَّ هذهِ الكارثة تجسدت بشكل فظيع ومروع (٤).

أكَّدت المصادر التاريخية أنَّ أولى الحملات الصليبية النورماندية التي توجهت نحو بلاد الأندلس كان عدد المقاتلين الذين اشتركوا فيها هو عشرة آلاف مقاتل، تولى قيادتها شخص يدعى البيطين(٥).

كذلك أكّدت المصادر الإسلامية أنَّ الحملة الصليبية الأولى تجمعت في ولاية نورماندیا، ومن هناك تحرَّكت نحو قطالونيا وتُقدر عدد أفرادها بحوالي أربعين ألف مقاتل(٦)، توجهت نحو الأراضي

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٣٨/٣-٢٣٩؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٨٤.

(٢) يوسف المظفر: هو يوسف بن سليمان بن محمد بن هود، حسام الدولة، صاحب لاردة، وهو أخو أحمد المقتدر بن هود. ابن بسام، الذخيرة، ٥٣١/٥.

(٣) الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٣٥٩.

(٤) الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٣٥٩.

(٥) اختلفت المصادر حول تسمية هذا القائد، فبعضها تسميه (البيطين) ينظر، ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٧٠، فيما تسميه المصادر الأخرى (البيطبين)، ينظر، ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٢٥/٣، وبعص المصادر تسميه (ألبيطش)، ينظر، الحميري، الروض المعطار، ص٩٠.

(٦) مجهول، الحلل الموشية، ص٧٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٢٤/٣-٢٢٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص٩٠.

الأندلسية وبدأت بمهاجمة مدينة وشقة وتم فرض حصار على المدينة إلا أنَّ قوة المقاومة والمناعة لدى سكانها دفعت القوات المحاصرة للانسحاب في فترة زمنية قصيرة بعد بدء الحصار ؛ نظراً لذلك قررَ قادة الحملة التوجه إلى مدينة بربُشْتَرُ وفرضوا حصاراً على المدينة أستمر أربعين يوماً صمد فيه المسلمون داخل مدينتهم وكانت حامية المدينة تخرج بين حين وآخر وتشتبك مع النورمان بمعارك حامية الوطيس ثم تعود إلى الداخل ؛ وبسبب طول مدة الحصار ونقص المؤن والإمدادات وقع الهرج والفوضى والتنازع بين أهلها ما أدَّى إلى استياء الأوضاع العامة للمسلمين داخل المدينة وعندما علم النورمان بذلك استغلوا هذا الوضع وكثفوا جهودهم لتضييق الخناق على المدينة وبعد قتال عنيف تمكن النورمان من اقتحام أجزاء من المدينة [1]، بقوة عسكرية تقدر بخمسة آلاف مقاتل، وعلى الرغم من صمود المسلمين داخل مدينتهم تمكن المسلمون من قتل خمسمائة من المهاجمين، ولكنَّ الصليبيين نجحوا في الاستيلاء على جزء من المدينة الأمر الذي دفع المسلمين إلى التحصن في قصبة المدينة معولين على الدفاع عن أنفسهم وعن مدينتهم لآخر لحظة [2].

في ظل تلك الظروف المؤثرة فقد وقعت حادثة عجلت بوقوع الكارثة إذ أنَّ القصبة كان يمدها بالماء سرب تحت الأرض متصل بالنهر فقام أحد المتأمرين بمساعدة النورمان في معرفة مكانه فهدموه وألقوا فيه صخرة كبيرة، ما أدّى إلى انقطاع المياه عن السكان المحاصرين وتفاقمتّ حالة العطش وتدهورت حالة السكان نتيجة لذلك، لم يكن لدى المسلمين خيار سوى تقديم عرض الاستسلام، شريطة أنْ يضمنوا سلامتهم وسلامة أبنائهم ويغادروا المدينة دون أي ممتلكات ووافق الصليبيون النورمان على هذا العرض[3].

رغم مقاومة المسلمين الكبيرة إلاَّ أنَّ النورمان نجحوا في أقتحام المدينة وقاموا بتنفيذ أعمال عنف وتدمير شديدة مما أدى إلى قتل عدد كبير من سكان المدينة تقدر بعض التقارير عدد القتلى والأسرى بحوالي أربعين ألفاً، أو خمسين ألفاً [4]، بينما تشير رواية أخرى إلى أَنَّ العدد قد يصل إلى

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٢٤/٣؛ المقري، نفح الطيب، ٤٤٩/٤؛ عنان، دولة الأسلام، العصر الثاني، دول الطوائف، ص٢٧٥.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/ ٢٢٤؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثاني، دول الطوائف، ص٢٧٥.

(٣) أبن بسام، الذخيرة، القسم الثالث، المجلد الأول، ص١٨٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٢٥/٣.

(٤) مجهول، الحلل الموشية، ص٧٦؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثاني، دول الطوائف، ص٢٧٦؛ الحجاج، جرائم النصارى، ص٧٢.

مائة ألف[١]، وهلك عدد كبير من النساء حينما تزاحمْنَ على الماء لإرواء عطشهم، وفي محاولة لاستعادة النظام وتهدئة الأوضاع، قررَ قائد الحملة منح المدينة الأمان ومع ذلك تراجع عن هذا القرار بناءً على عدد السكان الكبير في المدينة وخاف من أنَّ تأخذهم الحمية فأمر جنوده بتقليل عدد السكان، وأنزل السيوف في رقابهم وتم قتل ما ينيف عن ستة آلاف منهم ومات من شدة الزحام الكثير من الشيوخ والاطفال وأمتنع ما يقارب سبعمائة رجل داخل القصبة وماتوا من شدة العطش ولم يكنْ ذلك أبشع ما نزل بالمسلمين بل كانت الكثير من الفظائع والكوارث بأنتظارهم إذ قام النورمان بنهب المدينة وارتكاب أعمال عنف فظيعة، بما في ذلك احتلال المنازل وقتل الأفراد وهتك الأعراض[٢].

لم يكن السبي بعيداً عن سياسة النورمان الجائرة فقد أخذوا عدداً كبيراً من السبايا [٣]، وقد أختلف المؤرخون حول عدد ابكار الجواري اللاتي أُهديْنَ إلى صاحب القسطنطينية فقد أشار البكري[٤]، إنَّ خمسة الاف جارية أُهدين إلى ملك القسطنطينية وقد وافقهُ الحميري[٥]، في هذهِ الرواية قائلاً: ((أنهم أختاروا من أبكار الجواري المسلمين وأهل الحسن خمسة الاف جارية وأهدوهنَّ إلى صاحب القسطنطينية)) فيما خالفهم ابن عذاري[٦]، وروى أنَّ عدد أبكار الجواري هو سبعة الاف جارية.

**وترجح الباحثة الرأي الأول لسببين:**

أولهما: نلاحظ أنَّ ابن عذاري أنفرد برأيه ولم يتفق مع ما جاء بهِ المؤرخون إذ إنَّ هذهِ الرواية وردت عند كل من البكري والحميري وهو رأي الأغلبية مما يجعلنا نستبعد رأي ابن عذراي.

(١) أبن بسام، الذخيرة، القسم الثالث، المجلد الأول، ص١٨٢؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثاني، دول الطوائف، ص٢٧٦.

(٢) أبن بسام، الذخيرة، القسم الثالث، المجلد الأول، ص١٨٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٢٦/٣؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثاني، دول الطوائف، ص٢٧٦.

(٣) حتاملة، الاعتداءات الإفرنجية، ص١٤-١٥.

(٤) المسالك والممالك (تحقيق أدريان)، ص٩١٠

(٥) الروض المعطار، ص ٩٠.

(٦) البيان المغرب، ٢٥٣/٣.

ثانيهما: إنَّ عدد سكان المدينة كان قليلاً وهذا ما أشار له الحميري[1]، قائلاً: ((وقد غزاها على غرة وقلة عدد من أهلها وعد أهل غاليس والروذمانون)) مما يفهم منه أنَّ عدد سكان المدينة كان قليلاً بالنسبة لعدد القوات الصليبية الأمر الذي يجعلنا نستبعد الرأي الثاني.

ترى الباحثة أنَّ هذا الاختلاف في تحديد عدد الجواري اللاتي أُهديْنَ إلى ملك القسطنطينية لعلهُ ؛ يعود لتدوين أحداث هذهِ الحملة الصليبية من قِبل مؤرخي الغرب الذين دأبوا على تعظيم انتصاراتهم واحتفاء عنصر المبالغة فيه، كذلك لا نستبعد أنْ يكون كل من البكري وابن عذاري والحميري قد استقوا معلوماتهم حول هذهِ الحملة من مصادر لاتينية بان عليها عنصر المبالغة.

مهما يكن من أمر فأنَّ جريمة قوات الحملة الصليبية كانت من أبشع الجرائم التي يندى لها جبين الانسانية تلك الجرائم الفظيعة المجردة من الانسانية تماماً التي انزلها النورمان بالمسلمين ما بين القتل بالسيف والقتل بالضمأ، كذلك فأنَّ عمليات الأسر والسبي وغيرها من الجرائم الوحشية التي أُرتكبت في بلاد شبه الجزيرة الأيبيرية كانت سائدة ومعبرة عن الصراع الإسلامي النصراني، وقد علق عنان قائلاً: ((...، وربما كان في تلك الأرقام – أرقام القتلى والأسرى والسبايا – مبالغة ولكنها تدل على أي حال مع ما أقترنَ بها من الأعمال الوحشية المروعة التي وصفها لنا المؤرخ المعاصر، على فداحة الخطب الذي نزل بأهل برِبُشْتَرُ، وعلى مبلغ تجرد أولئك الغزاة النورمان من أبسط الصفات الإنسانية))[2].

بعد هذهِ الأحداث الماساوية فقد أستبيحت المدينة بالكامل وعاد سكانها الجُدد إلى بلادهم حيث تركوا قوة عسكرية قوامها ألف وخمسمائة فارس وألفين من المشاة، وفقاً للتقديرات وتُشير بعض الروايات إلى أنهم تركوا ألف فارس وأربعة آلاف راجل[3]، ولقد أحدثت هذهِ الأحداث تأثيراً كبيراً على النصارى في إسبانيا، حيث أدت إلى رد فعل كبير خاصة في مناطق غالة ولقد أدهشت الثروات التي حصل عليها الفرنج من النهب والغنائم التي أخذوها معهم، وأنتشرت سمعتهم في غالة بأكملها على الرغم من أن مدينة برِبُشْتَرُ لم تكن تتفوق على المدن الإسلامية الأخرى من حيث الأهمية والثراء

(١) الروض المعطار، ص ٩٠.

(٢) دولة الإسلام، العصر الثاني، دول الطوائف، ص٢٧٧؛ الحجاج، جرائم النصارى، ص٧٣.

(٣) أبن بسام، الذخيرة، القسم الثالث، المجلد الأول، ص١٨٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/٢٢٦-٢٢٧.

إلا أنَّ النصارى تعالت لديهم روح المغامرة والبحث عن الثروة وبالتالي توجهت غزواتهم نحو شبه الجزيرة الأيبيرية لمحاربة المسلمين وأستيلاء ما يمكن الأستيلاء عليه من الغنائم والثروات، ما أدى إلى توافد أعداد كبيرة من المتطوعين الفرنج للانضمام إلى جيوش النورمان ودعمهم في أستعادة المدن الأندلسية وطرد المسلمين من شبه الجزيرة الأيبيرية باكملها(١).

كان لهذهِ النكبة دور كبير في تأجيج مشاعر الفقيه الزاهد ابن العسال(٢)، فجسد تلك الحادثة في إحدى قصائده بأبيات شعرية تجسيداً من النوع المألوف المكرر في ذكر ضروب الفواجع التي نزلت بالناس حيث قال:

**ولقد رمانا المشركون باسهم ... لم تخط لكن شانها الاصماء**
**هتكوا بخيلهم قصور حريمها ... لم يبق لا جبل ولا بطحاء**
**جاسوا خلال ديارهم فلهم بها ... في كل يوم غارة شعواء**
**باتت قلوب المسلمين برعبهم ... فحماتُنا في حربهم جبناء**
**كم موضع غنموه لم يرحم به ... طفل ولا شيخ ولا عذراء.**

ثم زاد عليهم الحميري وجسد الحادثة بصورة شعرية أكثر وضوحاً واقرب للحقيقة إذ قال:

**ولكم رضيع فرقوا من أمه ... فله إليها ضجة وبغاء**
**ولرب مولودٍ أبوه مجدل ... فوق التراب وفرشه البيداء**
**ومصونةٍ في خدرها محجوبةٍ ... قد أبرزوها ما لها استخفاء**
**وعزيز قومٍ صار في أيديهم ... فعليه بعد العزة استخذاء**
**لولا ذنوب المسلمين وأنهم ... ركبوا الكبائر ما لهن خفاء**
**ما كان ينصر للنصارى فارس ... أبداً عليهم فالذنوب الداء**
**فشرارهم لا يختفون بشرهم ... وصلاح منتحلى الصلاح رياء**

(١) ابن العسال: وهو عبد الله بن فَرَج بن غزلون اليحصبي الطليطلي ابن العسّال، المعروف بأبو محمد، وكان متقِنًا فصيحًا مفوها، حافظًا للحديث، خبيراً بالنحو واللغة والتّفسير، وكان شاعراً ملفقاً، وله مجلسٌ حفل، توفي سنة ٤٨٧ هـ. ينظر، الذهبي، تاريخ الإسلام، ٥٧٩/١٠؛ ابن الخطيب، الأحاطة، ٥٨٣/٤.

(٢) النشار، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، ص٢٧.

في ظل تلك المؤشرات لابد لنا أنْ نبين موقف المسلمين من سقوط مدينتهم بيد النصارى إذ إنَّ سقوط بربشتر كان له تأثير كبير وعميق على المسلمين في الأندلس ؛ لذلك ظهرت تيارات دينية بمثابة ردة فعل على هذا الحدث الكبير حيث دُعيَّ للجهاد في البلاد الأندلسية للتصدي للنصارى وقد تأثر حكام الأندلس لهذا الحادث الأليم لاسيما المقتدر بن هود الذي كان مسؤولًا عن الدفاع عن المدينة ومع ذلك كان يواجه تحديات ومخاطر عدة بما في ذلك تهديده من الممالك النصرانية الثلاثة، وهي أراغون ونافار وقشتالة، التي كانت تستهدفه بغزواتها المتكررة وتهديدها للأندلس بشكل عام [1].

أستنجد المقتدر بن هود بحكام الطوائف في الأندلس لمساعدته في مواجهة النصارى واستعادة بربُشْتَرُ فقدم حليفه المعتمد بن عباد خمسمائة فارس، وأكتمل العدد ليصل إلى ستة آلاف فارس[2]، ثم توجه المقتدر بن هود وقواته وقوات الإمداد المختلفة إلى مدينة بربشتر في جمادي الاولى سنة ٤٥٧هـ/ ١٠٦٥م، بهدف طرد النصارى وأعادة بربشتر لسيطرة المسلمين فقاموا بفرض حصار شديد على المدينة، وأمتنع النصارى داخلها وأنصدموا بكثرة أعداد المسلمين قررَ المقتدر بن هود إتخاذ إجراء جريء لأقتحام المدينة فأمر بثقب سور المدينة وأوعز للرماة بأنشاء ثغرة كبيرة في السور ثم قاموا بالاقتحام بإستخدام كامل قوتهم وقعت معركة ضارية بين الجانبين، وتعرض النصارى للهزيمة، وتقدر الرواية الإسلامية أنَّ عدد من قتل ألف فارس وخمسة آلاف راجل منهم كما أُسر الكثير من رجالهم وسبي نسائهم وأطفالهم في حين لم يقتل من المسلمين سوى خمسين رجلاً، وقيل إنَّ المسلمين حملوا معهم من سبايا النصارى إلى سرقسطة ما يقدر بخمسة آلاف سبية وألف فرس وغيرها من العدة والأموال والأسلحة وهكذا تم استعادة بربُشْتَرُ وعودتها إلى حظيرة الإسلام بعد أنْ أحتلها النصارى تسعة أشهر واحتفل المقتدر بن هود بهذا الانتصار وأطلق عليه لقب "المقتدر بالله"[3].

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/٢٢٧؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص١٧١.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/ ٢٢٧؛ عنان، دولة الإسلام، دول الطوائف، العصر الثاني، ص٢٧٩.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/٢٢٧-٢٢٨؛ المقري، نفح الطيب، ٤/٤٥٤؛ عنان، دولة الإسلام، دول الطوائف، العصر الثاني، ص٢٧٩؛ الحجاج، جرائم النصارى، ص٧٤.

## خامساً: حملة حصن الليط[1] سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م.

في سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م، أعد الملك الفونسو السادس قواته ونظم صفوفه استعداداً لغزو أراضي مملكة إشبيلية [٢]، في الوقت نفسه، توجهت قوة أخرى من القشتاليين ؛ لتقديم الدعم، وكانوا مرافقين بفرسان من حصن الليط، تسببت هذهِ القوة الفرعية في تفشي الفساد في أراضي مرسية، مما أثار القلق لدى المعتمد ابن عباد وتهديد حدود مملكة إشبيلية من الجانب الشرقي واستجاب الملك الفونسو السادس لهذا الوضع، وقام بإرسال قوات نصرانية بقيادة غرسيه خمنيس الذي قام بأقامة حصن قوي ومحصن بين مدينتي لورقة [٣]، ومرسية تم تجهيز الحصن بشكل جيد وتعزيزه بالمقاتلين والأسلحة، حيث بلغ عددهم ألف مقاتل كانت مهمتهم الرئيسية الهجوم على تلك المناطق المعروفة بأسم حصن الليط[٤].

واجهت القوات الإسلامية هجمات فرسان الحصن ولكنها فشلت في ذلك ؛ بسبب تجاوزاتهم المستمرة على المسلمين، حيث ارتكبوا أعمالاً عنيفة بحقهم، بما في ذلك القتل والأسر والسبي ولذلك، قررَ المسلمون أنْ يستعينوا بيوسف ابن تاشفين، وطلبوا منه مساعدتهم في صد القوات الصليبية وقد تم ذلك في سنة ٤٧٩ هـ/١٠٨٦م[٥]، إلا أنَّ جميع المحاولات لأنقاذ الحصن فشلت في تخليصه من براثن قوات الفونسو السادس، رغم توحيد الجهود العسكرية التي بذلها كل من المعتمد بن عباد ويوسف بن تاشفين لذلك استمرت سيطرة النصارى الأسبانية على حصن الليط سيطرة تامة سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٦م.

---

(١) حصن الليط: هو حصن يقع بين لورقة ومرسية، وكان يوسف بن تاشفين يخطط للمرة الثانية للمسير نحو طليطلة، ولكن الحصن كان يقع في طريقه قام الملك الفونسو السادس، ملك قشتالة وليون، بتعزيز الحصن وحصنه بقوة تتألف من ألف فارس واثني عشر ألف مقاتل أراد يوسف بن تاشفين هجومه والاستيلاء على الحصن، ودعا ملوك الطوائف لمساندته والوقوف إلى جانبه هاجم المرابطون الحصن وتمكنوا من الاستيلاء عليه في سنة ٤٨٣-٤٨٤هـ. ابن الابار، الحلة السيراء، ٨٦/٢ هامش رقم (١).

(٢) مجهول، الحلل الموشية، ص٤٧-٤٨؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص١٥٢.

(٣) لُورَقَةُ: مدينة بالأندلس من أعمال تدمير وبها حصن ومعقل محكم وأرضها جرز وهي إحدى المعاقل السبعة التي عاهد عليها تدمير، وهي كثيرة الزروع والضرع والخمر، هي أكرم بقاع الأندلس وهي على ظهر جبل، وبها أسواق وربض في أسفل المدينة وعلى الربض سور، وفي الربض السوق، وبها معدن تربة صفراء ومعادن مغرة تحمل إلى كثير من الأقطار، وبينها وبين مرسية أربعون ميلاً وفيها معدن لازورد. ينظر، الحموي، معجم البلدان، ٢٥/٥-٢٦؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٥٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥١٢.

(٤) ابن الابار، الحلة السيراء، ٨٦/٢؛ مجهول، الحلل الموشية، ص٦٩.

(٥) المراكشي، المعجب، ص١١٧؛ مجهول، الحلل الموشية، ص٦٧.

ترتب عن هـذهِ الحـملة جـملة مـن النتائج أولها أن معـركة حصن الليط وضعت حـداً للغارات القـادمة مـن هـذا الحصن عـلى جنـوب شرقي الأنـدلس، ثانيها فـأنها سـاعـدت المعتمـد عـلى إستعادة سـيطرتـه عـلى مـدينـة مـرسـية الأمر الذي ساعده فـي استعادة الحصن، ثالثها بـينـت هـذهِ المعـركة أن ملوك الطوائف عاجزيـن عن الوقـوف جبهة واحـدة لمقـاومة النصـارى. وقـد لاحظ يوسف بن تاشفـيـن هـذا الامـر، فضلاً عن أنَّ هـذهِ المعـركة كانت بمثابة فـاصل بيـن وضعيـن مختلفـيـن إذ تمكنت مـن إنهاء فكـرة الجبهة المتحـدة وأذنت ببدء عهـد جديد ومهـدت السـبيل لتـوحيد المغرب والأنـدلس وعاد يوسف بن تاشفـيـن إلى المغرب فـي سـنة ٤٨٢هـ/١٠٨٩م ؛ وذلك بـعـد أنّ عـرف طبـيعة ملوك الطوائف وتغيرت نفسه عـليهم[١].

(١) طقوش، تاريخ المسلمين، ص٤٩٧.

# الـفصل الثالث

## السبـي فـي بـلاد الأنـدلـس فـي عـهد المرابطين والموحـدين

## (٤٨٤-٦٠٩هـ/١٠٩١-١٢١٢م)

المبحث الاول: سبي المسلمين للنصارى الاسبان في الاندلس

المبحث الثاني: سبي النصارى للمسلين في بلاد الاندلس

## المبحث الاول

## سبي المسلمين للنصارى الأسبان في بلاد الأندلس

### أولاً: حملة المرابطين على أراضي الأندلس في سنة ٥٠٧هـ/١١١٤م.

أنطلق الأمير عبد الله بن مزدلي[١]، في حملة عسكرية قصد بها بلاد الأندلس سنة ٥٠٧هـ/١١١٤م، وكان أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين(٥٠٠-٥٣٧هـ/١١٠٦-١١٤٣م)[٢]، قد أسند إليه ولاية قرطبة وغرناطة منذ سنة ٥٠٥هـ/١١١٢م، وولى أخاه أبو طاهر تميم[٣]، والي غرناطة ولاية تلمسان بالمغرب، فعبر البحر إلى الأندلس في اتجاه مدينة إشبيلية، حيث استمد الأمير سير ابن أبي بكر اللمتوني، فأمده بقوة عسكرية كبيرة من المرابطين، وانضم إليهم جيش قرطبة وغرناطة، إضافةً إلى مقاتلين من أهل العدوة، والمطوعة، راجلين وفرساناً، فعظم الجيش بقيادة الأمير مزدلي، واتجه نحو أراضي طليطلة، فاجتاح اوديتها وأحدث دماراً كبيراً فيها [٤]، ثم تمكن من الاستيلاء على حصن ارهينة، وقيل ارجنة او اربلة [٥]، وفتحه عنوة وقتل حاميته وسبى جميع النساء والأطفال، فوصلت أنباء هذهِ الغزوة

(١) عبد الله بن مزدلي: محمد بن ملكتان بن نيلكان ترجوت، كان قائداً عسكرياً بارزاً في الدولة المرابطية، تقلد مناصب قيادية رفيعة المستوى في عدة مناطق أندلسية مهمة، منها ولاية كل من غرناطة وقرطبة والمرية، شارك في العديد من المعارك ضد الجيوش النصرانية التي كانت تتقدم باتجاه المناطق الخاضعة للسيطرة المرابطية واستشهد في إحدى تلك المعارك سنة ٥١٢ هـ/ ١١١٨ م. ينظر، ابن عذاري، البيان المغرب، ٤/٦٠-٦١؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص١٦٢-١٦٣.

(٢) علي بن يوسف بن تاشفين: الأمير علي بن يوسف بن تاشفين بن ابراهيم بن ترقوت بن وارتقطين بن منصور بن مصالة بن أمية بن وارتملى بن تمليت الصنهاجي، ويكنى بأبو الحسن، وامه ام ولد رومية اسمها قمر وتكنى ام الحسن، ولد علي في مدينة سبتة سنة اربعمائة وسبع وسبعين، بويع له يوم وفاة والده بمراكش بعهد ابيه له، وسُميَّ بأمير المسلمين وذلك في محرم سنة خمسمائة. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص١٥٧.

(٣) أبو الطاهر تميم: أحد القادة العسكريين البارزين في دولة المرابطين، وهو أحد أبناء الأمير يوسف بن تاشفين، تبوأ تميم مراكز قيادية بارزة ضمن الجهاز العسكري للمرابطين، عيّنه علي بن يوسف بن تاشفين، والياً على مدينة غرناطة بالأندلس، كما أسند إليه قيادة جيش المرابطين في معركة اقليش كما انه حارب ضد قوات الموحدين. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص١٣٨.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب ( تحقيق بشار عواد ومحمود بشار)، ٣/٤٧-٤٨؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص١٦٢؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص٧١.

(٥) حول هذا الاختلاف ينظر، ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص١٦٢؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص٧١.

إلى القائد البارهانس الذي كان حينها في مدينة قونقة [1]، فهرع لمدافعتهم في قوة عسكرية قُدرت بعشرة الاف فارس، فوقعت بين الطرفين معركة كبيرة تحت أسوار المدينة المحاصرة، تكبد فيها الطرفان خسائر فادحة بعدها رجعت القوات المرابطية إلى مدينة قرطبة ظافرين غانمين بعد أن قتلوا وسبوا أعداد كبيرة من القشتاليين [2].

## ثانياً: حملة المرابطين على أراضي برشلونة سنة ٥٠٨ هـ/ ١١١٤ م.

تذكر الروايات التاريخية أنَّ الملك الفونسو الأول، ملك أراغون والملقب المحارب (٤٩٨-٥٢٩هـ/١١٠٤-١١٣٤م)[3]، شنَّ حملة عسكرية باتجاه مدينة سرقسطة وذلك في سنة ٥٠٤ هـ/١١١١ م، وتشير المصادر التاريخية إلى أنَّهُ تقدم بقواته حتى أصبح قريباً جداً من المدينة في المقابل، خرج محمد بن الحاج[4]، بجيشه للدفاع عن المدينة ضد الهجوم الأراغوني إضافةً إلى ذلك سارعت القوات المرابطية من مدينة مرسية بالقدوم لتعزيز الدفاع عن سرقسطة على رأس هذهِ القوات المرابطية القادمة من مرسية كان القائد محمد بن عائشة[5]، والي المدينة وبعد أنْ رأى الفونسو الأول ملك أراغون تفوق القوات المرابطية، تراجع وانسحب، فدخل محمد بن الحاج سرقسطة واخرج عنها بني هود وملكها، ثم كتب إلى

(١) قونقة: وهي مدينة في الأندلس، وهي من حصون ولاية بلنسية الأمامية المنيعة، تقع على تل شاهق وصعب المنال في شمال شرق الأندلس، عند التقاء نهري شقر ووقر. عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص٩٦.

(٢) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص١٦٢؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص٧١.

(٣) وتسميه بعض المصادر والمراجع العربية (ابن ردمير او ابن رذمير). ينظر، ابن عذاري، البيان المغرب (تحقيق بشار عواد ومحمود بشار)، ٣/ ٤٥؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص٧٤.

(٤) محمد ابن الحاج: عبد الرحمن بن جَعفر بن إِبراهيم أَبُو محمد بن الحاج اللورقي، وَهو أول من ثار بمرسية بعد انْقِرَاض الدولة اللمتونية، قدّمه أهل مرسية فدعا لِابن حمدين اياما من شَهْري رَمَضَان وشوال سنة تسع وَثلاثِينَ وَخَمْسمِائة وَهِي السّنة التِي كثر فِيهَا الثوار بشرق الأندلس وغربها من القضَاة وَغَيرهم. ابن الابار، الحلة السيراء، ٢/٢٢٧.

(٥) محمد ابن عائشة: محمد بن يوسف بن تاشفين، المعروف بلقب ابن عائشة، كان من كبار قادة المرابطين في الأندلس تولى مناصب عسكرية بارزة في عهد والده وأسهم بشكل كبير في الدفاع عن الأراضي الإسلامية في شبه الجزيرة الإيبيرية، عينه والده يوسف بن تاشفين قائداً على شرق الأندلس بعد أن تسبب السيد القمبيطور في إلحاق الضرر بتلك المناطق وفي عهد أخيه علي بن يوسف، قام ابن عائشة بعمليات عسكرية واسعة النطاق ضد القوات النصرانية وتمكن من الاستيلاء على مدينة مرسية بعد هزيمة ساحقة للقوات النصرانية في معركة ضارية. مكي، وثائق تاريخية، ص١٥٢-١٥٥.

الأمير علي بن تاشفين، يبشره بالفتح، بعد ذلك تابعت القوات المرابطية ملاحقة الفونسو الاول لفترة واستمرت غزوات المرابطين المدمرة لأراضي الفونسو، وقاد علي بن كنفاط اللمتوني[1]، قوة من المرابطين لحصار قلعة أيوب [2]، وبعض حصون عبد الملك بن هود[3]، فلجأ عبد الملك إلى حليفه الفونسو طالباً المساعدة العسكرية فاستجاب له ملك أراغون وذلك بتقديم تعزيزات نصرانية لمساندة قوات عبد الملك وبفضل هذهِ المساعدة، تمكن عبد الملك من هزيمة قوات المرابطين بقيادة علي بن كنفاط اللمتوني، وتم أسر قائدهم، وظل ابن كنفاط في أسر عبد الملك بن هود لفترة حتى تم الإفراج عنه لاحقاً [4].

كان لتصاعد موجة الغزو المرابطي لأراضي قشتالة أثراً في تشجيع المرابطين على غزو أراضي برشلونة أيضاً في صفر سنة ٥٠٨ هـ/يوليو ١١١٤ م، قاد هذا الغزو القائد ابن الحاج على رأس قواته المرابطية، والتقى في مدينة لاردة بالقائد محمد بن عائشة وقواته وتوجهت القوات المرابطية المجتمعة شرقاً، عابرةً أراضي برشلونة خلال هذا الغزو، ألحقت القوات المرابطية خسائر فادحة باراضي برشلونة، وأستولت على كميات هائلة من السبايا والغنائم، واستمر تقدم القوات المرابطية حتى ظاهر المدينة، وعند وصول قوات ابن الحاج إلى أطراف برشلونة، أمر بإرسال جزء من قواته ومعهم الغنائم والسبي المستولى عليهم للعودة كمحاولة منه للحفاظ على ما تم تحقيقه من نصر كبير، بعد ذلك توجه ابن الحاج وبصحبته قوات كبيرة نحو الغرب ؛ لانَّ هذا الطريق يعد أقصر وأقرب إلى سرقسطة ولكن أثناء سير هذهِ القوات في هذا الطريق البري، تفاجأ بقوات نصرانية كثيفة متأهبة في كمائنها، فوقع الأشتباك بين الطرفين

(١) علي بن كنفاط اللمتوني: لم أعثر على ترجمة له في كتب التراجم.

(٢) قلعة أيوب: مدينة عظيمة جليلة القدر بالأندلس بالثغر تقع بقرب مدينة سالم، من أعمال سرقسطة، بقعتها كثيرة الأشجار والأنهار والمزارع وحصينة شديدة المنعة كثيرة الخصب رخيصة الأسعار ولها عدة حصون وبالقرب منها مدينة لبلة، وهي مدينة رائعة البقعة، وبها يصنع الغضار المذهب ويتجهز به إلى كل الجهات، وتقع بالقرب من مدينة دروقة، بينهما ثمانية عشر ميلاً. ينظر، الحموي، معجم البلدان، ٣٩٠/٤؛ البغدادي، مراصد الأطلاع، ١١١٧/٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٦٩.

(٣) عبد الملك بن هود: عبد الملك بن أحمد بن يوسف بن أحمد، عماد الدولة الجذامي او الجنامي ابو مروان، من بني هود، وهو أحد أمراء الدولة الهودية في سرقسطة بالأندلس، واحد ملوك الاندلس في حدود الخمسمائة، وليها بعد وفاة أبيه سنة ٥٠٣ هـ، واستمر بهامدة، ثم تغلب عليه ألفونسو ملك أراغون سنة ٥٠٣ هـ فاعتصم بحصن اسمه روطة وأقام فيه إلى أن مات. ينظر، ابن الابار، الحلة السيراء، ٢٤٨/٢؛ الذهبي، سير أعلام، ٥١٦/١٤، ٤٤٥؛ الزركلي، الاعلام، ١٥٦/٤.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب (تحقيق بشار عواد ومحمود بشار)، ٣/ ص٤٥-٤٦؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص١٦٠-١٦١؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص٧٤.

وقاتل ابن الحاج وقواته قتالاً مستميتاً، فاستشهد عدد منهم وكان ابن الحاج على رأس من أستشهد في حين نجا ابن عائشة مع عدد قليله من اصحابة [1].

مهما يكن من أمرٍ عندما وصلت أنباء ما حدث للقائد محمد بن عائشة إلى مسامع علي بن يوسف بن تاشفين، أصابه ذلك بالذهول وبادر علي بن يوسف بتعيين صهره الأمير أبي بكر بن إبراهيم بن تافلويت[2]، والي مرسية، كذلك والياً على بلنسية وطرطوشة[3]، وسرقسطة، وأمره بشن حملة عسكرية ضد الممالك النصرانية قام أبو بكر بن إبراهيم بتجميع قواته والتوجه شمالاً نحو برشلونة وبعد أنْ وصل إليها، شنَّ عليها هجوماً عنيفاً متسماً بالحرق والتخريب والتدمير والسبي، وفرض عليها حصاراً دام عشرين يوماً حتى استطاع اقتحامها، ولكن سرعان ما تقدم أمير برشلونة رامون برنجير في رأس قوات كبيرة من مقاتلي لييط وبرشلونة وأربونة لمواجهة أبي بكر بن إبراهيم ودارت بين الطرفين معركة كبيرة راح ضحيتها أعداد كبيرة من النصارى، بينما قتل من المسلمين ما يقرب من سبعمائة مقاتل، وبعد هذهِ المعركة الدامية انسحب المرابطون إلى أراضيهم[4].

---

(١) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص١٦١؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص٧٥.

(٢) أبي بكر بن ابراهيم بن تافلويت: هو أبي بكر بن إِبْرَاهِيم المسّوفي الصحراوي، الْمَعْرُوف بِابْن تافلويت او تيفلويت وَالِي سرقسطة، ويعد من أمراء المرابطين، وهو صهر علي بن يوسف بن تاشفين، زوج أخته، وأبو ولده منها يحيى، المشهور بالكرم، كان مثلا في الكرم، وآية في الجود، أنسى أجواد الإسلام والجاهلية إلى الغاية، وكان مثلا في الحياء والشجاعة والتّبريز في ميدان الفضائل، استوزر الوزير الحكيم الشهير أبا بكر بن الصائغ واختصّه فتجمّلت دولته ونبه قدره. وأخباره معه شهيرة. ينظر، ابن الأبار، الحلة السيراء، ٢/٢٧٦؛ ابن الخطيب، الأحاطة، ١/٢١٨؛ المقري، نفح الطيب، ٧/٧.

(٣) طرطوشة: مدينة بالأندلس تتصل بكورة بلنسية من شرقيها، قريبة من البحر، وهي آخر ثغر الأندلس في الشرق محادة للإفرنجيين، متقنة العمارة مبنية على نهر ابره ولها ولاية واسعة وبلاد كثيرة، ومن بلنسية إلى طرطوشة مائة ميل وعشرة أميال، مسيرة أربعة أيام، وهي في سفح جبل، ولها سور حصين، واستولى الأفرنج عليها في سنة ٥٤٣هـ وكذلك على جميع حصونها. ينظر، اليعقوبي، البلدان، ص١٩٥؛ الحموي، معجم البلدان، ٤/٣٠؛ البغدادي، مراصد الأطلاع، ٢/٨٨٤؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٩١.

(٤) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص١٦١؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص٧٥.

## ثالثاً: حملة الأمير تاشفين بن علي[١] على مدينة أشكونِيَة[٢] سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م.

قامَ الأمير تاشفين بن علي بحملة عسكرية على مدينة أشكونِيَة سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م، والتي أسفرت عن الاستيلاء على المدينة بالقوة وبعد ذلك، قام الأمير تاشفين بإرتكاب مجازر ضد سكان المدينة، إذ قتل جميع من كان فيها وسبى نساءها، كما ذكرت الرواية التاريخية إنَّ الأمير تاشفين إستولى على الغنائم والإسلاب الموجودة في المدينة، والتي شملت عدداً من النواقيس الكبيرة، بعد ذلك أنتقل الأمير تاشفين إلى مدينة قرطبة وهو حامل لهذهِ الغنائم وكان هذا الحدث مشهوداً على نطاق واسع، وعند عبوره إلى العدوة في نفس السنة، كان الأمير تاشفين قد حمل معه ستة آلاف سبية من هذهِ الغزوة وعندما وصل إلى مراكش، استقبله والده علي بن تاشفين، أمير المسلمين بترحيب وفخامة[٣].

## رابعاً: حملة الموحدين [٤] على أراضي قشتالة في سنة ٥٧٢هـ/١١٧٧م.

تذكر الروايات التاريخية إنَّ الخليفة أبو يعقوب يوسف بن تاشفين بن عبد المؤمن (٥٥٩-٥٨٠هـ/١١٦٣-١١٨٤م)[٥]، خلال إقامته في مدينة أشبيلية نجح في سنة

---

(١) تاشفين بن علي: أمير المسلمين تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين الصنهاجي اللمتوني، يكنى بأبي المعز، وقيل ابي عمرو، امه ام ولد رومية واسمها ضوء الصباح، وهو من امراء دولة الملثمين،كان شجاعا بطلا، تولى الحكم بعد وفاة ابيه وذلك في الثامن من رجب سنة خمسمائة وسبع وثلاثين. ينظر، ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص١٦٥؛ الزركلي، الأعلام، ٨٢/٢.

(٢) أشكونِيَة: هي من نواحي الروم بالثغر، وقد غزاها سيف الدولة بن حمدان. ينظر، الحموي، معجم البلدان، ١/ ١٩٩؛ البغدادي، مراصد الأطلاع، ٨٣/١.

(٣) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص١٦٤؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص١٤٢.

(٤) الموحدين: يرجع أصل الموحدين الى القبائل البربرية التي حكمت المغرب، وينتمي الموحدين الى قبيلة هرغة ومصمودة وهنتاتة وكومية، وقد نشأت الدولة الموحدية على أسس دينية على يد فقيه وداعية ومتعصب يدعى المهدي محمد بن تومرت، اما المؤسس الحقيقي للدولة الموحدية فهو عبد المؤمن بن علي الذي خلف المهدي فأستكمل فتوحها ووطد دعائمها في المغرب والأندلس. عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص٣،٢٦.

(٥) يوسف بن عبد المؤمن: أبو يعقوب يوسف بن أبي محمد عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي صاحب المغرب، وكان يوسف فقيهاً حافظاً متقناً لأن أباه هذبه، وهو أكمل رجال الحرب والمعارف، فنشأ وفي قراءة العلم بين أفاضل العلماء وكان ميله إلى الحكمة والفلسفة أكثر، وقد توفي سنة ٥٨٠ هـ. ينظر، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١٣٠/٧؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٦٤٦/١٢.

٥٦٨هـ/١١٧٣م، في إبرام اتفاقيات صلح وسلام مع عدد من الحكام النصارى البارزين في شبه الجزيرة الإيبيرية، هؤلاء الحكام هم: الكونت نونيو دي لارا (القمط نونة)[١]، صاحب مدينة طليطلة، الملك الفونسو الثامن (٥٥٣-٦١١هـ/١١٥٨-١٢١٤م)[٢]،، ملك قشتالة، والملك الفونسو هنريكيز (٥٢٢-٥٥٣هـ/١١٢٨-١١٥٨م)[٣]، ملك البرتغال، غير أنه بمجرد عودة الخليفة أبي يعقوب إلى المغرب في شعبان من سنة ٥٧١هـ/١١٧٦م، انتهك النصارى هذهِ الاتفاقيات الموقعة، واستأنفوا هجماتهم وغزواتهم على الأراضي الخاضعة للسيطرة الإسلامية في شبه الجزيرة الإيبيرية[٤].

من الرؤى الداعة لذلك ما وقع في سنة ٥٧٢ هـ/١١٧٧ م، إذ شهدت مدينة مراكش في المغرب تفشي وباء كبير، وفي نفس السنة، قام الملك الفونسو الثامن من مملكة قشتالة بتنظيم حملة عسكرية ضد الأراضي الإسلامية بمصاحبة الكونت نونيو دي لارا، وصيه السابق وكان الهدف الرئيسي لهذهِ الحملة هو مدينة قونقة (كونكة)، حيث قام الملك الفونسو بحصار المدينة وتحالف معه الملك أراغون، ضد المسلمين، وشارك في هذهِ الحملة عدد كبير من القادة والفرسان البارزين، بما في ذلك بيدرو، أسقف برغش[٥]، وسانشو صاحب آبلة[٦]، وريموندو صاحب بلازنسيا وغيرهم، في

(١) تسميه المصادر العربية (دونونه أو دننه أو ذنونه)، وهو صهر ملك قشتالة، ويسميه ابن صاحب الصلاة، القمط نونه، ويصفه " بظئر أدفونش الصغير" وقام بالوصاية على الصبي ألفونسو الثامن وتوفي في شهر ربيع الأول سنة ٦٧٤ هـ / أيلول ١٢٧٥م، في معركة وقعت بين المسلمين والنصارى على مقربة من إستجة جنوب غرب قرطبة، وبعث السلطان أبو يوسف برأسه إلى ابن الأحمر، فقيل إنه بعثه بدوره إلى ملك قشتالة مضمّخاً بالطيب، مصانعة له وتودّداً إليه. عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص٤٢.

(٢) تسميه بعض المراجع العربية (النبيل). ينظر، السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص٢٨٨؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص٥٨٣.

(٣) تسميه بعض المصادر بـ (ابن الريق)، ينظر، المراكشي، المعجب، ص١٨٨؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ٢٠٠/٢، بينما تسيمه المصادر الاخرى بـ ابن الرنق او ابن الرنك، ينظر، ابن الأثير، الكامل، ٨٨/١٠؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٢٥١.

(٤) عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص٩٥.

(٥) برغش: وهي مدينة إسبانية كانت حاضرة قشتالة على نهر دورو، تقع في بلاد الروم بالقرب من مدينة ليون، وهي مدينة كبيرة يفصلها نهر، ولكل جزء منها سور والأغلب على الجزء الواحد منها اليهود، وهي حصينة منيعة ذات أسوار وتجار وعدد وأموال وهي رصيف للقاصد والمتحول، وهي كثيرة الكروم ولها رساتيق وأقاليم معمورة، ومن مدينة برغش إلى مدينة ناجرة يوم وهي مدينة عامرة. ينظر، الادريسي، نزهة المشتاق، ٧٣٢/٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص٨٨.

(٦) آبلة: وهي مدينة اندلسية تبعد عن مدينة شلمنقة خمسون ميلاً وهي قرى مجتمعة وأهلها يركبون الخيل وأهل نجدة، ومنها إلى مدينة شقوبية خمسون ميلا شرقا، الأدريسي، نزهة المشتاق، ٧٣٢/٢-٧٣٣.

هذا السياق، توجه سكان مدينة قونقة إلى الخليفة في مراكش طالبين المساعدة والنجدة ضد المهاجمين، وكانوا في حالة ضعف بسبب انتشار المرض والطاعون في المدينة نتيجة لذلك لم يكن لديهم القدرة الكافية للدفاع عن أنفسهم وعن مدينتهم، فاستجاب الخليفة لطلب أهل قونقة، وأرسل قوات عسكرية بقيادة اخوانه ولاة إشبيلية وقرطبة، وكان الهدف الرئيسي من هذا التدخل العسكري هو غزو مناطق طليطلة وطلبيرة(١) ؛ وذلك بهدف إجبار القشتاليين على رفع الحصار عن مدينة قونقة(٢).

على أيَّةِ حال قاد والي قرطبة جيشاً من قرطبة وشنَّ غارة على أراضي طليطلة في شهر شوال ٥٧٢هـ/أبريل ١١٧٧م، وخلال هذهِ الحملة العسكرية لحق الأذى بالمدينة وعاد إلى قرطبة سالماً محملاً بالغنائم، وبالمثل قاد والي اشبيلية جيشاً من إشبيلية مكوناً من أربعة آلاف فارس وأربعة آلاف راجل توجه هذا الجيش شمالاً بأتجاه طلبيرة، حيث قام بإلحاق الضرر بالمدينة والاستيلاء على الكثير من الغنائم، وقام بسبي جميع النساء والاطفال وقتل الرجال، وقد عبر نهر تاجه على متن قارب حمله معه من إشبيلية على أكتاف رجاله وفاء لنذر نذره، وقد أنطلقَ الجيش الموحدي في محاولة لمساعدة قلعة قونقة المحاصرة من قبل قوات قشتالة، وعلى الرغم من هذهِ الجهود، لم تُكلل هذهِ الحملة بالنجاح فقد استمر الجيش القشتالي في حصار قونقة دون أن تثنيهم قسوة الشتاء أو قوة الحامية المدافعة عن المدينة واستمروا في متابعة حصارهم وتضييقهم على القلعة المحاصرة حتى استسلمت المدينة وأحُتلت من قبل الأسبان سنة ٥٧٢هـ/١١٧٧م(٣).

(١) طلبيرة: مدينة كبيرة بالأندلس من أعمال طليطلة، بينها وبين وادي الرمل خمسة وثلاثون ميلاً، وهي أقصى ثغور المسلمين، وهي قديمة أزلية على نهر تاجه، وكانت حاجزا بين المسلمين والأفرنج إلى أن استولى الأفرنج عليها، ولها على نهر تاجه أرحاء كثيرة، وهي من مدينة طليطلة على سبعين ميلا. ينظر، البكري، المسالك والممالك، ٩٠٨/٢؛ الادريسي، نزهة المشتاق، ٥٥١/٢؛ الحموي، معجم البلدان، ٣٧/٤؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٩٥؛ صفة جزيرة، ص١٢٧.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب (قسم الموحدين)، ص١٣٧-١٣٨؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص٩٦.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب (قسم الموحدين)، ص١٣٨؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص٩٦.

## خامساً: حملة المنصور الموحدي على أراضي غرب الأندلس سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م.

قاد الخليفة المنصور الموحدي حملة عسكرية كبرى قصد فيها بلاد الأندلس سنة ٥٨٥ هـ/١١٨٩م، بهدف غزو وفتح المناطق الغربية منها، بدأ المنصور حملته العسكرية من قصر المجاز[١]، أو قصر مصمودة[٢]، متجها نحو الجزيرة الخضراء ثم إلى مدينة شنترين[٣]، في شنترين، شن المنصور هجوماً على مدينة لشبونة وضواحيها، خلال هذا الهجوم قام المنصور الموحدي بقطع الثمار والمحاصيل، وقتل وسبى بعض السكان، كما أضرمَ النيران في القرى وأحرق الزروع، مما أحدث دماراً كبيراً، بعد ذلك أنصرف المنصور إلى المغرب، ومعه ثلاثة عشر ألف من السبي نساءً وأطفالاً، بعدها وصل المنصور مدينة فاس في المغرب، وأقام بها لبضعة أيام[٤].

وقد قدَّم لهُ الشعراء وعامة الناس التهنئة، لاسيمَّا الشاعر ابن مجبر[٥]، في قصيدة شعرية امتدحه فيها قائلاً:

**دلائل فتح كان يذخرها الدهر ... فلما أردت الغزو أبرزها النصر**

**فها هي مذ جدت ركابك تنبري ... سراعاً فمن أفراحها الشفع والوتر**

**فدونكها منسوقة فلشد ما ... تسابق فيها نحوك البر والبحر**

**هو الفتح يا مولاي ما فيه مرية ... ولا لليالي في تعذره عذر**

**وما زلت تدنو كل يوم مسافة ... إليهم ويهوي في نفوسهم الذعر**[٦].

---

(١) قصر المجاز: قرية القصر الصغير الواقعة على مضيق جبل طارق بين مدينتي سبتة وطنجة بتراب قبيلة انجرة من اقليم تطوان، سميَّ كذلك لجواز جيوش المغرب منه الى الاندلس ايام الحكم الاسلامي، ويسمى ايضاً قصر مصمودة وهو غير قصر كتامة المسمى ايضا قصر عبد الكريم (القصر الكبير الحالي)، ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ٢١٨.

(٢) وحول هذا الاختلاف ينظر، ابن عذاري البيان المغرب، ص٢٠٣. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ٢١٨.

(٣) شنترين: مدينة بالأندلس بقرب باجة على ساحل البحر، أرضها في غاية الكرم، مبنية على نهر باجة، وللنهر فيض في بطائحها كفيض النيل بمصر، ولها من جهة القبلة حافة عظيمة ولا سور لها، وبأسفلها ربض على طول النهر، وشرب أهلها من العيون ومن ماء النهر، ولها بساتين كثيرة وفواكه ومباقل، وبينها وبين بطليوس أربع مراحل. ينظر، القزويني، آثار البلاد، ص٥٤٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٤٦.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب (قسم الموحدين)، ص٢٠٣؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ٢١٨.

(٥)ابن مجبر: هو يحيى بن عبد الجليل بن مجبر، أبو بكر الفهري المرسي ثم الاشبيلي، شاعر الأندلس في وقته، امتدح الملوك، وتميز بطبعه السليم وفحولة نظمه قصائدة التي سارت امثالا، مات في مراكش ليلة عيد النحر سنة ثمان وثمانين وخمسمائة وهو ابن ثلاث وخمسين سنة. ينظر، الذهبي، سير أعلام، ٣٧٨/١٥؛ صلاح الدين، فوات الوفيات، ٢٧٥/٤.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب (قسم الموحدين)، ص٢٠٣-٢٠٤..

## سادساً: موقعة حصن الأرك[1] وهزيمة النصارى سنة ٥٩١هـ/١١٩٥م.

بعد وفاة أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، انتقل زمام الأمور إلى ابنه أبو يوسف يعقوب القيسي الكومي، الذي عرف بلقب المنصور بفضل الله (٥٨٠-٥٩٦هـ/١١٨٤-١١٩٩م) [2]، واصل المنصور مسيرة والده الجهادية ضد النصارى في الأندلس[3]، واستقر لفترة في المغرب، لكنه لم يلبث أن قاد جيشه إلى الأندلس في سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م، وكان هدفه الأساس هو الانتقام من الهزيمة التي لحقت بوالده في هذهِ السياق، قام بشنِّ غارات على مدينتي شنترين وأشبونة، معبراً عن شعور عميق بالثأر والغضب، المتمعن في ذلك يجد أنَّ هذهِ الحملات تتجسد فيها نزعة الانتقام، فضلاً عن استراتيجية سياسية هدفها استعادة السيطرة على الأراضي المفقودة، وقد أسفرت هذهِ الحملة عن انتشار الفوضى، إذ عاث المسلمون في تلك الأراضي فساداً وحرقاً، واستُخدمت مع سكانها أساليب القتل والسبي بشكل كبير، بعدها عاد المنصور إلى مدينة فاس محملاً باعداد هائلة من السبي، قدرَ عددهم بثلاثة عشر ألفاً، فضلاً عن الغنائم الوفيرة التي جمعها[4].

في محرم سنة ٥٨٦هـ/ شباط سنة ١١٩٠م، بدأ المنصور الموحدي مسيرته نحو الشمال، متوجهاً إلى قرطبة في تلك الأثناء، سعى الفونسو الثامن إلى إرساء نوع من التفاهم مع المنصور، ما أدَّى إلى إبرام صلح دام خمس سنوات، لكن بعد مرور سنة منه، عاد المنصور إلى المغرب، بعد أن تمكن من استعادة بعض الحصون من سيطرة الأسبان [5]، ومع ذلك لم يكن الفونسو الثامن ليتوانى عن استغلال غياب المنصور، فشنَّ

(١) الأرك: هو حصن منيع بمقربة من قلعة رباح أول حصون ألفونسو الثامن بالأندلس، وهناك كانت وقيعة الأرك على صاحب قشتالة وجموع النصارى على يد المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي ملك المغرب في سنة٥٩١هـ. ينظر، الحميري، الروض المعطار، ص٢٧؛ صفة جزيرة، ص١٢.

(٢) المنصور بفضل الله: وهو يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بْن عليّ الملقب بالمنصور، أمير المؤمنين أبو يوسف، هو سلطان المغرب القَيسي الكومي، المغربي المرّاكشي، الظاهري، وأُمه أمّ وَلَد رومية اسمها سَحَر بويع فِي حَيَاة والده بأمره بِذَلِك عند موته، فملك وعمره يومئذٍ اثنتان وثلاثون سنة. ينظر، الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٠٥١/١٢؛ سير أعلام، ٢٢١/١٨؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ٩٨/٢٨.

(٣) المقري، نفح الطيب، ٤٤٣/١؛ اشباخ، تاريخ الاندلس، ٧٦/٢؛ ابو خليل، الارك، ص٥٨؛ طقوش، تاريخ المسلمين، ص٥٤٢.

(٤) اشباخ، تاريخ الاندلس، ٢/ص٧٨-٧٩؛ الاشتر، معركة الارك، ص٣١-٣٢.

(٥) طقوش، تاريخ المسلمين، ص٥٤٢.

هجمات مكثفة على أراضي الأندلس، متوغلاً إلى الجزر الخضراء، حيث أقدم جيشه على نهب الممتلكات وسبي النساء، لذلك فأنَّ هذهِ الأحداث لم تمر دون صدى، إذ وصلت أنباء الغزوات إلى المنصور في عاصمته بمراكش[١]، في أواخر سنة ٥٩٠هـ/١١٩٤م[٢]، ولم يكتفِ الفونسو بما حققه من مكاسب في تلك الغارات من نهب وتدمير، بل أرسل رسالة تحدٍ واستدعاء لقتال المنصور الموحدي[٣]، مما أثار غضبه وعزيمته على العودة إلى الأندلس، ومن هنا استنفرت القوات الموحدية قواتها العسكرية للانخراط في الجهاد[٤].

في ضوء ما تقدم، دعا المنصور الموحدي جميع أطراف المملكة إلى نداء عام للجهاد، مما أدى إلى استجابة حاشدة من الرجال والشيوخ من مختلف أنحاء البلاد، حتى امتلأت الأرض بالجماهير الزاخرة من الجنود والمتطوعين محملين باسلحتهم ومؤنهم، قام المنصور الموحدي بتجميع هذهِ القوات نحو الشمال، مشرفاً على تحركات الجيوش القادمة إليه فكانت أولى القبائل التي عبرت البحر هي قبائل العرب، تلتها قبائل زناتة، ثم المصامدة، فغمارة، ثم المتطوعون من قبائل المغرب، ثم الرماة،كما أنضمَ الموحدون والعبيد إلى هذا الموكب الكبير، وفي سياق هذا التحضير، انطلق المنصور الموحدي برفقة مجموعة من أعيان الموحدين وأهل النجدة والزعامة، إضافة إلى عدد كبير من فقهاء المغرب، نحو ميناء الجزيرة الخضراء، وذلك في شهر رجب من سنة ٥٩١ هـ /١١٩٥ م[٥].

---

(١) مراكش: تقع شمال أغمات وعلى اثني عشر ميلاً منها بداخل المغرب، بناها يوسف بن تاشفين أمير المسلمين في صدر سنة سبعين وأربعمائة، وقيل سنة تسع وخمسين وأربعمائة، بعد أن اشترى أرضها من أهل أغمات بجملة أموال واختطها له ولبني عمه، وهي في وطاء من الأرض، وليس حولها من الجبال إلا جبل صغير يسمى ايجليز، ثم بنى أسوارها علي بن يوسف بن تاشفين سنة أربع عشرة وخمسمائة، وعلى ثلاثة أميال منها وادي تانسيفت، ويصب فيه وادي وريكة ووادي نفيس وأودية كثيرة، وعظمت مراكش في الدولتين، فكانت أكبر مدن المغرب الأقصى، وعظمت تجارتها وتنافس الناس في البناء فيها، وبنيت فيها الفنادق والحمامات، وأجرى المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن في وسطها ساقية ظاهرة، يخرج ماؤها من قصره فيشق المدينة من القبلة إلى الجوف، فكانت أشرف مدن المغرب وأعدلها هواء. الحميري، الروض المعطار، ص٥٤٠-٥٤١.

(٢) السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص٢٨٨؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص ١٩٨؛ الاشتر، معركة الارك، ص٣٧.

(٣) ينظر ملحق رقم (٢) (رسالة الفونسو الثامن الى يعقوب المنصور يدعوه الى القتال)، ص١٩٧-١٩٨.

(٤) الاشتر، معركة الارك، ص٣٨.

(٥) ابن أبي زرع، الانيس المطرب، ص ٢٢٢؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص١٩٨؛ اشباخ، تاريخ الاندلس، ٨٣/٢؛ الاشتر، معركة الارك، ص٤١-٤٢-٤٣.

بناءً على هذا وضع المنصور الموحدي خطة عسكرية محكمة تهدف إلى اختراق قلب مملكة قشتالة وفتح مدينة طليطلة، التي كانت تعد عاصمة قشتالة وقد وصلت أنباء هذهِ التحركات إلى مسامع ملك قشتالة المدعو الفونسو الثامن، الذي أدرك حجم الخطر الذي يهدد مملكته لذلك استعد لملاقاة الجيوش الإسلامية بكافة قوته، وقررَ استدعاء الممالك النصرانية الأخرى لمساندته في مواجهة هذا التهديد المتصاعد على الرغم من وعود ملكي ليون ونافارا بالمساعدة، إلاَّ أَنَّ دوافعهما الحقيقية كانت تتمحور حول تمني هزيمة الفونسو الثامن، الأمر الذي عكس حالة من الحقد والعداء الخفي بين الممالك النصرانية، فجمعا الجند لكنهما تحركا للمساعدة في كثير من البطء والتردد، مما دفع الفونسو الثامن إلى الانتظار في طليطلة لأيام دون جدوى، ومع غياب الدعم، اتخذ قراراً بالخروج بقواته، التي بلغ تعدادها مائة ألف مقاتل، متجهاً نحو مواجهة الموحدين قبل أن تتفاقم الأوضاع وتؤثر على عاصمته(١).

في ذات السياق توجه الملك الفونسو الثامن إلى قلعة حصن الارك، التي بناها على نهر وادي آنة (٢)، بين قرطبة وقلعة رباح، بينما كان المنصور الموحدي يواصل تقدمه العسكري، مخترقاً قلعة رباح حتى وصل إلى مقربة من مكان الجيش النصراني، وما كاد الجيش الموحدي أنَّ يستقر حتى خرجت قوة من الجيش النصراني ؛ لتستطلع اخبارهم فخرجت طائفة من المسلمين وافنوهم عن اخرهم، تجلى الذكاء العسكري للمنصور حين تواصل مع أشياخ المسلمين، الذين أبدوا حكمة نادرة في اختيار القائد أبي عبد الله بن صناديد(٣)، لقد أظهر ابن صناديد فطنة استراتيجية، حيث اقترح خطة محكمة تعتمد على عنصر المفاجأة والتخفي، كانت فكرته تقضي بأَنْ يبقى المنصور مع جيشه في موقع مستور،

(١) اشباخ، تاريخ الاندلس، ٢/٨٣-٨٤-٨٥؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص ١٩٩؛ طقوش، تاريخ المسلمين، ص٥٤٣؛ ابو خليل، الارك، ص٥٧؛ الاشتر، معركة الارك، ص٤٤-٤٥، ٤٧.

(٢) وادي آنة: وادي يقع في مدينة مرتلة، ويعد من أشهر أنهار إسبانيا ينبع من الأطراف الشرقية لهضبة قشتالة، ويتجه غربا مارا بمدينة قلعة رباح ثم الأرك ثم ماردة وعند مدينة بطليوس يتجه نحو الجنوب ويصب في المحيط الأطلسي ويقع شرقي مدينة باجة وبينهما أربعون ميلاً، وهو حصن أولى فيه آثار قديمة وبه كنيسة عظيمة. الحميري، صفة جزيرة، ص١٩١.

(٣) أبي عبد الله ابن صناديد: هو ابي عبد الله بن صناديد من كبار قواد الجيوش الأندلسية الذي استشاره الخليفه الموحدي في وضع خطة محكمة لموقعة الارك فأبدى له رايه وقسم الجيش بطريقة اعجب بها الخليفة المنصور وقرر اتباعها. عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص ٢٠٠.

بينما يقود الشيخ أبو يحيى بن أبي حفص الهنتامي[١]، القوات الزاحفة، كان هذا التكتيك يهدف إلى استغلال أي انتصار قد يتحقق، وفي حالة الهزيمة، يكون المنصور جاهزاً للدفاع فيكون النّصر للمسلمين والحقيقة أنَّ المنصور الموحدي أعُجب بهذهِ الخطة وقررَ أن يسير وفقاً لها[٢].

وفقاً لما تقدمَّ، تم الأتفاق على العمل بهذهِ الخطة لذلك نظم القائد أبو يحيى الجيش الموحدي فجعل عسكر الأندلس في الميمنة بقيادة ابن صناديد وجعل في الميسرة قبائل زناتة والمصامدة والقبائل المغربية والعرب وسائر القبائل البربرية الاخرى، كما جعل المتطوعة والرماة في المقدمة وتمركز هو في قلب المعسكر مع قومه من قبيلة هنتانة[٣]، وبقي المنصور الموحدي مع الموحدين والعبيد في الاخير وكانوا على كامل الاستعداد والأهبُة منتظرين اللحظة الحاسمة لخوض المعركة ولم يشكْ النصارى بما دبر المسلمين، وفي الوقت نفسه، نظم الفونسو الثامن جيشه وكان حصن الارك تحمي موقعه من جانب ومن الجانب الآخر تحميه بعض التلال فكان بذلك يحتل جيشه موقعاً عاليا وكانت هذهِ ميزه له في بدء القتال[٤].

وقعت معركة الارك الحاسمة والفاصلة يوم ٩ شعبان ٥٩١هـ/١٨ تموز ١١٩٥م، وعندما رأى النصارى الجيوش الموحدية وهي زاحفة اليهم في اعداد كثيفة وكما وصفتها الرواية الإسلامية ((فهبطوا من مركزهم كالليل الدامس والبحر الزاخر أسرابا تتلو أسراباً وأمواجاً تعقب أمواجاً))[٥]، والتحم الجيشان في رحى معركة ضارية وقام النصارى بثلاث هجمات على الموحدين لكنَّ المسلمينَ

(١) أبو يحيى بن أبي حفص الهنتامي: وهو حفيد الزعيم عمر بن أبي حفص الهنتامي صاحب المهدي، وكان من أكابر وزرائه، وهو من قبيلة هنتامة، توفي في سنة ٥٩١هـ، اثناء قيادة قلب الجيش الموحدي في موقعة الارك، عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص ٢٠٢.

(٢) ابن أبي زرع، الانيس المطرب، ص٢٢٢-٢٢٣-٢٢٤؛ اشباخ، تاريخ الاندلس، ٨٣/٢-٨٤؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص ١٩٩-٢٠٠؛ السرجاني، الاندلس من الفتح الى السقوط، ٧/١١؛ الاشتر، معركة الارك، ص٥٢-٥٣-٥٤.

(٣) هنتانة: لم أعثر لها على ترجمة في كتب الأنساب.

(٤) ابن أبي زرع، الانيس المطرب، ص٢٢٦؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص ٢٠٢-٢٠٣؛ ابو خليل، الارك، ص٥٨-٥٩؛ الاشتر، معركة الارك، ص٦٢-٦٣.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢١٩؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص ٢٠٤، ٢٠٦؛ ابو خليل، الارك، ص٥٩.

تمكنوا من صد هجماتهم ببسالة ثم عاود النصارى بهجوم كاسح ثاني فصمد المسلمون وصدوه فقام النصارى بتجميع قواهم وشنوا هجومهم الثالث فاقتحموا صفوف الجيش الإسلامي وتركز هجومهم على القلب الذي يقوده القائد العام أبو يحيى ؛ لاعتقادهم أنَّهُ هو القسم الذي يقوده المنصور الموحدي فقاتلهم القائد أبو يحيى وجنوده ببسالة الا إنَّهُ سقط شهيداً في ارض المعركة ومعه عدد من جنوده، فتقدمت قبائل العرب والمطوعة والرماة واحاطوا بالنصارى من جميع الجوانب ودفع القائد ابن صناديد الجيوش إلى المعركة وزحفت معه قبائل زناتة والبربر وسائر الجيوش الموحدية صوب النصارى وشنوا هجوماً شديداً عليهم وقتل الكثير من النصارى حتى اضطروا إلى التقهقر والفرار وبدأت بوادر الهزيمة واضحة عليهم(١).

على أيةِ حال فقد استمرت المعركة من ضحى اليوم حتى غروب الشمس واسفرت على مقتل عدد كبير من النصارى وهروب الملك الفونسو الثامن بمن بقي من جنده وساروا تحت جنح الظلام إلى طليطلة واعتصموا في حصن الارك وكان عددهم خمسة الاف(٢)، فتبعهم المسلمين وتمكنوا من حصد بعضهم بين القتل والأسر ثم حاصروا حصن الارك معتقدين بأنَّ الفونسو الثامن قد اعتصم به لكنْ تبين أنَّهُ دخل من باب ولاذ بالفرار من أحد الأبواب الخلفية ونجا بنفسه وبمن معه من الجند، فاقتحموا الحصن عنوة واضرموا النار في أبوابه وأستولوا على ما به من الذخائر والأسلحة والامتعة والعدد والدواب(٣)، وسبوا النساء والذراري (٤).

هكذا أنتهت معركة الارك التي أحرز فيها الموحدين انتصاراً باهراً واندحر فيها النصارى اندحاراً ساحقاً وقُتل ما يقارب مائة الف من جنودهم(٥)، وقيل ثلاثون الف(٦)، أمَّا عن خسائر

(١) ابن أبي زرع، الانيس المطرب، ص٢٢٧؛ اشباخ، تاريخ الاندلس، ٨٦/٢؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص ٢٠٦؛ طقوش، تاريخ المسلمين، ص٥٤٣.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، (قسم الموحدين)، ص٢٢٠؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ٣٣٠/٦.

(٣) ابن أبي زرع، الانيس المطرب، ص٢٢٨؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص ٢٠٦-٢٠٨؛ طقوش، تاريخ المسلمين، ص٥٤٣.

(٤) ابن أبي زرع، الانيس المطرب، ص٢٢٨؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص ٢٠٨.

(٥) الاشتر، معركة الارك، ص٧٣.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٢٠؛ اشباخ، تاريخ الاندلس، ٨٧/٢؛ ابو خليل، الارك، ص٦٢.

المسلمين فتقدر الروايات التاريخية اعدادهم بعشرين ألف مقاتل[١]، وكان عدد أسرى النصارى عشرين ألف[٢]، وقيل اربعة وعشرون ألف [٣]، وفي روايات أخرى ثلاثون ألف [٤]، ولم يقدم المنصور الموحدي على قتلهم او أرسالهم كالعبيد إلى افريقية وإنما قام بأطلاق سراحهم الأمر الذي ندم عليه فيما بعد، إذْ أنَّ هولاء الأسرى سيكونون بدون شك قوة عسكرية كبيرة تشد ازر قشتالة، أمَّا بالنسبة للغنائم من الذخائر والاموال والامتعة والاسلحة والبغال والحمير فغنم المسلمين من الخيام ما يقارب مائة وثلاثة وأربعون الف خيمة، أمَّا الخيل فكانت ست وأربعين ألف، ومن الحمير أربعمائة ألف، أما النبال التي حصلوا عليها فكانت مائة ألف، أمَّا الاسلحة فكانت سبعين ألفاً من الدروع وقد أمر المنصور الموحدي أن تذاع أخبار هذا النصر العظيم الذي حققه المسلمين في هذهِ المعركة الحاسمة [٥].

## سابعاً: حملة أبو يوسف يعقوب المنصور على أراضي قشتالة سنة ٥٩٢هـ/ ١١٩٦م.

كانت الظروف السياسية والعسكرية للممالك النصرانية تشهد حالة من الضعف والتردي الأمر الذي أتاح الفرصة للمنصور بغزو قشتالة وكان ملك قشتالة يعرض على المنصور الصلح وعقد السلم الا أنَّ المنصور رفض ذلك، فتوجه في حملة صوب بلاد الجوف (الشمال) وذلك كهدف لأسترداد ما أنتزعه النصارى من قواعد وحصون عسكرية، فخرج من أشبيلية على رأس جيش ضخم وذلك في ١٤ جمادى الاولى سنة ٥٩٢هـ/١٥ نيسان سنة ١١٩٦م، واتجه شمالاً صوب حصن منتانجش[٦]، وتقدمت الجيوش الأندلسية لمهاجمته فلما رأت الحامية القشتالية أعداد الجيوش الموحدية الزاخرة

(١) عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص ٢١٠.

(٢) اشباخ، تاريخ الاندلس، ٨٨/٢؛ ابو خليل، الارك، ص٦٣.

(٣) ابن أبي زرع، الانيس المطرب، ص٢٢٨؛ الاشتر، معركة الارك، ص٧٤-٧٥.

(٤) المقري، نفح الطيب، ٤٤٣/١؛ طقوش، تاريخ المسلمين، ص؛ السرجاني، الاندلس من الفتح الى السقوط، ٨/١١ ٥٤٥.

(٥) اشباخ، تاريخ الاندلس، ٨٨/٢؛ السرجاني، الاندلس من الفتح الى السقوط، ٨/١١؛ الاشتر، معركة الارك، ص٧٣-٧٤-٧٥-٧٦.

(٦) حصن منتانجش: وهو بالإسبانية Montanchez، وهو أمنع حصون منطقة بطليوس، يقع على مقربة من شمال ماردة، ويقع في الجنوب الشرقي من مدينة قاصرش، ينظر، عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص٢٧، ٢١٨، ٣٩٩.

أصيبوا بالخوف والفزع الأمر الذي دفعهم إلى طلب الامان والاستسلام فوافق الموحدين على ذلك[١]، وامر القائد العسكري أبي عبد الله بن صناديد بنقلهم إلى منطقة الامان وعندما بدأوا بالسير حدث ما لم يكن بالحسبان إذ هاجمتهم جماعة من ذعرة العرب وأستاصلوهم قتلاً إلى آخرهم وسبوا ما كان معهم من النساء والاطفال، وصلت هذهِ الانباء إلى مسامع الخليفة فأستشاط غضباً لهذا التجاوز والاعتداء والاخلال بالعهود المقطوعة، فأمر بحبس كل من عثر عليه من المعتدين وجمع النساء والاطفال وردهم إلى ذويهم واوصل الجند القشتاليين إلى اوائل بلادهم [٢].

ثم توجهت القوات الموحدية صوب مدينة ترجالة[٣]، قاعدة الثغر الشمالي الواقعة شمال شرقي منتانجش وكان النصارى قد اخلوها بعد ما علموا بقدوم الموحدين اليها فدخلها الموحدين وأستولوا عليها وقتلوا الكثير من سكانها وسبوا نسائهم[٤]، ثم عبر الموحدين الوادي الكبير في اتجاه نهر تاجة وتمكنوا من الاستيلاء على الكثير من المدن و الحصون والقلاع واعتصمت عليه طلبيرة، ثم ظهر أمام أبواب طليطلة عاصمة قشتالة وكان الفونسو الثامن قد احتمى مع جيشه خلف اسوار عاصمته المنيعة ولم يتجرأ على الخروج للتصدي له في ميدان مكشوف ؛ بسبب تدني الروح المعنوية لدى جنده وانكسار نفوسهم بعد موقعة الارك كذلك لقلة عددهم [٥].

حاصر المنصور مدينة طليطلة لمدة عشرة أيام محاولاً أقتحام أسوارها المنيعة فضربها بالمجانيق وقطع ثمارها الا أنَّ الفونسو الثامن كان مصمم على الدفاع عن عاصمته حتى آخر نفس فأستعد لمواجهة الحصار الخانق، وعندما أيقنَّ الموحدين بأنَّ من العبث أنْ يستمروا في مواصلة الحصار وأنَّ

(١) ابن عذاري، البيان المغرب (قسم الموحدين)، ص٢٢٣؛ اشباخ، تاريخ الاندلس، ٨٨/٢؛ عنان، دولة الإسلام، عصر الموحدين، ص٢١٧-٢١٨؛ طقوش، تاريخ المسلمين، ص٥٤٦.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب (قسم الموحدين)، ص٢٢٣؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص ٢١٨.

(٣) ترجالة: وهي مدينة كبيرة بالأندلس كالحصن المنيع ولها أسوار منيعة وبها أسواق عامرة وخيل ورجل يقطعون أعمارهم في الغارات على بلاد الروم والأغلب عليهم التلصص والخداع، ومن حصن مدلين إلى ترجالة مرحلتان خفيفتان. ينظر، الأدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٠/٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٣٣.

(٤) عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص ٢١٨.

(٥) عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص ٢١٩؛ طقوش، تاريخ المسلمين، ص٥٤٦؛ الاشتر، معركة الارك، ص٨٢-٨٣.

جميع محاولاتهم لاقتحام المدينة لم تسفرْ عن النجاح أمر المنصور جنودهِ بفك الحصار، وإرتد عن أسوار طليطلة صوب مدينة طلمنكة [١] أو سلمنقة [٢]، حسب اختلاف الروايات، فتمكنوا من اقتحامها عنوة وانزلوا السيوف في رقاب سكانها، فسبوا نسائها، وهدموا حصونها، واحرقوا المدينة، وقد وصف لنا المؤرخ ابن أبي زرع[٣]، هذهِ الحادثة قائلاً: ((ونزل على طليطلة وبها الفونسو فحاصره بها وضيق عليه وقطع ثمارها وحرق ارباضها وهتكها ونصب عليها المجانيق، ثم ارتحل عنها إلى مدينة طلمنكة فدخلها عنوة بالسيف، فلم يبقِ أحد من رجالها، وسبا نساءها وغنم اموالها وحرق وهدم اسوارها وتركها قاعا صفصفا))، وكرر ذلك في وادي الحجارة واماكن اخرى باستثناء مجريط والقلعة[٤].

أستغل الفونسو التاسع ملك ليون غزو الموحدين لأراضي قشتالة ؛ ليشارك في أسترداد المدن والقلاع والحصون الواقعة على الحدود بين المملكتين فبعث إلى المنصور يطلب منه مساعدته في ذلك فاستجاب له المنصور، فخرج ملك ليون مع قوات الموحدين إلى غزو أراضي قشتالة، الامر الذي اثار غضب البابا سلستين الثالث فامر بمعاقبته بالنفي الكنسي وطلب من ملك البرتغال أنْ يقاتله وفي الوقت نفسه، أغار ملك نبرة (نافار) شانجة السابع على مملكة قشتالة من ناحيته واقتحم مدينه سرية [٥]، أو صورية [٦]، حسب اختلاف الروايات، وعاث فيها خراباً ونهباً [٧]، وعلى أية حال فقد اثخن المنصور في ارض عدوه، وقررَ العودة بسرعة فعاد بقواته نحو الجنوب واقتحموا في

(١) طلمنكة: وهي مدينة بثغر الأندلس، بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن، منها أحمد بن محمد بن عبد الله بن لب بن يحيى المعافرى الطلمنكى المقرى، وبينها وبين وادي الحجارة عشرون ميلاً. الحميري، الروض المعطار، ص٣٩٣.

(٢) حول هذا الأختلاف ينظر، ابن أبي زرع، الانيس المطرب، ص٢٢٩؛ اشباخ، تاريخ الاندلس، ٨٩/٢؛ طقوش، تاريخ المسلمين، ص٥٤٧.

(٣) الانيس المطرب، ص٢٢٩.

(٤) ابن أبي زرع، الانيس المطرب، ص٢٢٩؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ١٣٥/١٠؛ اشباخ، تاريخ الاندلس، ٨٩/٢؛ طقوش، تاريخ المسلمين، ص٥٤٧.

(٥) عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص ٢٢٠.

(٦) طقوش، تاريخ المسلمين، ص٥٤٧.

(٧) عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص ٢١٩-٢٢٠؛ طقوش، تاريخ المسلمين، ص٥٤٧.

طريقهم بعض حصون مدينة طليطلة الجنوبية، ثم اخترق أراضي قلعة رباح بعدها اتجه نحو مدينة جيان[1]، ثم إلى قرطبة، بعدها تحرك من قرطبة نحو استجة ثم قرمونة ووصل إلى مدينة اشبيلية في رمضان سنة ٥٩٢هـ/١١٩٦م، بعد أنَّ قضى في غزوته ثلاثة اشهر [2].

يُلاحظ إنَّ هذهِ الغزوة الموحدية التي استطاع الموحدون أنْ يدفعوها إلى قلب الأراضي القشتالية، وإلى تطويق طليطلة، لم تؤدِ إلى نتائج مستقرة أو اكتساب أراضٍ ذات أهمية استراتيجية من قبل الموحدين، ويثير الانتباه أن الخليفة المنصور، الذي كان في قمة قوته العسكرية، والذي حطم قوى قشتالة قبل ذلك بأقل من سنة في موقعة الأرك قد اكتفى بالعبث والتخريب والسبي والنهب في أراضي العدو دون تحقيق أهداف عسكرية جوهرية، حتى أنَّ ملك قشتالة لم يُحرِّك ساكناً للدفاع عن أراضيه أثناء مراحل الغزو هذا السلوك العسكري يثير التساؤل حول الاسباب التي قادت الخليفة المنصور إلى اتخاذ مثل هذا القرار، فعلى الرغم من الضعف الظاهر لعدوه الرئيسي، لم يسعَ إلى تحقيق أهداف عسكرية واضحة خلال هذهِ الحملة[3].

(١) جيان: مدينة واسعة بالأندلس، تتّصل بكورة البيرة، فى شرقىّ قرطبة، بينها وبين قرطبة سبعة عشر فرسخا، بينها وبين بياسة عشرون ميلاً، وهي كورة كبيرة تجمع قرى كثيرة، وهي كثيرة الخصب رخيصة الأسعار كثيرة اللحوم والعسل، ولها زائد على ثلاثة آلاف قرية كلها يرى فيها دود الحرير، وبها جنات وبساتين ومزارع وغلات القمح والشعير، وعلى ميل منها نهر بلون وهو نهر كبير عليه أرحاء كثيرة جداً، وبها مسجد جامع وعلماء جلة. ينظر، الحموي، معجم البلدان، ١٩٥/٢؛ البغدادي، مراصد الأطلاع، ٣٦٤/١؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٨٣.

(٢) عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص ٢٢٠؛ طقوش، تاريخ المسلمين، ص٥٤٧.

(٣) عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص ٢٢٠.

## المبحث الثاني

## سبي النصارى للمسلمين في بلاد الأندلس

### أولاً: حملة القشتاليون على مدينة اشبيلية في سنة ٥٢٤هـ/١١٢٩م.

شهدت مدينة أشبيلية هجوماً عنيفاً من قبل القوات القشتالية بقيادة القمط نونة (نونيو) وذلك في سنة ٥٢٤هـ/١١٢٩م، وبالمقابل دافع المسلمون عن مدينتهم أشد الدفاع وخلال محاولتهم في الدفاع عن المدينة ووسط حالة من الاضطراب، قام أفراد الجيش القشتالي بقتل والي المدينة المرابطي، أبي حفص عمر بن الحاج اللمتوني[١]، فقد رموه بحجر أدى إلى سقوطه عن ظهر فرسه، ثم داسته الخيول مِمَّا أسفر عن مقتله، وفي اليوم التالي، استعدت القوات القشتالية وجددت هجومها على المدينة وأثناء المعارك الدائرة، قتلوا وسبوا عدداً كبيراً من سكان المدينة [٢]، وقد اشارَ ابن عذاري[٣]، إلى هذهِ الحادثة قائلاً: ((إنّ حَجراً كان يُلقى على الظهر، فلما ألهْبَ الفرسَ بالجري سقط وأثقله عن القيام الدرع، فداسته الخيل وبطت بطنه بالطعن. وفي صبيحة تلك الليلة اضطرب الروم بالمحلة على فرسخين من مدينة إشبيلية، فقتلوا عظيماً وسبوا عظيماً بمرأى عين ومسمع أذن، واستاقوا من الأسرى والمواشي والآراب ما لا يحصيه عدُ ولا تحصره حد)).

### ثانياً: حملة النصارى على أراضي غرب الأندلس سنتي ٥٦٠-٥٦١هـ/١١٦٥م.

تكررت اعتداءات نصارى البرتغال على القواعد والأراضي الإسلامية وما رافقها من جرائم عسكرية إذ كانت الحروب قائمة بين المسلمين والنصارى فينشرون الرعب والهلع في قلوب السكان[٤]، وكان قائد هذا العدوان ومنظمهِ مغامر يدعى جيرالدو، ويسمى في الكتب النصرانية "الباسل" Geraldo sem Pavor، ويُعرف في المصادر الإسلامية بالعلج جراندة الجليقي[٥]،

(١) أبي حفص عمر بن الحاج اللمتوني: لم أعثر على ترجمة له في كتب التراجم.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب (تحقيق بشار عواد ومحمود بشار)، ٦٨/٣؛ الحجاج، جرائم النصارى، ص٧٧.

(٣) البيان المغرب (تحقيق بشار عواد ومحمود بشار)، ٦٨/٣.

(٤) الحجاج، جرائم النصارى، ص٧٩.

(٥) جراندة الجليقي: وهو قائد الملك الفونسو انريكي وصاحب جيوشهِ يسميهِ ابن صاحب الصلاة وابن عذاري بالكلب، وقد غدر بمدينة باجة وبكثير من الحصون الإسلامية ثم وصل إلى اشبيلية مستسلماً طائعاً وقد قُبلت منه فيئتهِ، ولعل قبولها جاء نتيجة لشدة باسهِ وغدرهِ. ينظر، ابن صاحب الصلاة، ألمن بالإمامة، ص٢٧٤، ص٢٨٨، ص٤٣٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب (قسم الموحدين)، ص١٠٤.

كان أحد أبرز المغامرين في منطقة الغرب الأندلسي ومن المعروف أنهُ كان قاطع طريق أو رئيس لأحدى العصابات التي تعمل في أنشطة السلب والنهب في تلك المناطق، بالرغم من طبيعة نشاطه الإجرامي، إلاَّ أن جراندة الجليقي استطاع أنْ يجد مجالاً خصباً لممارسة هذهِ الأنشطة في ظل الظروف السائدة في بلاد غرب الأندلس آنذاك وكان يقوم بهذهِ الغارات والهجمات لحساب نفسه وأصحابه وعصبته، على نحو مشابه لما كان يفعله "السيد القمبيطور" (الكمبيادور) في شرقي الأندلس أيام الطوائف، و بالرغم من ذلك لم يكن جراندة الجليقي يصل إلى مستوى وشخصية "السيد القمبيطور" في تلك المناطق ومع ذلك يُذكر إنَّ بعض البرتغاليين كانوا يُعدونه قريناً للسيد، ويطلقون عليه لقب السيد البرتغالي[1].

كان الفونسو هنريكيز ملك البرتغال يمده بالمال والرجال، الأمر الذي ساعد على نجاح حملاته وغزواته وفي إضعاف قدرات وامكانيات المسلمين، كذلك لكي يمهد لمشاريعه الكبيرة في افتتاح قواعدهم، فكان المغامر جراندة يعمل على غزو مناطق غرب الأندلس بالأخص على المناطق الإسلامية لاسيَّما التي تقع في قطاع بطليوس ما بين نهري التاجه ووادي يانه، فكان يهاجمهم في الليالي المظلمة على حين غفلة من أهلها وحراسها ويصرخ بعالي الصوت مع قواته منذرين بالاستيلاء على المدينة التي هاجموها؛ لبث الخوف والهلع في قلوب سكانها ويعيثوا في المدينة وأهلها قتلاً وتخريباً ونهباً وسبياً [2]، وقد علق ابن عذاري[3]، عن هذهِ الحادثة واصفاً أعمال المغامر جراندة اذ قال: ((كان هذا الكلب جراندة صاحب جرأة ونجدة فلما عاين ابن الرنك نجدته وتيقظه لغدر البلاد والحصون أعانه على ذلك برجاله وسلطه على المسلمين فكان الكلب يتسلل في الليالي المطرة الحالكة المظلمة وقد أعد الآلات من السلاليم التي تعلو سور المدينة التي يروم.... فاذا أستوفى طلوع جملته الرومية في اعلى سور المدينة صاحوا صيحة وأحدة عظيمة منكرة ودخلوا المدينة وقتلوا من وجدوه واخذوا من فيها سبياً وافياً)).

(١) عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص٢٦.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب (قسم الموحدين)، ص١٠٤؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص٢٦؛ الحجاج، جرائم النصارى، ص٧٩.

(٣) البيان المغرب (قسم الموحدين)، ص١٠٤.

وعلى وفق ما تقدم فإنَّ أول قاعدة إسلامية توجه لغزوها جراندة في تلك الناحية من ولاية الغرب، هي مدينة تَرجالُه، التي تقع شمالي ماردة على مقربة من نهر التاجه، فدخلها عنوة في شهر جمادى الأولى سنة ٥٦٠هـ /مايو سنة ١١٦٥ م، ثم قام بمداهمة مدينة يابرة وذلك في شهر ذي القعدة سنة ٥٦٠هـ/سبتمبر ١١٦٥، وباعها مع ترجالُه إلى النصارى، ثم توجه صوب مدينة قاصرش[١]، وأستولى عليها وكان ذلك في صفر من سنة ٥٦١هـ/ديسمبر ١١٦٥م، ثم أستولى على حصن منتانجش الواقع في جنوبها الشرقي في جمادى الآخرة من نفس السنة، وأستولى أخيراً على حصن شرْبة او شيربة[٢]، ثم حصن جلمانية [٣]، واتخاذه قاعدة للإغارة عليها، والتضييق على أهلها، ويبدو أنَّ تلك الغزوات المتوالية على منطقة الغرب في الوقت نفسه، كان الموحدون منشغلين بمقاتلة ابن مردنيش في شرقي الأندلس هذا التزامن بين الغزوات في الغرب والصراع في الشرق أدى إلى تحريك الموحدين نحو المبادرة بخوض الصراع مع النصارى من أجل أسترداد بطليوس وحماية ولاية الغرب الأندلسية من السقوط[٤].

## ثالثاً: حملة القشتاليون على أراضي الأندلس في سنة ٥٦٥هـ/١١٧٠م.

أنَّ المتمعن في تاريخ القوات النصرانية يجد أنَّ المناطق النصرانية قد شهدت تنافساً وتوسعاً؛ لزيادة نفوذها على حساب الأراضي الأندلسية، كما يُلاحظ إنَّ هذهِ القوى كثفت من هجماتها العنيفة على مناطق الأندلس من عدة اتجاهات، محاولةً السيطرة على المزيد من الأراضي[٥]، وكان عدوان القوات القشتالية على الأراضي الإسلامية قد توقف لفترة من الزمن منذ وفاة القيصر الفونسو ريموندیس، إضافة إلى اندلاع الحرب الأهلية بين الممالك الأسبانية النصرانية، فضلاً عن

(١) قاصرش: هي بالإسبانية "Caceres" وهي تقع غرب ترجالة، عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص٢٧.

(٢) حصن شيربه: وهو بالاسبانية Serpa، عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص٢٧.

(٣) حصن جلمانية: وهو بالاسبانية urumena، الواقع على مقربة من غربي بطليوس، عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص٢٧.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب (قسم الموحدين)، ص١٠٤؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص٢٧.

(٥) الحجاج، جرائم النصارى، ص٧٩.

أنشغال قشتالة بصورة خاصة بالصراع الداخلي بين أسرة لارا وأسرة كاسترو القويتين ذلك الصراع الذي اشترك فيه ملك ليون فرناندو إلى جانب آل كاسترو، فلما انتهى هذا الصراع، بانتصار آل لارا على آل كاسترو تمكن آل لارا من فرض سيادتهم وبسط سيطرتهم على طليطلة عاصمة قشتالة(١).

دعت الضرورة السياسية تنصيب الصبي الفونسو الثامن سنة ٥٦٢هـ/١١٦٦م، وتتويجه كملكاً لقشتاله تم وضع الملك الصبي الفونسو الثامن تحت حماية اسرة آل لارا وتمت الوصاية عليه من قبل كبير الأسرة الكونت نونيو دي لارا (القمط نونة)، وفي أعقاب تولي الكونت نونيو دي لارا مسؤولية الوصاية على الملك الفونسو الثامن في مملكة قشتالة، بدأ هذا الكونت في التخطيط لشن حملة عسكرية ضد الأراضي الإسلامية المجاورة ويُعتقد أنَّ الدافع الرئيس وراء هذهِ المبادرة العسكرية هو رغبة الكونت في تعزيز سلطته السياسية والهيبة الشخصية، وبناءً على هذا فقد توجهت القوات القشتالية بقيادة القمط نونة من مدينة طليطلة وعبرت منطقة الأندلس نحو الجنوب، وهي تُحدث دماراً كبيراً في كل مكان تمر به دون أنْ تواجه أي مقاومة تُذكر كما أنها عبرت الوادي الكبير ونهر شنيل(٢)، وانتهت غزواتها عند مدينتي فحص رندة(٣)، وفحص الجزيرة الخضراء، وقد تمكن من اختراق الأندلس بشكل كامل من أقصاها إلى أقصاها، دون أن يواجه مقاومة كبيرة، على غرار ما فعل الفونسو المحارب نحو نصف قرن قبل ذلك، وعلى أيةِ حال فقد وصل القمط نونة إلى البحر خلال هذهِ الحملة، وقام بقتل الكثير من المسلمين في تلك المناطق كما أستولى على الكثير من الأسرى والسبايا والغنائم والماشية(٤).

(١) عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص٤٢.

(٢) شنيل: يعرف أيضا بنهر غرناطة أو نهر سنجيل، وهو أحد فروع نهر الوادي الكبير ويصب فيه، ويمر من مدينة غرناطة. ينظر، المقري، نفح الطيب، ١/١٤٨-١٤٩.

(٣) رنده: معقل حصين بالأندلس من أعمال تاكرنّا، وهي مدينة قديمة على نهر جار وبها زرع واسع وضرع سابغ، واجتلب الماء إليها من قرية بشرقيها ومن جبل طلوبرة بغربيها، فيوافي الماء داخلها من شرقيها وغربيها، ويتوارى نهرها في غار فلا ترى جريته أميالاً ثم يظهر حتى يقع في نهر لكه وبقربها عين تعرف بالبراوة وتجري من أول الربيع إلى آخر الصيف فإذا دخل الخريف نضب ماؤها فلا تبض بقطرة إلى أول الربيع من عام ثان. ينظر، الحموي، معجم البلدان، ٣/٧٣، البغدادي، مراصد الأطلاع، ٢/٦٣٥، الحميري، الروض المعطار، ص٢٦٩.

(٤) عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص٤٢؛ الحجاج، جرائم النصارى، ص٧٩.

وقد أشار عنان[1]، الى هذهِ الحادثة منتقداً موقف الموحدين قائلاً: (( ونحن لا نستطيع أن نفسر جمود الموحدين إزاء مثل هذا العدوان الجرىء خصوصاً وقد كانت لديهم في قرطبة قوات كبيرة بقيادة الشيخ أبي حفص عمر، اللهم إلا حرصهم على قواتهم، وادخارها لمحاربة ابن مردنيش)).

## رابعاً: حملة القشتاليون على مدينة باجة في سنة ٥٦٨هـ/١١٧٢م.

تذكر الروايات التاريخية إنَّ الخليفة أبو يعقوب يوسف عندما رجع من حملته على مدينة وَبْذَةُ[2]، نزل بمرسية ؛ وذلك لأخذ قسطاً من الراحة، وفي نفس الوقت حدثت حوادث مؤلمة في الجانب الثاني من شبه الجزيرة الأيبيرية وتحديداً في غربي الأندلس، وكان ملك البرتغال الفونسو هنريكيز بعد هزيمته في معركة بطليوس في شعبان سنة ٥٦٤هـ/١١٦٩م، قد اخذ وقتاً من الراحة والسكينة والهدوء النسبي وفي ذات الحين، كان يرصد بأهتمام تطورات الأحداث والفرص، وقد سنحت الفرصة لهُ للعمل وذلك عندما غادرت الجيوش الموحدية قواعدها في مدينة اشبيلية في حملتها على وبذة [3].

بعد فشل محاولة ملك البرتغال في افتتاح مدينة بطليوس، كان لديه طموح في الاستيلاء على مدينة باجة المحصنة التي تُعد من أهم قواعد ولاية الغرب في تلك المنطقة، وقد بسط الحكم الموحدي سيطرته على قواعد ولاية الغرب وفي إطار ذلك، عهدت السلطات الموحدية بولاية هذهِ المناطق إلى بعض القادة والحفاظ المنتمين إلى الحركة الموحدية، في هذا السياق تولى عمر بن تيمصلت التينملي[4]، إدارة ولاية الغرب لفترة من الزمن ومع ذلك، لم ينجحْ عمر بن تيمصلت في القضاء على الفتن والاضطرابات التي نشبت بين أعيان المنطقة والعامة نتيجة لذلك تم إعفاؤه من منصبه، وتم

(١) دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص٤٢.

(٢) وَبْذَةُ: مدينة من أعمال شنت برية بالأندلس، وهي حصن على واد بقرب أقليش، وعلى وادي وَبْذَةُ عدة كثيرة من الأرحاء ويجري هذا النهر على عدة كثيرة من القرى فيسقيها وبقرب وَبْذَةُ قرية يقال لها بنتيج أهلها نصارى ينعقد ماؤها في الإناء فيصير حجراً أصفر، وكذلك أين ما جرى، وينعقد على أسنان أهلها. ينظر، الحموي، معجم البلدان،٥/٣٥٩؛ الحميري، الروض المعطار، ص٦٠٧.

(٣) عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص٨٥.

(٤) عمر بن تيمصلت التينملي: وهو الحافظ ابو علي بن عمر بن تيمصلت، ويعد من كبار قادة الموحدين وشجعانهم، وقد حظيَ بمكانة بارزة لدى الخلافة الموحدية اذ قدم جهوداً استثنائية من اجل خدمة دولة الموحدين فتم تعيينه والياً على مدينة باجة سنة ٥٧٠هـ، واستمر في هذا المنصب حتى وفاتهِ سنة ٥٧٤هـ. ينظر، ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص٢٨٧.

تعيين عمر بن سحنون[١]، وكان معروف عنه بالطيش والعجز واختار ابن سحنون أنَّ يتقرب من السفلة والدهماء الأمر الذي ادى إلى استياء كبير من قبل الطبقة الخاصة ؛ ونتيجة لذلك فقد تفاقمت الأنقسامات بين الناس، ولم يكتفِ ابن سحنون بذلك بل أستوزر رجلاً بدوياً من سفلة باجة، قد أتبع سياسات قمعية واضطهادية تجاه السكان فقد استخدم العنف والقوة بما في ذلك سفك الدماء وضرب الناس بالسياط، وانتهاك ممتلكاتهم عن طريق السرقة والنهب بالإضافة إلى ذلك، فقد تمت الإشارة إلى تواطؤ قاضي البلدة عمر بن زرقاج[٢]، مع هذهِ الممارسات الاستبدادية والعنيفة، وكان ظالماً مستبداً والتف حوله قوم ارذال يشهدون له ظلماً وزوراً ويشهدون له افعاله السيئة، فكانوا يعقدون العقود بالكذب، واستبد ابن سحنون بأمره، وهيمن رأي الفئة المنحرفة على صنع القرارات ؛ ونتيجة لذلك فقد تم قتل عدد من الأعيان والفقهاء بطريقة ظالمة ووحشية، مما ادى إلى اشتداد الفتنة في المدينة، وامتدت تداعيات هذهِ الأخبار إلى إشبيلية[٣].

على أيةِ حال فقد كانت هذهِ الظروف الأستثنائية تمر على مدينة باجة في أواخر سنة ٥٦٧هـ/١١٧٢م، فتزامنت هذهِ الظروف مع حملة الخليفة أبو يعقوب يوسف وهو يسير في جيوشه إلى غزوة وبذة، ولم تكن هذهِ الأوضاع في باجة بخافية على النصارى، وهم يحتلون مواقع استراتيجية قريبة من المدينة ومنها يابرة وقصر أبي دانس[٤]، فكانت باجة في حالة ضعف واستضعاف لا يمكنها

(١) عمر بن سحنون: وهو والي مدينة باجة الذي عُرف بالعجر والطيش، اذ اهمل شؤونها الأدارية والعسكرية، ووصفه ابن عذاري (بالمضيع)، وقد شهد ابن سحنون هجوم القشتاليون على باجة فلم يدافع عنها، اذ سرعان ما هرب الى ميرتلة، وقد قرب ابن سحنون كل فاجر وفاسق وجعلهم المسؤولين عن صنع القرارات، كما انه قام بقتل الفقيه ابا جعفر ابن الأنصاري ظلماً وعدواناً ومعه جماعة من اهل البلاد الا انه الحال لم يدم حتى عاقبه الله بالجذام، ينظر، ابن عذاري، البيان المغرب ( قسم الموحدين)، ص١٢٨؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص٨٦.

(٢) عمر بن زرقاج: لم أعثر له على ترجمة في كتب التراجم.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب (قسم الموحدين)، ص١٢٨؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص٨٦.

(٤) قصر ابي دانس: يقع بغربي الأندلس، وهو الذي فيه كانت الوقيعة على المسلمين للروم في سنة ٦١٤، وأعانهم أهل الأشبونة وغيرها من مملكة ابن الرنق، فأخذوا في نقب الأرض تحت الحصن، إلى أن قنطوا وأفضى الناس إلى الهلكة، وبلغ الأمر إلى الولاة الذين في غرب الأندلس وإشبيلية وقرطبة وجيان، فتجهزوا لدفاع العدو، وجاء منهم جيش عظيم لكنهم تخاذلوا على عادتهم، فكانت الهزيمة عليهم وولوا منهزمين، ووقع القتل والأسر، ولم يبرز للمسلمين من الروم إلا نحو سبعين فارساً، ورأى أهل الحصن ذلك فأيقنوا بالتغلب عليهم. الحميري، صفة جزيرة، ص١٦١-١٦٢.

الصمود أمام أي هجوم عسكري معاد، في ضوء ذلك قام ملك البرتغال الفونسو هنريكيز بوضع خطة عسكرية لغزو وافتتاح مدينة باجة وللقيام بهذهِ المهمة جند الفونسو قواته تحت قيادة قائدهِ وحليفهِ البارز جيرالدو[١].

من سياق الحدث، يتبين لنا أنَّ مدينة باجة كانت في حالة من الأهمال والتقصير الأمني قبل هجوم البرتغاليين فقد كان هناك أهمال في حراسة أبراج المدينة، حيث يُذكر أن بعضها كانت دون حراس يراقبونها ليلاً، وكان السبب الرئيس لهذا الأهمال هو أنَّ والي المدينة، ابن سحنون كان يحبس رواتب هؤلاء الحراس وهذا بالطبع أدى إلى تركهم لوظيفة الحراسة، وخاصةً في برج القصبة المهم والمعروف بأسم "برج الحمام"[٢]، هذا الأهمال الأمني والإداري من قبل الوالي ابن سحنون مهد الطريق أمام البرتغاليين لتنفيذ خطتهم الهجومية على المدينة بسهولة أكبر، فضعف الحراسة وعدم انتظام الحراس في مراقبة الأبراج والحصون جعلها عرضة للاختراق والهجوم، وفي ظل تلك الظروف المؤثرة فقد، نفذ القشتاليون هجوماً مفاجئاً على المدينة في ليلة مظلمة اختار القائد جيرالدو توقيت الهجوم بعناية، حيث استغلَ ساعات الظلام للتخفي والتسلل دون ملاحظة وكان ذلك في محرم سنة ٥٦٨هـ / أغسطس سنة ١١٧٢م، إذ تقدم القشتاليون زاحفين على أيديهم وأرجلهم حتى وصلوا إلى أسوار المدينة ثم وضعوا السلالم على برج القصبة دون أنْ يشعر الحراس بهم، وفي اللحظة المناسبة أطلقوا الصرخة المميزة لهم وما إن استيقظ الوالي عمر بن سحنون وسكان المدينة من نومهم، حتى سيطر القشتاليون على برج القصبة، ثم احتلوا القصبة بسرعة أصاب الذعر سكان المدينة جراء هذا الهجوم المفاجئ[٣].

كان من أنعكاسات ذلك نزول الوالي ابن سحنون من سور المدينة وهروبه إلى ميرتلة[٤]، ثم بمجرد بزوغ الفجر، حتى أحتل النصارى المدينة وبدأ الناس في الفرار من أبوابها، إلا أنهم تعرضوا للقتل

(١) عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص٨٦.

(٢) برج الحمام: لم أعثر على ترجمة له في كتب البلدان.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب (قسم الموحدين)، ص١٢٧؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص٨٦.

(٤) ميرتلة: مدينة بالأندلس شرقي مدينة باجة، بينهما أربعون ميلاً، وهي على وادي آنة، وبمقربة من شاطئ البحر مرسى هاشم، وهو حصن فيه آثار قديمة وتوجد به كنيسة ضخمة بنيت في عهد قسليان قيصر الذي بنيت في عهده كنيسة طليطلة المعروفة بأسم كنيسة الملوك، ويعد قيصر هو أول من نسج في ثيابه وفرشه الذهب وهو الرابع والثلاثون من القياصرة. ينظر، الحميري، الروض المعطار، ص٥٦٩.

والأسر من كل جانب وقد تم قتل وأسر عدد من أعيان المدينة كما تم أسر عائلتي ابن سحنون والقاضي ابن زرقاج وتعرضت النساء للسبي، باستثناء من أستعجل في الهروب بسرعة ونجا بنفسه، وفي النهاية أستولى النصارى على كميات ضخمة من المال والممتلكات في المدينة وسبوا أعداد غفيرة[1].

وقد ذكر ابن عذاري[2]، هروب ابن سحنون من مدينة باجة في أبيات شعرية، ذكرها الشاعر أبو بكر بن حبيش[3]:

**ان الفرار غيمة من باجة ... فاعمل ذميل الاينق**

**واحمد لفرقتها الا ... عن قلب التق**

**وإذا رجوت لهمها فرجا ... بالعقوق الابلق**

**هيهات لا فرج لديها يرتجى ... ولئن جرت فيها الخطوب فافلق**

**ان الغريب إلى الغريب منغص ... ايود لها الرزايا ما بقى**

في ظل تلك الظروف فأنَّ النصارى لم يمكثوا طويلاً في مدينة باجة ؛ وذلك لان الفونسو هنريكيز رأى من سعة المدينة ما يجعل الدفاع عنها أمراً في غاية الصعوبة، ثم قام بهدم اسوارها، ثم احرق احيائها وتركها بعد أنَّ احتلها ما يقارب خمسة أشهر، بعد أن نسفها نسفاً، واخذ معه الأسرى والسبايا، الذين تم انقاذهم فيما بعد بالفداء، وهاجر كثير منهم بعد خراب مدينتهم إلى مراكش وغيرها [4].

(١) ابن عذاري، البيان المغرب (قسم الموحدين)، ص١٢٧؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص٨٦؛ الحجاج، جرائم النصارى، ص٨٠.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب (قسم الموحدين)، ص١٢٨.

(٣) ابو بكر بن حبيش: هو محمد بن الحسن بن يوسف بن الحسن بن يونس بن يحي بن غالب بن حبيش بفتح الحاء، أبو بكر اللخمي المرسي (٦١٥ – ٦٧٩ هـ /١٢١٨-١٢٨٠م)، نزل بتونس وهو شاعر واديب، الراوية، النحوي، الناقد المتفنن، والفقيه الحافظ، برع في النظم والنثر وكان من النحاة. ينظر، الزركلي، الأعلام، ٨٦/٦؛ الكتاني، فهرس الفهارس، ٣٥٧؛ محفوظ، تراجم المؤلفين، ٩٢/٢.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب (قسم الموحدين)، ص١٢٩-١٣٠؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص٨٧؛ خلف وفليح، فداء أسرى المسلمين، ص٣٨٦.

وبالعودة إلى موقف الموحدين ازاء سقوط باجة نجد أنهم لم يتحركوا بالشكل المطلوب أذ تُشير المصادر التاريخية إلى أنَّ الخليفة أبو يعقوب قد أهتم بأكمال بناء المسجد الجامع في إشبيلية، كما أنه أشرف على استكمال بناء مجموعة من القصور والبساتين في المنطقة الواقعة خارج باب جهور، فضلاً عن تركيزه على المشاريع البنائية، فقد كان الخليفة أبو يعقوب يوسف ينشط في مجال السياسة الخارجية، حيث كان يستقبل وفود من أهل إفريقية في إشبيلية [1].

كرد فعل طبيعية من سكان مدينة باجة فقد سعوا لأستعادة أعتبارهم بقيادة عمر بن تيمصلت، الذي خرج على رأس جيش من المدينة انظم اليه علي بن وزير[2]، بقواته واغاروا على فحص أبي دانس، ما أدى إلى نشوب معركة ضارية مع القوات النصرانية وفي أثناء ذلك، تدخلت قوات إضافية من نصارى شنترين لمساندة إخوانهم في قتال الموحدين، مما أسفر عن هزيمة ابن تيمصلت وابن وزير وأسرهم مع مجموعة من الفرسان والرجالة وقتلَ الباقون، وقد وصلت تلك الأنباء إلى أهل باجة وكان رد فعلهم على هذهِ الهزيمة هو أنَّهم لاذوا بالفرار من مدينتهم إلى مدينة ميرتلة في شهر محرم سنة ٥٧٤ هـ/يوليو ١١٧٨ م، اما بالنسبة لمصير ابن تيمصلت فقد عُذب إذ وضعوا في عنقهِ سلسلة من حديد وبقي تحت التعذيت حتى مات، بينما أُفتُدي ابن وزير مقابل أربعة آلاف دينار[3].

## خامساً: هجوم القشتاليون والبرتغاليون على أراضي الأندلس سنة ٥٧٧ هـ/ ١١٨١م.

ذكرت الروايات التاريخية أنَّ في سنة ٥٧٧ هـ/ ١١٨١م، قام الجيش القشتالي بشن بعض الغارات على الأراضي الأندلسية من جهة طليطلة وكما كان الحال في العديد من الغارات السابقة، فقد أحدثوا دماراً واسعاً وسبوا الكثير من سكانها، وذات يوم خرج المقاتلون البرتغاليون من مدينة يابرة بشكل مفاجئ، وأشتبكوا في معركة عنيفة مع قوات الموحدين وهزموا هزيمة كبرى، حيث قتل منهم عدد كبير، وسيطر المسلمون على دوابهم وإسلابهم، وانسحب الباقون إلى داخل المدينة بعد ذلك، قام قائد الموحدين ابو عبد الله ابن وانودين [4]، بالأقامة عليها لمدة يومين، قبل أن ينسحب

(١) عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص٨٧.

(٢) علي بن وزير: لم أعثر له على ترجمة في كتب التراجم.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب (قسم الموحدين)، ص١٣٤-١٣٥؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص٩٧-٩٨؛ الحجاج، جرائم النصارى، ص٨٠.

(٤) أبو عبد الله بن وانودين: لم أعثر له على ترجمة في كتب التراجم.

وفي طريق عودته، هاجم الجيش الموحدي حصناً آخر تابعاً للنصارى، ونجح بالأستيلاء عليه وفتحه، وحصل على الكثير من الغنائم وأسر من رجاله مائة وعشرين رجلاً وقُتل منهم اعداداً كبيرة، وسُبيَّ من نسائهِ اربعمائة باعمار متفاوتة وعاد ابن وانودين إلى مدينة إشبيلية محملاً ومعهُ الكثير من الغنائم والأسرى والسبايا وأقام حفلاً كبيراً وقام ببيع السبايا، وكان ذلك في أواخر شهر محرم من سنة ٥٧٧ هـ/ ليونيو ١١٨١م[١].

وتَرى الباحثة من منظور تاريخي أنَّ حملة القشتاليين والبرتغاليين على الأراضي الأندلسية تجسّد جانباً مهماً من الصراع الديناميكي والمستمر بين القوات النصرانية والمسلمين في الأندلس، هذه الحملة التي أسفرت عن انتصار عسكري مؤقت للموحدين وردعهم لغارات النصارى، وهي تعكس قدرة القيادة الموحدية على التنظيم العسكري والرد الاستباقي، ما أبرز قوة الجبهة الإسلامية آنذاك.

ومع ذلك، تؤكد الباحثة أن الانتصارات التي احرزتها القوات الموحدية في ساحة المعركة وحدها لم تكن كافية لتغيير مسار الصراع على المدى الطويل، إذ ظل وضع الأندلس السياسي والاجتماعي هشّاً بفعل الانقسامات الداخلية وضعف الأدارة المركزية، وهو ما أضعف قدرة المسلمين على مقاومة التوسع النصراني المستمر.

## سادساً: حملة النصارى على الأراضي الأندلسية في سنة ٥٧٨ هـ/ ١١٨٢م.

في خضم التصاعد الكبير للعدوان البرتغالي على الأراضي الأندلسية، بات القتل وخراب الأرض أمراً مباحاً، والأسر والسبي أموراً حتمية لا مفر منها، وفي هذا السياق المظلم، ما حدث سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م، عندما خرجت حملة عسكرية برتغالية قوية، مكَّونة من فرسان مدينتي شنترين وأشبونة، تجاوزت هذهِ الحملة نهر وادي يانه، واقتحمت منطقة الشرف[٢]، جنوبي إشبيلية[٣]، حتى وصلت إلى

(١) ابن عذاري، البيان المغرب (قسم الموحدين)، ص١٤٤-١٤٥؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص١٠١.

(٢) الشرف: من غربي إشبيلية بالأندلس، وهو جبل شريف البقعة، كريم التربة، دائم الخضرة، فراسخ في فراسخ طولاً وعرضاً، لا تكاد تشمس منه بقعة لا لتفاف زيتونه، واشتباك غصونه، وزيته من أطيب الزيوت، وإن في الشرف ثمانية آلاف قرية عامرة، وديارها حسنة، وبين الشرف وبين إشبيلية ثلاثة أميال، وسمي بذلك لأنه مشرف على ناحية إشبيلية، ممتد من الجنوب إلى الشمال، وهو كله تراب أحمر، وشجر الزيتون فيه من هذا المكان إلى قنطرة لبلة. الحميري، صفة جزيرة، ص١٠١-١٠٢.

(٣) اختلفت الروايات التاريخية في موقع الشرف اذ ذكرت بعضها انه يقع في جنوبي اشبيلية بالأندلس، ينظر، ابن عذاري، البيان المغرب (قسم الموحدين)، ص١٤٥، فيما ذكرت اخرى انه يقع في غربي اشبيلية بالأندلس. ينظر، الحميري، صفة جزيرة، ص١٠١-١٠٢.

مدينة شلوقة[1]، عند مصب الوادي الكبير، وهناك، حاصر البرتغاليون المدينة بقوة ألف فارس وألف راجل، ثم اقتحموها بالقوة، ما أسفر عن مقتل العديد من المسلمين الذين كانوا بها، وأسر الكثير منهم، كما نجحوا في الاستيلاء على غنائم كثيرة، وقد اشار ابن عذاري [2]، إلى هذا الهجوم النصراني قائلاً: ((وفي سنة ثمان وسبعين وخمس مائة وقعت بالأندلس أحداث قبيحة فمن ذلك ان خيل النصارى من جهة شنترين وإشبونة وصلوا إلى قرية شلوقة من الشرف فضربوا عليها في ألف فارس وألف راجل وقتلوا من وجدوا من المسلمين وأسروا وغنموا)).

وترى الباحثة إن هذهِ الحملة البرتغالية كانت بمثابة انعكاساً لحالة الانهيار والتدهور التي كانت تعيشها الأندلس في تلك الحقبة، وانَّها بلا شك تجسّد وبوضوح الطبيعة الاستبدادية والتوجه الاستعماري والتدمير الذي مارسه البرتغاليون الغزاة في مواجهة المسلمين في الأندلس فالقتل والنهب والسبي والاستعباد لم تكن مجرد انتهاكات عرضية، بل شكّلت منهجاً ممنهجاً لإذلال المسلمين وإخضاعهم في شبه الجزيرة الايبيرية واخراجهم منها بهدف الاستيلاء على ما يمكنهم الاستيلاء عليه من المدن الاندلسية وهذا أن دلَّ على شيء فانما يدلُ على الانحدار المؤلم لتاريخ المسلمين في الأندلس في مواجهة الأطماع النصرانية.

لم يكتف النصارى بذلك بل فرضوا سيطرتهم العسكرية على العديد من الحصون بما فيها حصن القصر[3]، ثم عاد الجيش من طريق لبلة دون مواجهة أي مقاومة، في الوقت نفسه، تصاعد العدوان القشتالي على الأراضي الأندلسية، حيث خرج الملك الفونسو الثامن بقواته باتجاه قرطبة وأرسل فرقاً من جيشه نحو مالقة، رندة، وغرناطة، هذهِ الخطوات التوسعية المتسارعة أثّرت بشكل كبير على حياة السكان المسلمين في تلك المناطق المستهدفة، فقد نجم عن ذلك حالة من الاضطراب والقلق، مما انعكس على ارتفاع الأسعار وتفاقم المعاناة اليومية، وكأن الحرب قد نقلت معها دوامة من الآلام والضيق، لتطال حياة العامة من سكان الأندلس[4].

(١) شلوقة: وهي بالإسبانية سان لوكار Sanlucar la Mayor، وهي حصن بقرب سرقسطة من الأندلس. ينظر، الحموي، معجم البلدان، ٣٥٩/٣.؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص١٠٢.

(٢) البيان المغرب (قسم الموحدين)، ص١٤٥.

(٣) حصن القصر: وهو حصن كبير وكثير العمارة، بينه وبين حصن اسفنجاي ثلاثة أميال، الأدريسي، نزهة المشتاق، ص٤٦٠.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب (قسم الموحدين)، ص١٤٥-١٤٦؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص١٠٢؛ الحجاج، جرائم النصارى، ص٨١.

في ظل هذهِ الهجمات المتتالية من البرتغاليين والقشتاليين، كان الموحدون في الأندلس يركزون جهودهم الدفاعية بشكل رئيسي على حماية مدينة إشبيلية، وقاد هذا الجهد الدفاعي القائد أبو عبد الله بن وانودين، حيث وجه قواته إلى المناطق المجاورة لتعزيزها وتحصينها كما وجه بعض عناصره للدفاع عن مدينة فحص قرمونة ضد الهجمات القشتالية، وفي الوقت نفسه،كان القشتاليون يواصلون توسعهم واستيلاءهم على الأراضي الواقعة بين قرطبة وإشبيلية، دون أنْ يواجهوا أيّ مقاومة تُذكر، ثم قاد الملك الفونسو الثامن حملة عسكرية من قشتالة إلى مدينة إستجة في الأندلس، وحاصرها ولكن لم ينجح في الاستيلاء عليها ؛ بسبب صمود والي المدينة أبي محمد بن طاع الله الكومي[1]، بعد ذلك توجه الفونسو إلى إشبيلية حيث أحدث دماراً وفوضى في المنطقة وفي الوقت ذاته، تمكن الجنود القشتاليون من الاستيلاء على بعض حصون رندة وأسروا منهم ما يقرب من ألف وأربعمائة مسلم من الرجال والنساء، كما تمكنوا من إلحاق ضرر كبير بالزروع والممتلكات في منطقتي رندة والجزيرة، وسيطروا على كميات كبيرة من الماشية والغنائم الأخرى لكن الإنجاز الأخطر لهم كان الاستيلاء على حصن شنتفيلة[2]، إذ أستولى عليه القشتاليون في ١٧ من شهر صفر سنة ٥٧٨هـ/٢٢ يونيو ١١٨٢م، وأسروا ما يقارب من سبعمائة من المسلمين، رجالاً ونساءً وقام أهل إشبيلية في ذلك الوقت بافتداء هؤلاء الأسرى بمبلغ ألفين وسبعمائة وخمسة وسبعين ديناراً جمعت من الناس بالمسجد الجامع، وقام ملك قشتالة الفونسو الثامن بتعزيز وتحصين الحصن في هذهِ المدينة ووضع حامية ضخمة في الحصن، تضم خمسمائة فارس و ألف راجل، عاهدهم على توفير الحماية والعناية لهم، وأسكن النصارى في الحصن وزوَّده بالمؤن والسلاح[3].

(١) أبي محمد بن طاع الله الكومي: لم أعثر له على ترجمة في كتب التراجم.

(٢) شنتفيلة: هو بالإسبانية Santafila، الذي كان أحد أقوى الحصون في المنطقة بين قرطبة وإشبيلية يقع فوق ربوة عالية وله أسوار منيعة. عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص١٠٣.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب (قسم الموحدين)، ص١٤٦؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص١٠٢-١٠٣؛ الحجاج، جرائم النصارى، ص٨٢؛ خلف وفليح، فداء أسرى المسلمين، ص٣٨٨.

## سابعاً: حملة النصارى على مدينة شلبُ [1] وأستردادها سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م.

تذكر الروايات التاريخية إنَّ أوروبا شهدت تصاعدا في الحماسة الصليبية، وذلك بعد سقوط بيت المقدس في أيدي المسلمين سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، الأمر الذي كان دافعاً لأنْ يقوم الملك سانشو الأول بأسترداد مدينة شلب من سيطرة المسلمين، مستغلاً الظروف السياسية السائدة في أوروبا آنذاك ؛ لذلك قاد الملك سانشو الأول حملة عسكرية إلى مدينة شلب، وانضمَ إلى هذهِ الحملة أساطيل صليبية مشكّلة من مقاتلين وفرسان من إنجلترا وألمانيا وفرنسا وبقية أنحاء أوروبا، وكان على رأس هذهِ الحملة الصليبية كل من: ملك إنجلترا ريتشارد قلب الأسد (٥٨٥-٥٩٦هـ/١١٨٩-١١٩٩م)، وإمبراطور ألمانيا فريدريك بربروسا (٥٤٧-٥٨٦هـ/١١٥٢-١١٩٠م)، وملك فرنسا فيليب الثاني (٥٧٦-٦٢٠هـ/١١٢٣-١١٨٠م). لم يتمكن الموحدون من التصدي لهذهِ الحملة الصليبية القوية، والتي كانت مدعومة بقوات عسكرية كبيرة من ملوك أوروبا البارزين في ذلك الوقت [2].

على أية حال استخدمت الحملات الصليبية الموجهة نحو الشرق الإسلامي ميناء أشبونة البرتغالي كنقطة استراحة ومحطة لتزويد أساطيلها بالمؤن، فقد شكلت مدينة أشبونة، بوصفها مركزًا تجاريا مهما، ومحطة هامة للقوات الصليبية القادمة من أوروبا والمتوجهة لشن حملاتها على البلاد الإسلامية في المشرق، في هذا الصدد، تمكن الملك البرتغالي سانشو الأول من إقناع قادة الأسطول الصليبي الذي رست سفنه في ميناء أشبونة، بالمشاركة في الهجوم على مدينة شلب واستعادتها من السيطرة الإسلامية[3].

في سياق التفاعلات السياسية والعسكرية بين المسيحيين والمسلمين، تُشير المصادر التاريخية إلى أَنَّ الملك سانشو الأول قد عقد اتفاقية مع القوات الصليبية بموجب هذهِ الاتفاقية، كان على الملك سانشو تقديم

(١) شِلْبُ: بكسر أوله، وسكون ثانيه، وآخره باء موحدة، وهي مدينة بغربي الأندلس بينها وبين باجة ثلاثة أيام، وهي غربي قرطبة، هي مدينة من بلاد الأندلس، وهي قاعدة كورة أكشونية، وهي مدينة بقبلي مدينة باجة، وبينها وبين قرطبة عشرة أيام، وبينها وبين شنترين خمسة أيام، والمدينة في ذاتها حسنة الهيئة بديعة البناء مرتبة الأسواق وأهلها وسكان قراها عرب من اليمن وغيرها وكلامهم بالعربية الصريحة، وهم فصحاء يقولون الشعر، وعليها سور حصين، ولها غلات وجنات، وشرب أهلها من واديها الجاري إليها من جهة جنوبها. ينظر، الحموي، معجم البلدان، ٣٥٧/٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٤٢؛ صفة جزيرة، ١٠٦.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب (قسم الموحدين)، ص٢٠١-٢٠٢؛ رنسمان، الحروب الصليبية، ٢٦/٣؛ قاسم، ماهية الحروب الصليبية، ص١١٩؛ بحر، الشعر في شلب، ص٢٦.

(٣) الحسيني، حركة الأسترداد، ٧١/٣؛ المليباري، تحفة المجاهدين، ص٥١.

الغنائم للقوات الصليبية، في المقابل يحصل على مساعدتهم في استعادة المدينة وقد أكد ذلك قول المراكشي[1]: ((ولما كان في سنة ٥٨٥، قصد بِطرو بن الريق –لعنه الله– مدينة شلب، من جزيرة الأندلس؛ فنزل عليها بعساكره، وأعانه من البحر الإفرنجُ بالبُطْس والشواني؛ وكان قد وجه إليهم يستدعيهم إلى أن يعينوه، على أن يجعل لهم سبي البلد، وله هو المدينة خاصة؛ ففعلوا ذلك، ونزلوا عليها من البر والبحر؛ فملكوها وسبوا أهلها؛ وملك ابن الريق –لعنه الله– البلد.))، وقد اتفق معه ابن عذاري[2]، في قضية وقوع السبي في هذهِ الحادثة مؤكدا ذلك قوله: ((فاحدقوا بشلب من كل الجهات وبالغوا في حصارها إلى أن تملكوها وأخرجوا أهلها))، وقد اشار اشباخ[3]، إلى هذهِ الحادثة وأكد على وقوع السبي والقتل إذ قال: ((لم ينج من سكان المدينة الستين ألفاً سوى ثلاثة عشر ألفاً وسبي الباقون أو قتلوا)).

اتفق الصليبيون على خطة محكمة لمهاجمة المدينة وقام الجيش الصليبي البري بقيادة دون مندو دي ساوسا بمحاصرة المدينة من البر، بينما توجه الأسطول الصليبي لمحاصرتها من البحر، واستمرت عملية الحصار على المدينة لمدة ستة أسابيع، خلال هذهِ المدة، هاجمت القوات البرية الصليبية المدينة بشراسة، ارتكبت أعمال الحرق والسلب والنهب وقتل السكان وأسرهم وسبيهم، وتمكن الصليبيون من الاستيلاء على كميات كبيرة من الغنائم من المدينة المحاصرة، مما أثار الخوف والرعب في نفوس السكان المدافعين[4].

## ثامناً: موقعة حصن العُقاب[5] وهزيمة المسلمين سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م.

بعد انتصار المَوحدين في معركة الأرك وهزيمة النصارى، قرر الملك الفونسو الثامن محو آثار هذهِ الهزيمة بتحصين قلعة مورة [6]، ورفض تجديد معاهدة السلام المبرمة مع دولة الموحدين ثم قرر توجيه قواته

(١) المعجب، ص٢٠٤–٢٠٥.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب (قسم الموحدين)، ص٢٠٢.

(٣) تاريخ الأندلس، ٣٣٠/١.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب (قسم الموحدين)، ص٢٠٢؛ الحسيني، حركة الأسترداد، ٧١/٣–٧٢.

(٥) العقاب: موضع بالاندلس يقع بين جيان وقلعة رباح، وهو مكان في وديان جبل الشارات، وقعت فيه موقعة شهيرة بين المسلمين والنصارى في صفر من سنة ٦٠٩هـ، انتصر فيها النصارى وهُزم فيها المسلمون هزيمة ساحقة وقتل منهم اعداد كثيرة واستولوا النصارى على مدينة بسطة وباغو وما جاورهما من القرى والحصون، وقتلوا الرجال وسبوا الذرية وكانت هذهِ الموقعة أول وهن دخل على الموحّدين. الحميري، الروض المعطار، ص٤١٦.

(٦) مورة: حصن بالأندلس من أعمال طليطلة، ينسب إليه إسماعيل بن يونس الموري من قلعة أيوب أبو القاسم، الحموي، معجم البلدان، ٢٢١/٥؛ البغدادي، مراصد الأطلاع، ١٣٣١/٣.

بمن فيهم فرسان قلعة رباح، لغزو الأراضي الأندلسية فهاجم القرى والحصون الحدودية، ونهب القرى وسبى النساء والأطفال، وأتلف المزارع، وتوغل في الأراضي الأندلسية حتى وصل إلى أحواز مرسية وجيان وأندوجر(١).

وصلت هذهِ الأنباء إلى محمد بن أبي عبد الله الناصر لدين الله (٥٩٥-٦١٠هـ/١١٩٩-١٢١٣م)(٢)، فاستنفر الناس للجهاد، وتوجه إلى الأندلس بقوات كبيرة قدرت بخمسمائة ألف مقاتل في ذي القعدة سنة ٦٠٧هـ/مايو ١٢١١م، واستقر بمدينة أشبيلية، مما أثار الخوف والفزع في قلوب النصارى، فحصنوا مواقعهم، وتوجه بعضهم إلى أشبيلية يطلبون الصلح معه، ومن بينهم ملكا ليون ونبرة(٣).

وكان الهدف الرئيس للناصر هو القضاء على ممكلة قشتالة وفي هذا الإطار، اقترح وزيره أبو سعيد بن جامع(٤)، على الناصر البدء بفتح قلعة شلبطرة(٥)؛ نظراً لأهميتها الاستراتيجية كقاعدة حدودية

(١) اندوجر: حصن قريب من قرطبة إلى شمال شرقها على نهر الوادي الكبير. المقري، نفح الطيب، ٥١١/١.

(٢) محمد بن أبي عبد الله الناصر لدين الله: لم أعثر على ترجمة له في كتب التراجم.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب (قسم الموحدين)، ص٢٦٣؛ اشباخ، تاريخ الاندلس، ١٠٧/٢؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص ٢٨٤؛ طقوش، تاريخ المسلمين، ص٥٥٠؛ حبيب وآخرون، معركة العقاب، ص٥٨-٥٩.

(٤) ابن جامع: هو أبو العلا إدريس بن أبي إسحاق بن جامع، من كبار رجال الدولة الموحدية شغل منصب وزير الخليفة محمد الناصر، ثم واصل خدمته في منصب الوزارة تحت حكم الخليفة المستنصر، وقد نجح ابن جامع في الحفاظ على موقعه الوزاري على الرغم من تعرضه لبعض المحن كالسخط الذي نال منه الخليفة ثم إعادة تعيينه لاحقاً، وبعد وفاة الخليفة المستنصر، اجتمع ابن جامع مع كبار رجال الدولة الموحدية وقاموا ببيعة السيد أبي محمد عبد الواحد، وهو أخ الخليفة المنصور، وقد تم عزل ابن جامع من منصبه بعد أن تم خلع الخليفة عبد الواحد. ينظر، ابن الابار، الحلة السيراء، ٢٤٠/٢؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ٣٣٨/٦.

(٥) شلبطرة: بالأندلس من بلاد الأذفونش، وهو حصن من حصون الأندلس من عمل قلعة رباح، كان الناصر لدين الله نزل عليها وحاصرها بالمجانيق والآلات الحربية حتى قهر أهلها وملكها، وذلك في سنة ٦٠٨هـ، وكان نزل أولاً على حصن اللج فتملكه، ثم رجع الحصار كله على حصن شلبطرة، فنصب عليها المجانيق ورميت بالحجارة، وطال حصارها إلى أن ضاق أهلها وأعياهم الأمر، فخرج قوم من ثقاتهم إلى طليطلة والتقوا مع ملكهم أذفونش وأعلموه بما انتهوا إليه من الشدة وما بلغوا من الجهد والمشقة، وحملوا إليه بعض أحجار المجانيق التي يرمون بها، فعذرهم، ولم تكن عنده قدرة لدفع ما نزل بهم، ولا استطاع الدفاع عنهم، فأذن لهم في الخروج عنها، وكان الحصار فيها إحدى وخمسين ليلة. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص٣٤٤، ص٤١٦.

فقام الناصر بفرض حصار على هذهِ القلعة واستمر لمدة ثمانية أشهر، حيث قذفها بالمجانيق، إلاَّ أنَّ القلعة كانت قوية ومنيعة وصمدت أمام الحصار طوال الصيف، مع حلول فصل الشتاء، تفاقمت الظروف المناخية القاسية، مما أدى إلى موت الكثير من جيش الناصر بسبب المرض، كما إنَّ طول الحصار أدى إلى نفاد المؤن، مما قلل من عزائم الموحدين واستغل الملك الفونسو الثامن هذهِ الظروف الصعبة للموحدين؛ ليتدخل ويستفيد من هذا الضعف(١)، فسعى إلى تنظيم حملة صليبية وحث ملوك وأمراء الممالك النصرانية على المشاركة في القتال إلى جانبه، في هذا الإطار، عقد مؤتمرا في قونقة بهدف توحيد جهود هؤلاء الحكام لمحاربة الموحدين فاستجاب ملك أراغون له، كما قام بارسال أساقفته إلى روما لمناشدة البابا إنوسنت الثالث باعلان الحرب الصليبية وبالفعل، وافق البابا على طلبه وأعلن الحرب الصليبية، وأرسل الأساقفة إلى أوروبا لتحفيز الصليبيين على المشاركة في الحرب ضد الموحدين واستجاب الجميع لهذا النداء وأعلنوا الحرب الصليبية، وألقى الملك الفونسو الثامن مقولته الشهيرة "كلنا صليبيون"(٢).

اجتمعت الوفود العسكرية من مختلف الممالك النصرانية إلى جانب فرسان من مملكة قشتالة وأعداد كبيرة من المتطوعين والفرسان من الجمعيات الدينية في مختلف المدن الأسبانية والفرنسية، للقتال دفاعًا عن المسيحية وقد ارتدوا الصليب(٣)، واجتمع هؤلاء في طليطلة بعدد يزيد عن مائتي ألف مقاتل، بين فارس وراجل، وأمر البابا انوسنت الثالث الجنود بالصوم لثلاثة أيام، وأُقيمت صلوات جماعية، حيث ارتدى رجال الدين والرهبان والراهبات السواد وساروا حفاة في المواكب متأنية من كنيسة إلى كنيسة وألقى البابا عظة صليبية طالباً من النصارى التضرع إلى الرب للانتصار على المسلمين(٤).

خرج الملك الفونسو الثامن على رأس الجيوش الصليبية المحشودة من طليطلة وذلك في محرم سنة ٦٠٩هـ/ حزيران سنة ١٢١٢م، وقد قسم الملك الفونسو جيشه إلى ثلاث قوات رئيسية، تألف الجيش

(١) ابن أبي زرع، الانيس المطرب، ص٢٣٦-٢٣٧؛ أشباخ، تاريخ الاندلس، ١٠٨/٢؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص٢٩١؛ طقوش، تاريخ المسلمين، ص٥٥٠.

(٢) أشباخ، تاريخ الاندلس، ١٠٩/٢؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص ٢٨٨-٢٨٩؛ حبيب وآخرون، معركة العقاب، ص٥٩-٦٠؛ طقوش، تاريخ المسلمين، ص٥٥١.

(٣) أشباخ، تاريخ الاندلس، ١١٠/٢؛ طقوش، تاريخ المسلمين، ص٥٥١.

(٤) أشباخ، تاريخ الاندلس، ١١٢/٢؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص ٢٩٤؛ طقوش، تاريخ المسلمين، ص٥٥١.

الأول من جيش الطليعة وكانوا بقيادة القائد القشتالي ديجو لوبيث دي هارو وعددهم ستون ألف مقاتل على الأقل او مائة الف مقاتل، أما الجيش الثاني فقد تألف من جيوش أراغون وقطلونية وفرسان الداوية والجمعيات الدينية وكانوا بقيادة ملك أراغون بيدرو الثاني، بينما تألف الجيش الثالث، وهو الأكبر، من قوات ممالك قشتالة وليون والبرتغال وكانوا بقيادة الملك الفونسو الثامن وأسقف طليطلة ورودريغو خمنيث والأمير البرتغالي بيدرو، وعددهم ثلاثون ألف فارس، سار الجيش الصليبي بقيادة الملك الفونسو الثامن وبلغ حدود الأندلس وأستولى على حصن ملجون[1]، واستاق سكانه قتلاً وتنكيلاً، ثم حاصروا قلعة رباح، فاضطرت حامية القلعة المتكونة من سبعين فارساً بقيادة أبو الحجاج يوسف بن قادس[2]، للاستسلام مقابل الأمان، وافق الملك الفونسو الثامن على إعطاء الأمان لهم، إلاَّ أن الصليبيين الذين كانوا معه رفضوا ذلك وأصروا على أخذ القلعة، ووقف الملك الفونسو الثامن في وجه هؤلاء الصليبيين وأصر على إعطاء الأمان للموحدين، الأمر الذي أثار سخط وحقد الصليبيين عليه، فتخلى عنه خمسون ألف مقاتل[3].

في ظل تلك الظروف العصيبة، استأنف النصارى زحفهم المتواصل بعد أن أستولوا على قلعة رباح المنيعة، تقدموا حتى وصلوا إلى حصن العُقاب، ذلك الحصن الإسلامي الكبير والقوي، وأزهقوا أرواح حاميته الأشداء، ولم يكتفِ النصارى بذلك، بل اتجهوا صوب ابذة بعزيمة لا تلين وإزاء هذا التهديد الخطير، تحرك محمد الناصر على رأس جيوش كثيفة متوجهاً شمالاً لمواجهة خصمه اللدود، وفي خطوة استراتيجية بارعة، قسم محمد الناصر جيوشه إلى خمسة أقسام فكان القسم الأول من قبائل العرب الأشداء، والثاني من قبائل البربر المدججة بالسلاح أمَّا الثالث فضم المتطوعين الذين حملوا السلاح دفاعاً عن الإسلام، بينما ضم الرابع الجند النظامي المدرب تدريباً عالياً وفي القسم الخامس والأخير، كان الجند الأندلسي الذين حملوا معهم الخبرة والتضحية في سبيل الدين وكان عدد المتطوعة مئة وستين ألف فارس وراجل،

(١) ملجون: وهو حصن من حصون الحدود الإسلامية قام النصارى بمهاجمته والاستيلاء عليه. ينظر، عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص ٢٩٦.

(٢) أبو الحجاج يوسف بن قادس: لم أعثر له على ترجمة في كتب التراجم.

(٣) ابن أبي زرع، الانيس المطرب، ص٢٣٧؛ أشباخ، تاريخ الاندلس، ١١٢/٢-١١٣؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص ٢٩٥-٢٩٦؛ حبيب وآخرون، معركة العقاب، ص٦٣-٦٤؛ طقوش، تاريخ المسلمين، ص٥٥١-٥٥٢.

أما العبيد فكانوا ثلاثين ألفاً[١]، وقيل إن إجمالي قوات الجيش الموحدي كان كثيراً لا يحصى، إذ وصفه ابن أبي زرع [٢]، بالجراد المنتشر، على أيةِ حالة نظم الطرفين قواتهما استعداداً لخوض المعركة فمن جانب المسلمين، نظّم محمد الناصر جيشه بحكمةٍ وفطنة، مدركاً أهمية توظيف مختلف المكونات العسكرية في تشكيل قواته فجعل المتطوعين في المقدمة، والموحدين في قلب المعركة، بينما وضع الأندلسيين والبربر في الأجنحة أمّا من طرف النصارى، فقد أظهر الفونسو الثامن براعته القيادية في تقسيم قواته إلى ثلاثة محاور: قلب المعسكر بقيادته المباشرة مع قوات مملكتي ليون والبرتغال، والجناحان الأيمن والأيسر بقيادة حلفائه [٣].

التقت القوات النصرانية والقوات الموحدية في معركة مصيرية على أرض الواقع هذا اللقاء الحاسم دار رحاه في وادٍ يُعرف بأسم "نافاس" بالقرب من بلدة تولوزا، والذي أسفر عن تسمية هذهِ المعركة باللغة الأسبانية بـ "Las Navas de Talasa" لاس نافاس دي تولوزا"، وهذا الأسم ما زال يطلق حتى اليوم على قرية صغيرة تقع في سفح جبال الشارات، او معركة ابذة بالقرب من حصن اموي قديم قرب فحص البلوط يسمى العُقاب ؛ لذلك اطلق عليها معركة العُقاب او معركة حصن العُقاب، وبناء على ذلك فقد دارت المعركة بين الطرفين في صفر سنة ٦٠٩هـ/تموز ١٢١٢م، اشتبك الفريقان في رحى معركة حاسمة، وفي هذا الصراع جاب المتطوعون المسلمون إلى ساحة المعركة مدفوعين بايمانهم وتفانيهم في سبيل دينهم إلاَّ أنَّ الصفوف النصرانية كانت قد أعدت جيداً لهذا اللقاء، فتصدت بقوة لهجومهم، وتمكنت من صدِّ زحفهم والإطاحة بهم بخسائر فادحة في صفوفهم ففي تلك المواجهة الحاسمة، ارتقى آلاف المقاتلين المسلمين إلى مصاف الشهداء في سبيل عقيدتهم[٤]، وبحسب إحدى الروايات، فقد قاتل المتطوعون المسلمون حتى آخر رجل، دون أن تتمكن بقية القوات من إنقاذهم[٥].

(١) عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص ٣٠٠؛ طقوش، تاريخ المسلمين، ص٥٥٢؛ حبيب وآخرون، معركة العقاب، ص٦٤-٦٥.

(٢) الانيس المطرب، ص٢٣٩.

(٣) أشباخ، تاريخ الاندلس، ١١٧/٢-١١٨؛ طقوش، تاريخ المسلمين، ص٥٥٣؛ حبيب وآخرون، معركة العقاب، ص٦٥.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب (قسم الموحدين)، ص ٢٦٣؛ أشباخ، تاريخ الاندلس، ١١٩/٢؛ طقوش، تاريخ المسلمين، ص٥٥٥،٥٥٣؛ حتاملة، الاعتداءات الإفرنجية، ص٢٠؛ حبيب وآخرون، معركة العقاب، ص٦٩.

(٥) ابن أبي زرع، الانيس المطرب، ص٢٣٩؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص ٣١١.

على إثر ذلك شعر النصارى بالتشجيع والثقة مما دفعهم إلى التركيز على قلب الجيش الموحدي والاشتباك مباشرة مع جنوده، إلا أن هذا الهجوم لم ينجح في اختراق صفوف المسلمين المتماسكة، وبذلك بدا النصر حليف المسلمين، ولكن سرعان ما تدخل الملك الفونسو الثامن بقواته المكونة من عدة ممالك نصرانية، واندفع باتجاه جناحي الجيش الموحدي، مما أدى إلى تشتيت صفوفهم، ثم تركزت المواجهة العنيفة على القلب، حيث كانت خيمة الناصر، هناك اشتبك الجانبان في قتال شديد أستبسل الطرفان به، وتمكن الجيش النصراني من تفريق صفوف قوات الموحدين كان هذا الهجوم ضربة قاصمة للجيش الموحدي، الذي لحقت به خسائر فادحة في الأرواح لا تُحصى ولا تُعد، وقيل بشأن الحادثة: ((وتحمت فيهم سيوف الروم فاستاصلوهم حتى فني جميعهم ولم ينج منهم الا الوأحد في الالف))[1]، حتى أنَّ أحد النصارى نادى "ألا لا أسر إلاَّ القتل ومن أتى بأسير قتِل هو وأسيره" فحكمت سيوف النصارى على المسلمين رغم أن المصادر لا تذكر أن النصارى أسروا أحداً من المسلمين في تلك المعركة، إلا أن الفونسو الثامن تمكن من الاستيلاء على كامل معسكر المسلمين وما فيه من غنائم، ومن المسلم به أنَّ هذا الانتصار العسكري للنصارى لم يأتِ إلا على حساب خسائر فادحة في صفوف المسلمين، فقد هلك عدد كبير من أفراد جيش المسلمين، بما في ذلك بعض من كبار القادة والعلماء[2].

في ظل سياسات النصارى الجائرة، لم يكن السبي بعيدا عن دائرة تأثيرها فقد شهدت هذهِ المعركة ممارسات مروعة تنم عن انحطاط الروح الإنسانية، إذ قام النصارى بسبي النساء والأطفال على نطاق واسع وباعداد لا يمكن حصرها أو إحصاؤها، وقد قيل بشأن هذهِ الحادثة: ((وفصل الأدفنش –لعنه الله– عن هذا الموضع بعد أن امتلأت يداه وأيدي أصحابه أموالاً وأمتعة من متاع المسلمين؛ فقصد مدينتي [بياسة[3]] وأبذة؛ فاما بياسة فوجدها أو أكثرها خالية، فحرق أدورها وخرب مسجدها الأعظم؛

(١) ابن أبي زرع، الانيس المطرب، ص٢٣٩؛ حبيب وآخرون، معركة العقاب، ص٦٩–٧٠.

(٢) ابن أبي زرع، الانيس المطرب، ص٢٣٩–٢٤٠؛ أشباخ، تاريخ الاندلس، ١١٩/٢–١٢٠؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص ٣١٢؛ طقوش، تاريخ المسلمين، ص٥٥٥،٥٥٣؛ خطاب، قادة فتح الأندلس، ١٢٦/٢.

(٣) بياسة: مدينة كبيرة بالأندلس معدودة في كورة جيّان، بينها وبين أبّدة فرسخان، وزعفرانها هو المشهور في بلاد الغرب، دخلها الروم سنة ٥٤٢، وأخرجوا عنها سنة ٥٥٢، وبينها وبين جيان عشرون ميلاً، وكل واحدة منهما تظهر من الأخرى. وبياسة على كدية من تراب مطلة على النهر الكبير المنحدر إلى قرطبة، وهي مدينة ذات أسوار وأسواق ومتاجر وحولها زراعات، ومستغلات الزعفران بها كبيرة. ينظر، الحموي، معجم البلدان، ٥١٨/١؛ البغدادي، مراصد الأطلاع، ٢٣٦/١؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٢١.

ونزل على أبذة وقد اجتمع فيها من المسلمين عدد كثير من المنهزمة وأهل بياسة وأهل البلد نفسه؛ فاقام عليها ثلاثة عشر يوما، ثم دخلها عنوة فقتل وسبى وغنم؛ وفصل هو وأصحابه من السبي من النساء والصبيان بما ملئوا به بلاد الروم قاطبة؛ فكانت هذهِ أشد على المسلمين من الهزيمة!)) [١].

وقد تركت هذهِ المعركة نتائج كبيرة وبعيدة المدى على بلاد المغرب والأندلس يمكن ايجازها بالنقاط التالية:

١- أستولى النصارى في محلة الجيوش الموحدية على الكثير من الغنائم منها الاسلحة والعتاد والخيام والذهب والفضة والنقود وعلى اعداد هائلة من الدواب وكان من أبرز الغنائم خيمة الناصر الحريرية الموشاة بالذهب وعلم كبير للموحدين ما زال محفوظاً حتى الآن بين ذخائر اسبانيا[٢].

٢- اتاح هذا النصر للفونسو الثامن أنْ يتوغل في الأراضي الإسلامية وأستولى على عدة حصون وبعض المدن المهمة التي اخذت من المسلمين عنوة ومنها مدينتي بياسة وابذة وهذهِ المدن من المدن التي دافع عنها المسلمون وخسروا ارواحهم في سبيل الحفاظ عليها [٣].

٣- أسفرت هذهِ الهزيمة آثار فادحة حيث قضت هذهِ الهزيمة على سمعة الموحدين العسكرية في شبه الجزيرة الأيبيرية وتحطم الدرع الذي كانت تشكله الجيوش الموحدية القادمة من وراء البحر على الأندلس وعلى دولة الإسلام بها وتضعضع سلطان الحكم الموحدي بالأندلس، وأخذت الأندلس من ذلك الوقت تنحدر إلى مهاوي الفوضى الطاحنة وانتشرت إلى أحزاب وشيع جديدة قامت لتضرب بعضها بعضاً [٤].

٤- كما تجسد ذلك النصر الباهر الذي أحرزته الجيوش النصرانية تفوقها السياسي والعسكري في شبه الجزيرة الأيبيرية، وفتح الباب واسعاً على مصراعيه لغزو الأسترداد النصراني المنظم بانتزاع المدن والحصون الأندلسية كذلك السيطرة على بقايا الأندلس الكبرى بصورة متتابعة وفي فترات قصيرة [٥].

---

(١) المراكشي، المعجب، ص٢٣٦؛ الحجاج، جرائم النصارى، ص٨٤؛ حبيب وآخرون، معركة العقاب، ص٦٨.

(٢) عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص ٣١٦-٣١٧؛ حبيب وآخرون، معركة العقاب، ص٧٢.

(٣) أشباخ، تاريخ الاندلس، ١٢٣/٢؛ طقوش، تاريخ المسلمين، ص٥٥٧.

(٤) عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص٣٢٠؛ طقوش، تاريخ المسلمين، ص٥٥٦.

(٥) عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص٣٢٠؛ طقوش، تاريخ المسلمين، ص٥٥٦.

كانت هزيمة معركة العقاب ضربة شديدة لسلطان الموحدين إذْ عُدَّت بداية النهاية للدولة الموحدية في الأندلس وسرى هذا التوجس إلى كتاب العصر وشعرائه وظهر واضحاً في رسائلهم وقصائدهم إذ جسد الشاعر أبو إسحق إبراهيم بن الدباغ الإشبيلي[1]، هذهِ الهزيمة بابيات شعرية قائلاً :

**وقائلة أراك تطل تفكرا ... كأنك قد وقفت لدى الحساب**

**فقلت لها أفكر في عقاب ... غدا سبباً لمعركة العقاب**

**فما في أرض أندلس مقام ... وقد دخل البلا من كل باب**[2].

أمَّا فيما يخص الأسباب التي أدت إلى هزيمة الموحدين في هذهِ المعركة فيمكن إجمالها في النقاط التالية:

١- تغيير قلوب الموحدين وسخطهم على الوزراء ؛ وذلك بسبب تأخر اعطياتهم اذ جرت العادة منذ ايام الخليفة المنصور أَنْ يمنح العطاء للجند مرة كل أربعة أشهر دون تأخير، أمَّا الناصر فقد أبطأ عن الجند النظاميين عطاءهم، لاسيما في هذهِ الحملة الكبيرة فنسب الجند هذا التأخير للوزراء، وخرجوا إلى الغزو وهم كارهون وقد تدنت قوأهم المعنوية وبهذا فأن الناصر خرج إلى المعركة بحشود لا فائدة لهم في الغزو وقد أمسكت أرزاقهم، وهذا ما ذكره المراكشي[3]، عندما قال: ((وخرجوا وهم كارهون؛ فبلغني عن جماعة منهم أنهم لم يَسلوا سيفا ولا شرعوا رمحا ولا أخذوا في شيء من أهبة القتال؛ بل انهزموا لأول حملة الإفرنج))[4].

٢- مقتل القائد الأندلسي أبو الحجاج يوسف بن قادس صاحب قلعة رباح وصهره على يد الخليفة الناصر دون أن يستقبله أو يستمع إلى عذره، وذلك بتحريض من وزيره ابن جامع الأمر الذي انعكس سلباً على معنويات الجند الأندلسيين فحقدوا على الخليفة ووزيره ابن جامع،

---

(١) أبو إسحق إبراهيم بن الدباغ الإشبيلي: لم أعثر له على ترجمة في كتب التراجم.

(٢) المقري، نفح الطيب، ٤٦٤/٤؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص٣٢٠؛ خطاب، قادة فتح الأندلس، ٩٣/٢.

(٣) المعجب، ص٢٣٥.

(٤) عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص٣١٨؛ حبيب وآخرون، معركة العقاب، ص٧٥-٧٦؛ طقوش، تاريخ المسلمين، ص٥٥٦.

كذلك ما قام به الوزير ابن جامع بإهانة القادة الأندلسيين وإنذارهم بمغادرة الجيش وقد كان لهذهِ الحوادث أسوأ الأثر في نفوس الجند الأندلسيين وفي تثبيط همتهم في القتال فأنسحبوا من أرض المعركة أثناء القتال وجروا الهزيمة على الموحدين، وكان الأندلسيون بالرغم من أعدادهم القليلة الا أنهم شكلوا عنصراً مهماً في الجيوش الموحدية، لأنهم كانوا أكثر خبرة بقتال النصارى الأسبان، وأكثر دراية بطريقتهم في الحرب، والمعروف إنَّ الخليفة الناصر سخط على هذا القائد ؛ لأنَّهُ أستسلم وأعتقد أنَّهُ قصر في واجبه فأقدم على قتله [1].

٣- تعاون الممالك النصرانية وأشتراكها جميعاً في القتال للوهلة الأولى واستجابة الصليبيين الاوربيين لنداء البابا أنوسنت الثالث إلى الحرب الصليبية واشتراكهم في القتال إلى جانب النصارى الأسبان ساعد على انتصارهم وهزيمة الموحدين هزيمة ساحقة [2].

٤- ارسال الناصر أفضل جنوده إلى حصن شلبطرة الجبلي المنيع وهو خطأ عسكري فادح قد أرتكبه إذ أنهمك بذلك قواهم بفعل ما عانوا من صعوبة الطقس وقسوته كذلك المرض الذي اودى بحياة الكثير منهم ولا شك بأنَّ مناعة حصن شلبطرة ومقاومته الطويلة كانت تصب في صالح النصارى [3].

٥- وأخيراً فان أحد أسباب هزيمة الموحدين هو الاغترار بالعدد، فما أبداه الناصر من العُجب والاعتزاز بكثرة جموعه، واعتماده على تفوقه العددي، والتقليل من شأن العدو كان له أثر كبير فيما بدا من التهور، وعدم الحرص والتأهب في لقاء العدو، وقيل إنَّ هزيمة الناصر في المعركة كانت عقوبة من الله على ما أبداه من العجب والاعتداد بكثرة جموعه، واعتقاده أنهُ لا غالب له من الناس[4].

(١) ابن أبي زرع، الانيس المطرب، ص٢٣٨؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص٣١٨؛ طقوش، تاريخ المسلمين، ص٥٥٦.

(٢) طقوش، تاريخ المسلمين، ص٥٥٦.

(٣) طقوش، تاريخ المسلمين، ص٥٥٦.

(٤) عنان، دولة الإسلام، العصر الثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ص٣١٨؛ حبيب وآخرون، معركة العقاب، ص٧٦.

# الخاتمـــــــــة

## الخاتمة

بعد الأطلاع على الروايات التاريخية وقراءتها وتحليلها توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

١- من خلال التطرق إلى المبنى اللغوي والأصطلاحي للسبي توضح لدينا أنَّ مصطلح السبي يطلق على أسر النساء والأطفال في المعارك والغزوات العسكريه وجعلهم إماء وعبيد ولا يطلق هذا المصطلح على الرجال وإنما يُطلق عليهم مصطلح الأسر.

٢- تناولت الدراسة بعض المفاهيم والمصطلحات ذات الصلة بممارسات السبي، وقد تم استقصاؤها في ضوء الاطلاع على المعاجم اللغوية، ومن هذهِ المفردات هي الجلب والبردج والأخذ والاخيذ والاسترقاق والنزع والحبس، وتُظهر هذهِ المفاهيم اللغوية الممارسات القاسية وانتهاكات الفرد التي كانت سائدة انذاك.

٣- كان السبي من العادات المألوفة عند العرب قبل الإسلام؛ وذلك بسبب المعارك التي تنشأ بين القبائل العربية والتي يقع على أثرها سبي النساء والاطفال من قبل القبيلة المنتصرة كما كان يطلق على المرأة الاسيرة أسم النزيعة.

٤- اوضحت الدراسة إنَّ السبي كان معروفاً عند الكثير من الحضارات القديمة والأمم السابقة فقد عرف عند العراقيين القدماء كما عرف أيضاً عند اليونان والرومان كذلك عند الفرس والأحباش حيث كان السبي من أهم ما يمكن أنْ يحصل عليه المنتصرون في الحروب؛ لانَّهُ غايتهم الأساس من الحرب ذلك يعزز انتصاره بالنجاح.

٥- لم تذكر الدراسة أي آية قرآنية أو حديث نبوي شريف يدل على السبي بشكل صريح وإنما وجدت بعض الآيات القرانيه التي أباحت الزواج من النساء المسبيات وذكرت بعض الاحاديث النبويه بعض الوصايا بالنساء المسبيات.

٦- بينت الدراسة أنَّ شبه الجزيرة الأيبيرية سميت بأسماء عدة بعضها نُسب إلى أسماء أنهارها وبعضها الآخر إلى أسماء الشعوب والقبائل التي سكنت في ربوعها، أو أرتبطت بأسم أحد الكواكب.

٧- اوضحت الدراسة إنَّ أسبانيا او الأندلس هي عبارة عن شبه جزيرة محاطة بالمياه من الشرق والجنوب والغرب وتقع أسبانيا في الجنوب الغربي من أوروبا على مثلث من الارض يضيق كل ما توجهنا شرقاً ويتسع غرباً مقابل السواحل الشمالية للمغرب.

٨- وقد كشفت الدراسة حقيقة معينة مفادها أنَّ قدوم المسلمين إلى شبه الجزيرة الأيبيرية لم يكن صدفة وانما كان هدف مخطط له مسبقا، إذ لم تكن شبه الجزيرة الأيبيرية مجهولة بالنسبة لهم، وكانت أولى المحاولات التي طُرحت لوصول المسلمين إلى الأندلس هي في زمن الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك، فتمكن المسلمين من الوصول إلى كافة ارجاء الأندلس وفتحها وجعلوها خاضعة للحكم الإسلامي.

٩- تعد معركة كورة شذونة أحدى أهم المعارك الفاصلة في تاريخ فتح الأندلس إذ كانت نقطة تحول في التاريخ الأندلسي بصورة خاصة والتاريخ الإسلامي بصورة عامة لأنها سهلت القضاء على سيطرة القوط على البلاد وكانت بمثابة الباب الذي دخل من خلاله المسلمون إلى الأندلس، كما أنَّها احدثت رعباً لدى سكان القوط الأمر الذي دفعهم إلى مغادرة المدن واللجوء إلى السهول والمرتفعات والتحصن بها.

١٠- بينت الدراسة أنَّ حملات الفرنج كانت تتجه بالأخص إلى اطراف الثغر الادنى، ويعود السبب في ذلك؛ لبعدها عن حكومة قرطبة، كذلك ضعف وسائل الدفاع فيها وتوغلوا في حملاتهم حتى قلمرية واشبونة، وعانى المسلمون في تلك الأنحاء كثيرا من جراء غزوات النصارى.

١١- أنَّ بلاد الأندلس لم تكن بعيدة عن خطر هجمات النورمان (الفايكنك) لاسيما أنهم أشتهروا بخبرتهم العريقة في جوب البحار، و برعوا في مغالبة قسوة أنواء الجو، وفي معرفة الطرق البحرية والتيارات المائية وبدأوا في اوآخر القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، يشنون حملاتهم البحرية الناهبة إلى شواطىء الجزر البريطانية وكانت روح المخاطرة تدفع بهم دائما إلى عرض البحار، وتجعلهم خطراً دائماً على الشواطىء والثغور المجاورة.

١٢- كان النصارى الأسبان يستغلون الفرص وأنشغال حكام الأندلس في مواجهة التحديات الداخلية والتمردات السياسية التي تندلع في جميع أنحاء البلاد يقومون بشن الهجومات والأغارة على الأراضي الإسلامية فيقتلون الرجال ويسبون النساء والأطفال.

١٣- بينت الدراسة إنَّ الفتنة القرطبية كانت منعطفاً هاماً في تاريخ الأندلس إذ عدت هذهِ الفتنة بمثابة بداية النهاية للوجود الإسلامي في الأندلس ؛ وذلك لأنها اثرت على كافة الاصعدة ودخلت الأندلس في دوامة الفوضى والخراب خصوصاً بعد ضعف سلطة الأمويين المركزية في قرطبة وسقوط الخلافة الفعلية فمهدت لظهور دول الطوائف، كما تفوق العنصر النصراني في الأندلس وأستولوا على العديد من المدن والحصون وعم القتل والحرق والسبي للسناء والاطفال.

١٤- كما كشفت الدراسة أنّ النصارى الأسبان اتبعوا في حروبهم مع المسلمين سياسة قاسية قائمة على التجويع والأرهاق والوحشية اذ كانت جرائم قوات الحملة الصليبية من أبشع الجرائم التي يندى لها جبين الانسانية تلك الجرائم الفظيعة المجردة من الانسانية تماماً التي أنزلها النورمان بالمسلمين ما بين القتل بالسيف والقتل بالضمأ، كذلك فأنَّ عمليات الأسر والسبي وغيرها من الجرائم الوحشية التي ارتكبت في بلاد شبه الجزيرة الأيبيرية كانت سائدة ومعبرة عن الصراع الإسلامي النصراني انذاك.

١٥- كانت معركة الزلاقه من المعارك الحاسمه في تاريخ الدوله الإسلامية في الأندلس إذ ترتب عليها انتصاراً باهراً للمسلمين بقيادة الأمير يوسف بن تاشفين، وهزيمة ساحقة للقوات النصرانية بقيادة الفونسو السادس، وقد انتشر هذا النصر عبر مدن المغرب وافريقية وازال هذا النصر العار الذي لحقَ بملوك الأندلس جراء هزائمهم السابقة أمام الفونسو السادس كما رفعت هذهِ المعركة سمعة المرابطين ولُقبَ أميرهم يوسف بن تاشفين بأمير المسلمين عقب هذا الانتصار كما أطالت معركه الزلاقة عمر الدولة الإسلامية في الأندلس.

١٦- بينت الدراسة إنَّ الموحدين حققوا انجازات عظيمة على الصعيدي العسكري والاقليمي اذ استطاعوا ان يثبتوا ملك الموحدين في الأندلس خصوصاً بعد تفوقهم في معركه الارك سنة ٥٩١هـ/١١٩٤م على النصارى الأسبان، التي بلغ عقبها سلطان الموحدين أوج العظمة والقوة، وقضت على القوة الميدانية للجيش النصراني ولم ينهض من وقعته ويسترجع مكانتة الا بعد سنوات عديدة.

١٧- واثبتت الدراسة أنَّ الانجازات التي حققها الوحدين لم تستمر طويلاً خاصة بعد تلك النكبة التي شهدتها الدولة الموحدية في معركة العقاب سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م، التي انتصر بها النصارى وهزم بها الموحدين هزيمه ساحقه وقد اثرت هذهِ الهزيمه تاثيراً كبيراً على بلاد المغرب والأندلس كما توفي محمد الناصر متأثراً لهذهِ الهزيمه كما وضعت هذهِ المعركه حداً لفتوحات المسلمين في الأندلس ومهدت لحروب الأسترداد فيما بعد.

# قـائمة الملاحـــق

## ملحق رقم (١)

## (رسـالة يوسف بن تاشفـيـن الى المعز بن بـاديس عقب موقعة الزلاقة) [١]

رسـالة كتب بها الأمير أبو يعقـوب يوسف بن تاشفـيـن إلى النـاصـر بديـن الله تميم بن المعز بن بـاديس بـالمهـدية. يصف فـيها بلاد الغرب، وجوازه للأندلس للجـهاد بها، وهزيمتـه للأذفـونش أمير النصارى فـي رجب سـنة تسع وسـبـعيـن وأربـعمـائة.

"الحـمـد لله الـذي مـن عـلـيـنـا بـالإسـلام، وفضلنـا بمحـمـد عـليه السـلام، أحـمـده حـمـداً يوجب المزيد مـن آلايه، والسبوغ مـن سر الله ونعمـائه. كان مـن قضايه جل شـاوه، وتقـدمت أسـمـاؤه، لمـا أراد قمع المـردة الطغاة مـن زنـاتة وغيرهم فـي بلاد المغرب، سـبب لنـا إليهم المطلب، فـقفـونـا آثارهم، وأخليـنـا مـنهم ديـارهم، وكذلك نفعـل بـالقـوم الظالميـن، فـقـومـنـا الدّيـن، ومهـدنـا بها المسـلميـن، فصفت لنـا ضمـائرهم، وخلصت إلى ألله تعالى نيـاتـهم، وسـرايرهم، حتى وصلنـا طنجة الركاب، وأذقنـا بـرغواطة سـوم العذاب، ففتح الله لنـا وبها، وهو خير ألفـاتحيـن، وأسـرع الحـاسـبيـن، لا إله غيره وهو أرحـم الراحـميـن. ولمـا بلغنـا مـن استحواذ النصارى، دمـرهم الله، عـلى بلاد الأنـدلس ومعاقـلها، وإلزام الجزية لرؤسـائهم، واستيصال أقـالمها، وإيطـايهم البلاد داراً داراً، لا يتخوفـون عسكـراً يخرج إليهم، فـيبدد جـمعهم، ويفل حـدهم، وهم مع ذلك كله يقـتلون الشيب والشبـان، ويـاسـرون النسـاء والصبيـان. فخوطبـا عن الجواز إلى الأنـدلس مـن جـميع الأحواز، المـرة بـعـد المـرة، وألوتنـا الأعذار إلى وقـت الأقـدار، ولم نجد للجواز بـابـا، ولا لدخول البحر أسـبـابـا، فـانضم لنـا مـنهم الريس الأجل المعتمـد عـلى الله، المولاّ بنصـر الله، أحسـن الله فـي كل الأمور عونه، وأقـر بكل صالحة عينه، فعزمـنـا عـلى الغـزو، وجوزنـا للعـدو أسـوداً ضارية، وسـبـاعاً عادية، شيبـا وشبـانـا، بسـواعـد قـوية، وقـلوب فـي سـبيل الله نقية، قـد عـرفـوا الحرب وجربوها، فهي المهم وهم بنـوها، يتلمظون تلمظ الـفهود، ويزءرون إليها زءر الأسـود، فشحنـا بهم القـوارب، وأوسعنـاهـم عـلى ظهور المـراكب، فخرجنـا فـي مـرسى الجزيرة الخضراء مـن ديـاره، وفـقه الله، ففزع النـاس مـن كل أفـق إليهم، ووفدوا مـن كل قطر إليهم، متعجبيـن مـن هيـاتـهم، محتقـريـن لزيهم ونغمـاتـهم، لا يروعهم منهم حـاشى الخيل والدرق، وهم مع ذلك لا ينـالون إلا بـعـد جف الريق ومسح العـرق، وقـدروا أنهم طعم للسـيوف، وغرض للحتـوف، وسعـد للأرمـاح، ونهب للسـلاح، فكل استصغرهم، والجـميع مـنهم احتقـرهم، وتبلغ إلينـا أخبـارهم وأقـوالهم، وتنتـهي إلينـا أفعالهم،

(١) عنان، دولة الإسلام، ٢/ص٤٤٦-٤٥٠.

ثم اتبعناهم جيشا بعد جيش، بخيول كالفحول، عليها الكهول، وعدد من كل أمرد، على أجرد، يتسابقون إلى اللقاء في الفضاء، تسابق الحين والقضاء. ومع هذا كله إن أهل الأندلس مستبشرون بنصرهم على أيدينا، وإزاحة غمتهم بسببنا، وعساكرنا تتزيد، وجوازنا يتأكد، وكان آخر من جاز منا ومعنا، قطعة من صنهاجة بني عمي، فعسر البحر حينئذ للجواز، واضطربت في الأمواج، فاستصرخنا الباري تعالى جده، وعظم أسمه، إن، كان في جوازنا خيرة للمسلمين أن يسهل علينا، فما استكملت من كلامي، حتى سهل الله المركب، وقرب المطلب. فخرجنا من الحين في مرسى الجزيرة الخضراء المذكورة، والتأم شعبتنا مع من جاز من عسكرنا، فعملنا على السير، وكان قد تقدم إلينا بالعدوة من قبل الأدفونش أمير النصارى رسالة يخاطبنا فيها بالجواز إلينا إذا عجزنا عنه، وفرقنا منه، نعطوه المراكب، ونسلموا إليه الشواني والقوارب، ليرد علينا ويقاتلنا في مامننا، فلم نلتفت إليه، ولاعرجنا عليه. ووصلنا أيدينا بالريس الأجل المعتمد على الله المؤيد بنصر الله، وأستوثقنا منه غاية الاستيثاق، وبنينا معه على اللحاق بهم، والورود عليهم، ونحن في ذلك كله لما نقل إلينا، وورد علينا من رؤساء الأندلس، مستبطئين سريرة المخبتِين، لابسين قسوة الصالحين، وقلوبنا شتى، حتى لحقنا إشبيلية حضرته، عمرت ببقايه، وقد تجمع له من جنوده أعداد، ومن حشمه وعبيده وخيله ورجله أجناد، فصرنا إلى مدينة بطليوس، وأقمنا بها أياما منتظرين لوفد الرؤساء من جميع أقطار الأندلس، فاخبرنا وصح عندنا أن كل واحد منهم مشتغل مع قطعة كثيرة من النصارى، قد تغلبوهم على حصونهم، وأذلوهم في بلادهم، وأضعفوهم، وشجعوهم على مر ادهم، فحمدنا الله تعالى، ودعونا بتيسير المراد، واستنقاذ العباد. فجمعنا عساكرنا وسرنا إليه، وصرنا إلى قفل قورية من بلاد المسلمين صرفها الله، فسمع بنا، وقصدنا قصدنا، وورد ورودنا، واحتل بفنائها منتظراً لنا، فبعثنا إليه نحضه على الإسلام، ودخوله في ملة محمد عليه السلام، أو ضرب الجزية عليه وإسلام ما كان من المال والبيوت لديه، كما أمرنا الله تعالى، وبين لنا في كتابه، من إعطاء الجزية عن يد وهم صاغرون، فابا وتمرد، وكفر ونخر، وعمل على الإقبال علينا، وحث في الورود علينا، فلحقنا وبيننا وبينه فراسخ، فلما كان بعد ذلك، برزنا عليه أياما، فلم يجبنا، فبقينا وبقوا، ونحن نخرج الطلايع إليه، ونتابع الوثوب عليه، وبنينا على لقايه يوم الخميس لإحدى عشر ليلة خلت لرجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة. فلما كان يوم الجمعة ثانية، ورد علينا بكتايب قد ملأت الآفاق، وتقلبت تقلب الحتوف للأحداق، قد استلموا الدروع للكفاح، وربطوا في سوقهم الألواح، وبطونهم ملأ من الخمور، يقدرون أن الدائرة علينا تدور، ونحن في أخبيتنا صبيحة اليوم المذكور، كل منا ساه وجميعنا لاه، فقصد أشدهم

شوكة، وأصلبهم عوداً، وأنجدهم عديداً، محلة المعتمد على الله المؤيد بنصر الله، وفقه الله، عماد رؤساء الأندلس وقطبهم، لا يقدرون عسكراً إلا عسكره، ولا رجال إلا رجاله، ولا عديداً إلا عديده، وداود من أصحابنا منا إلى إزايه، فهبطوا إليه لفيفا واحداً، كهبوط السيل، بسوابق الخيل، فلما كان معه من جنده ومن جميع الطبقات، الذين كانوا يدخرون من قبله الأموال والضياع، استكت آذانهم، واضطربت أضلاعهم، ودهشت أيديهم، وزلزلت أقدامهم، وطارت قلوبهم، وصاروا كركب الحمير، فروا يطلبون معقلا يعصمهم، ولا عاصم إلا الله، ولا هاربا منه إلا إليه، فلحقوا من بطليوس بالكرامات، لما عاينوا من الأمور المعضلات، وأسلموه أيده الله، وحده في طرف الأخبية، مع عدد كثير من الرجالة والرماة، قد استسلموا للقضاء، فوثبوا عليه وثب الأسد على الفرايس، يعظمون الكنايس، فحبسهم حينا وحده مع من إليه ممن ذكرناه، وبسطوا منهم الأرض، ولم يبق من الكل إلا البعض، ولجا في الأخبية، بعد أن عاين المنة، وتخلصه الله بنيته في المسلمين وبلغه أمنيته، بعد أن وقف وقفة بطل مثله، لا أحد يرد عليه، ولا فارس من فرسانه وعبيده يرجع إليه، لايروعه أحد منهم فيهزم، ولا يهابهم فيسام، ثم قصدت كتيبته سوداً كالجبل العظيم أو الليل البهيم، عسكر داود وأخبيته، فجالوا فيها جولانا، وقتلوا من الخلق ألوانا، واستشهد الكل بحمد الله وصاروا إلى رضوان الله، ونحن في ذلك كله غافلون، حتى ورد علينا وارد، وقصد إلينا قاصد، فخرجنا من وراء الشعب، كقطع اللهب، بجميع من معنا، على الخيل المسومة العراب، يتسابقن الطعن والضراب، فلما رأونا، ووقعت أعينهم علينا، ظنوا أن الدائرة فينا ولدينا، وأنا طعم أسيافهم ولقاء رماحهم، فكبرنا وكبر الكل معنا، مبتهلين لله وحده لا شريك له، ونهضنا للمنون الذي لا بد منه ولا محيص لأحد عنه، وقلنا هذا آخر يومنا من الدنيا، فلنموتوا شهداء، فحملوا علينا كالسهام، فثبت الله أقدامنا، وقوي أفئدتنا، والملائكة معنا، والله تعالى ولى النصر لنا، فولوا هاربين، وفروا ذاهبين، وتساقط أكثرهم بقدر الله تعالى دون طعنة تلحقه ولا ضربة تثخنه، وأضعف الرعب أيديهم، فطعناهم بالسمهرية دون الوخز بالإبر، وضاقت بهم الأرض بما رحبت، حتى أن هاربهم لا يرى غير شيء إلا ظنه رجلا، فتكت فيهم السيوف، على رغم الأنوف، فو الله لقد كانت تقع على الدروع فتفريها، وعلى البيضات فتبريها، وزرقوا الرجالة منا على خيلهم الرماح، فشكوهم بها فرمحت بهم، فما كنت ترى منهم فارسا إلا وفرسه واقف على رأسه لا يستطيع الفرار، الكل يجر عنانه، كأنه معقل بعقاله، ونحن راكبون على الجواد الميمون، العربي المصون، السابق اللاحق، المعد للحقائق، وما منا إلا من له جرناز فيه سيفان، وبيدنا الثالث، عسى أن يحدث من حادث، فصاروا في الأرض مجدلين، موتى معفرين، وقد تراجع الناس بعد الفرار، وأمنوا

مـن العثار، وتضافـروا مـع عسكـرنـا وغيرهـم، يقطعون رؤوسهـم، وينقـلون بـازاء المحلات، حتى عـلت كالجبـال الراسيـات، عـدد لا يقـدر، ومـدد لا يحزر، والتجريد فـيهـم، والأيدي متعاودة لبطونهم، واشتأصلنـا أكابـرهـم، وحللنـا دون أمـاطيهـم وأمـانيهـم، ومـا ربك بغافل عمـا يعمل الظالمون.

وانقطع مـن عسكـرهم نحو ألـفـي رجل أو أقـل، والأذفـونش فـيهـم عـلى مـا أخبـرنـا، قـد أثخنـوا جراحـا بـازاء محلاتـهـم، يرتادون الظلام للهروب فـي المقـام، والله لقـد كان الـفـرسـان والرجـالة يدخلون محلتـهـم، ويعثرون فـي أخبيتـهـم، وينتـهبون أزودتـهـم وهـم يـنظرون شزراً نظر التيوس إلى شفـار الجـازريـن، إلى أن جن الليل وأرخى سدوله، ولوا هاربيـن، وأسـلموا رحـايلهم صاغريـن، فكم مـن دِلاص عـلى البقـاع سـاقطة، وخيول عـلى البقـاع رابضة، ولقـد ارتبط كل فـارس مـنـا الخمسة الأفـراس أو أزيد. وأمـا البغال والحـمير فـاكثر مـن ذلك. وأمـا الثيـاب والمتاع فنـاهيك، والأسـرة بـاوطية الحرير، والثيـاب والأوبـار عـدد ليلهم، ولا يكلون فـي الانتقـال، ولا يسئمون مـن شريط الأموال، ولحقـوا قـورية ومـنها حيث ألقـت رحلها أم قشعم، فصححنـا ضمـائرنـا، وأخلصنـا للمعتمـد عـلى الله نيـاتنـا وسـرايرنـا، ورجعنـا بحـمـد الله غانميـن منصـوريـن، لم يستشهـد مـنـا إلا الـفـرقة التي قـدر الله عـليها بذلك، وقـدرنـا أن الكل مـنهم هلك لقـلة معـرفتـهـم وجـهالتـهـم بقـتال النصارى، وترامـيهـم للشهادة، قـدس الله أرواحهـم، وكـرم مثوأهـم وضريحهـم، وجعـل الجنة ميعاداً بيـننـا وبيـنهـم، وفـقـدنـا مـن أكابـرنـا نحو عشريـن رجلا ممـن شهـدت نجدتـه فـي المغرب، وانقـلبت خير مـنقـلب. ولحقنـا إشبـيلية حضرتـه عـمـرت ببقـايه، وأقـمـنـا عنده أيـامـا، ورفعنـا عنه مودعيـن لا تـودع قـاطع، ولا يـمنعنـا مـنه متى أحب مـانع، ولحقنـا الجزيرة الخضراء، ونحن نريد أشيـاء أسـال الله تمـامها وإنجـازها، وأن يسهل المـراد ويوفـقنـا للسداد، ومتى تنفس مـنهم متنفس، وأرجح إلى أحـدهـم نفس، يذكـرون مـا لقـوا، ويتذاكـرون مـا بقـوا، وسـنستدرجـهـم مـن حيث لا يعـلمون، ولا وأملي لهم إن كيدي متيـن، حتى لا يبقى عـلى أديم الأرض مـنهم حي، ولا يحس مـنهم أنسـي. والحـمـد لله رب العالميـن عـلى مـا قضى وخول وأعطى، وهـذا كله مـنـا مـنه عـليـنـا لا مـنـا عـليه، وصلى الله عـلى محـمـد خاتم النبـييـن، وقـائد الغر المحجليـن إلى جنـات الله النعيم، وآله الطيبـيـن، وسـلم تسـليمـا، والسـلام عـليك ورحـمة الله تعالى وبـركاتـه".

## ملحق رقم (٢)

## ((رسـالة الفـونسو الثامـن الى يعقـوب المـنصـور يدعوه الى القـتال))[١]

((بأسمك اللهم فاطر السماوات والأرض، وصلى الله على السيد المسيح، روح الله وكلمته السيد الفصيح. أما بعد، فانه لا يخفا على ذي ذهن ثاقب، ولا ذي عقل لازب، أنك أمير الملة الحنفية، كما اني أمير الملة النصرانية، وقد علمت الان ما عليه رؤساء الأندلس من التخاذل والتواكل وأهمال الرعية واخلادهم الى الراحة وأنا أسوقهم بحكم القهر وخلاء الديار وأسبى الذراري وأمثل بالرجال، واذيقهم عذاب الهون وشديد النكال، ولا عذر لك في التخلف عن نصرهم اذا أمكنتك يد القدرة، وانتم تزعمون أن الله تعالى فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم، فمادان خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا، ونحن الآن نقاتل عشرة منكم بواحد منا فلا تستطيعون دفاعا، ولا تملكون امتناعا، وقد حكي لي عنك أنك أخذت في الاحتفال وأشرفت على ربوة القتال، وتماطل نفسك عاما بعد عام، تقدم رجلا وتؤخر أخرا، فلا أدري أكان الحين أبطابك، أم التكذيب بوعد ربك ؟ ثم قيل لي أنك لا تجد الى جواز البحر سبيلا لعلة لا يسوغ لك التقحم معها، وما أنا أقول لك ما فيه الراحة لك، واعتذر لك وعنك، على أن نفي بالعهود والمواثيق وتستكثر من الرهان وترسل الي جملة من عبيدك بالمراكب والشواني والطرائد والمسطحات، وأجوز بجملتي اليك فاقاتلك في أعز الاماكن لديك، فان كانت لك فغنيمة كبيرة جلبت اليك، وهدية عظيمة مثلت بين يديك، وان كانت لي كانت يدي العليا عليك، واستحققت امارة الملتين والحكم على البرين والله تعالى يوفق للسعادة، ويسهل الارادة لارب غيره، ولا خير الا خيره)).

فلما قرأ المنصور الكتاب أخذته غيرة الاسلام، ثم أمر بقرائته على الموحدين، والعرب، وقبائل زناتة، والمصامدة، وسائر الأجناد، فقري عليهم فكلهم أنف منه ونعر، وعزم على الجهاد، واستعد للسفر، ثم دعا المنصور بولده وولي عهده، فدفع اليه الكتاب وأمره أن يرد على اللعين الجواب. فقرأه ثم مزقه وقلبه فكتب على ظهره: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَاتِيَنهُم بِجُنودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِنهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ**﴾[٢].الجواب ما ترا لاما تسمع.

واستشهد ببيت المتنبي:

**ولا كتب الا المشرفية عنده ... ولا رسل الا الخميس العرمرم**

(١) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٢٢٠-٢٢١.

(٢) سورة النمل، الآية ٣٧.

# قـائمة المصادر والمـراجع

# قـائمة المصادر والمـراجع

## اولاً: القـرآن الكـريم

## ثانيـا: المصادر العـربـية الأولية

**ابن الأبـار، أبـي عبد الله محمد بن عبد الله بن ابـي بكـر القضاعي، (ت ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م).**

١- الحلة السيراء، تحقيق حسيـن مؤنس، ط٢، دار المعارف، القـاهرة، ١٩٨٥.

**ابن الأثير، أبو الحسـن عـلي بن أبـي الكـرم محـمـد بن محـمـد بن عبد الكـريم بن عبد الواحـد الشيبـاني الجزري، (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م).**

٢- الكامل فـي التاريخ، تحقيق عمـر عبد السـلام تدمـري، ط١، دار الكتاب العـربـي، بـيروت، ١٩٩٧.

**ابن بسـام، أبـي الحسـن عـلي، (ت ٥٤٢ هـ / ١١٤٧م).**

٣- الذخـيرة فـي محـاسـن أهـل الجزيرة، تحقيـق إحسـان عبـاس، الدار العـربـية للكتاب، ليبيـا - تـونس، ١٩٩٧.

**الأدريسـي، محـمـد بن محـمـد بن عبد الله بن إدريس الحسـني الطـالبـي ( ت ٥٦٠هـ/ ١٢٦٤م).**

٤- نزهة المشتاق فـي اختراق الآفـاق، ط١، عـالم الكتب، بـيروت، ١٤٠٩هـ.

**الازدي، أبو بكـر محـمـد بن الحسـن بن دريد، (ت ٣٢١هـ/٩٣٣م).**

٥- الاشتقـاق، تحقيق وشرح عبد السـلام محـمـد هارون، ط١، دار الجيل، بـيروت، ١٩٩١.

٦- جـمهرة اللغة، تحقـيق رمزي مـنير بـعـلبكي، ط١، دار العـلم للملاييـن، بـيروت، ١٩٨٧.

**ابن أبـي زرع، أبـي الحسـن عـلي بن محـمـد (كان حيـاً قبل سـنة ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م ).**

٧- الأنيس المطرب بـروض القـرطـاس فـي اخبـار ملوك المغرب وتاريخ مـدينـة فـاس، الربـاط، ١٩٧٢.

**الاصبهاني، عماد الدين، محمد بن محمد صفي الدين بن نفيس الدين حامد بن أله، أبو عبد الله، (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م).**

٨- خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق آذرتاش آذرنوش، نقحه وزاد عليه محمد المرزوقي، محمد العروسي المطوي، الجيلاني بن الحاج يحيى، د.ط، الدار التونسية للنشر، ١٩٧١.

**الأصطخري، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد، (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م).**

٩- المسالك والممالك، ليدن، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤.

**البخاري، محمد بن أسماعيل أبو عبد الله (ت٢٥٦هـ/٨٧٠م).**

١٠- صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

**ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك، (ت٥٧٨هـ/١١٨٣م).**

١١- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، عُني بنشره وصححه وراجع أصله السيد عزت العطار الحسيني، ط٢، مكتبة الخانجي، ١٩٥٥.

**البغدادي، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي، (ت٢٢٤هـ /٨٣٨م).**

١٢- غريب الحديث، تحقيق محمد عبد المعيد خان، ط١، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ١٩٦٤.

**البغدادي، أبو الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق الأموي بالولاء، (ت ٣٥١هـ/٩٦٢).**

١٣- معجم الصحابة، تحقيق صلاح بن سالم المصراتي، ط١، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ١٤١٨.

**البغدادي، عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفي الدين، (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م).**

١٤- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ.

**البكـري، أبـي عبـيد الله بن عبد العزيز، (ت ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤م).**

١٥- جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك، تحقيق، عبد الرحمن علي الحجي، ط١، بيروت، ١٩٦٨.

١٦- كتاب المسالك والممالك، حققه أدريان فان واندري فيري، دار الغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، ١٩٩٢.

١٧- المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢.

**ابن بلقيـن، الأميـر عبد الله، (ت ٤٨٣ هـ / ١٠٩٠م).**

١٨- مذكرات الأمير عبدالله آخر ملوك بني زيري بغرناطة المسماة (كتاب التبيان). نشر وتحقيق. ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، د.ت.

**التجيبي، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث الأندلسي، (ت٤٧٤هـ/١٠٨١م).**

١٩- المنتقى شرح الموطا، ط١، مطبعة السعادة، بجوار محافظة مصر، ١٣٣٢ هـ.

**الترمذي، محمـد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م).**

٢٠- سنن الترمذي، تحقيق وتعليق أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، ط٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٧٥.

**التطيلي، الرابـي بنيـامين بن الرابي يونا النباري الأسباني اليهودي (ت٥٦٩هـ/١١٧٣م).**

٢١- رحله بنيامين التطيلي، المجمع الثقافي، ط١، ابو ظبي، ٢٠٠٢م.

**جـمال الديـن، محمـد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله (ت٦٧٢هـ/١٢٧٣م).**

٢٢- إكمال الأعلام بتثليث الكلام، تحقيق سعد بن حمدان الغامدي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة السعودية، ١٩٨٤.

**الجوزجاني، أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني (ت ٢٢٧هـ/٨٤١م).**

٢٣- سنن سعيد بن منصور، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط١، الدار السلفية، الهند، ١٩٨٢.

**ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد، (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م).**

٢٤- زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: د. محمد عبد الرحمن عبد الله، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٧.

**ابن حبيب، عبد الملك الأندلسي (ت ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م).**

٢٥- كتاب التاريخ، ط١، اعتني به عبد الغني مستو، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٨.

**ابن حزم، أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد، (ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣م).**

٢٦- جمهرة أنساب العرب، تحقيق إ ليفي بروفنسال، دار المعارف، ١٩٤٨.

**الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت ابن عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م).**

٢٧- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥.

**الحميدي، أبي محمد عبد الله بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الازدي، (ت ٤٨٨ هـ/ ١٠٩٥م).**

٢٨- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦٦.

**الحميري اليمني، نشوان بن سعيد (ت ٥٧٣هـ/١١٧٧م).**

٢٩- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، حققه كل من د حسين بن عبد الله العمري، مطهر بن علي الإرياني و د يوسف محمد عبد الله، ط ١، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر دمشق، ١٩٩٩.

**الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ/١٤٩٤م).**

٣٠- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق احسان عباس، ط ٢، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، طبع على مطابع دار السراج، ١٩٨٠.

٣١- صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، عني بنشره وتصحيحة وعلق عليه إ. ليفي بروفنسال، ط ٢، دار الجبل، بيروت، ١٩٨٨.

**الحلبي، علي بن إبراهيم بن أحمد، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين، (ت ١٠٤٤هـ/١٦٣٤م).**

٣٢- السيرة الحلبية إنسان العيون في سيرة الأمين المامون، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ.

**ابن حنبل، أبو عبد الله أحـمـد بن محـمـد الشيبـاني، (ت ٢٤١هـ/٨٥٥م).**

٣٣- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٥.

**ابن حيـان القـرطبـي، أبـي مـروان حيـان بن خلـف (ت٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م).**

٣٤- المقتبس في إنباء أهل الأندلس، تحقيق محمود علي مكي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث، القاهرة، ١٩٩٤.

٣٥- المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمن الحجي، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥.

٣٦- المقتبس في أخبار بلد الأندلس، نشر ب. شالميتا بالتعاون لضبطه وتحقيقه مع ف. كورنيطي وم. صبح وغيرهما، المعهد الأسباني العربي للثقافة العربية، كلية الآداب، مدريد، ١٩٧٩.

**ابن الخطيب، لسـان الديـن أبـي عبد الله محـمـد السـلمـاني (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م).**

٣٧- الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، ط ٢، الناشر مكتبة الخانجي للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٧٣.

٣٨- تاريخ اسبانيا النصرانية أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق وتعليق إ ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٦.

**ابن خلدون، عبد الرحـمـن بن محـمـد (ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٦م).**

٣٩- تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق خليل شحادة، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨.

**ابن خلكان، شمس الديـن أبـي العبـاس أحـمـد بن محـمـد (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢م).**

٤٠- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت.

**ابن خيـاط، أبو عمـرو خليفـة الشيبـاني (ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م).**

٤١- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٦م.

**الدارقطني، أبو الحسـن عـلي بن عمـر بن أحـمـد بن مهـدي بن مسعـود بن النعمـان بن ديـنـار البغدادي (ت ٣٨٥هـ/٩٩٥م).**

٤٢- سـنن الدارقطني، حققه وضبط نصه وعـلق عـليه شعيب الارنؤوط، حسـن عبد المـنعم شلبـي، عبد اللطيف حرز الله، وأحـمـد بـرهوم، ط١، مؤسسة الرسـالة، بـيروت، ٢٠٠٤.

**الدارمي، محـمـد بن حبـان بن أحـمـد بن حبـان بن معاذ بن معبدَ، التميمي، أبو حـاتم (ت ٣٥٤هـ/٩٦٥م).**

٤٣- الثقـات، طبـع بـاعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مـراقبة الدكتـور محـمـد عبد المعيد خان مـدير دائرة المعارف العثمـانية، ط١، دائرة المعارف العثمـانية بحيدر آبـاد الدكن الهند، ١٩٧٣.

**الديـنـوري، أبو حنيفـة احـمـد بن داود (ت٢٨٢هـ/٨٩٥م).**

٤٤- الأخبـار الطوال، تحقيـق عبد المـنعم عامـر، ط١، دار إحيـاء الكتب العـربـية، ١٩٦٠.

**ابو داود السجستاني، أبو داود سـليمـان بن الأشعث بن إسحـاق بن بشير بن شداد بن عمـرو الأزدي (ت ٢٧٥هـ/٨٨٨م).**

٤٥- سـنن أبـي داود، تحقيـق: شعَيب الأرنؤوط ومحـمـد كامِل قـره بللي، دار الرسـالة العالمية، ط١، ٢٠٠٩.

**الـذهبـي، أبو عبد الله محـمـد بن احـمـد بن عثمـان، (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م).**

٤٦- تاريخ الإسـلام ووفـيـات المشـاهير والأعـلام، تحقيـق الدكتـور بشـار عوّاد معـروف، ط١، دار الغرب الإسـلامي، بـيروت، ٢٠٠٣.

٤٧- سـير أعـلام النبلاء، تحقيق مجـموعة مـن المحققيـن بأشراف: الشيخ شعيب الأرنـاؤوط، ط٣، مؤسسة الرسـالة، بـيروت، ١٩٨٥.

**الرازي، زيـن الديـن أبو عبد الله محـمـد بن أبـي بكـر بن عبد القـادر الحنفـي، (ت ٦٦٦هـ/ ١٢٦٧م).**

٤٨- مختار الصحـاح، تحقيق يوسف الشيخ محـمـد، ط٥، لمكتبة العصـرية، الدار النموذجـية، بـيروت، صيدا، ١٩٩٩.

**الزَّبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، (ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م).**

٤٩- تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ت.

**الزهري، أبي عبيد الله محمد بن ابي بكر، (ت في أواسط القرن السادس الهجري / أواسط القرن الثاني عشر الميلادي).**

٥٠- كتاب الجغرافية وما ذكرته الحكماء فيها من العمارة وما في كل جزء من الغرائب والعجائب يحتوي على الأقاليم السبعة وما في الأرض من الأميال والفراسخ، تحقيق محمد حاج صادق، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.

**ابن سعد، محمد بن منيع البصري، (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م).**

٥١- الطبقات الكبرى، تحقيق زياد محمد منصور، ط٢، دار صادر، بيروت، د.ت.

**ابن سعيد، ابو الحسن علي بن موسى، (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م).**

٥٢- المغرب في حلي المغرب، تحقيق شوقي ضيف، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٥.

**ابن سيده، أبو الحسن علي بن أسماعيل، (ت ٤٥٨ هـ/١٠٦٥م).**

٥٣- المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط١، دا الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠.

**السمرقندي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م).**

٥٤- مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، ط١، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٠.

**السمرقندي، أبي الليث نصر بن محمد بن احمد، (ت٣٧٥هـ/٩٨٥م).**

٥٥- تفسير السمرقندي (بحر العلوم)، تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود والدكتور زكريا عبد المجيد النوتي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣.

**السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، أبو سعد (ت ٥٦٢هـ/١١٦٧م).**

٥٦- الأنساب، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، ط١، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٩٦٢.

**السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م).**

٥٧- لب اللباب في تحرير الأنساب، دار صادر، بيروت، د.ت.

**ابن الشباط، محمد بن علي، (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م).**

٥٨- وصف الأندلس وصقلية وهو قطعة من كتاب صلة السمط وسمة المرط في شرح الهدي الفخر المحمدي، تحقيق أحمد مختار العبادي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد الرابع عشر، مدريد،١٩٦٧.

**ابن صاحب الصلاة، عبد الملك بن محمد، (كان حياً سنة ٥٩٤هـ / ١١٩٧م).**

٥٩- المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تحقيق عبد الهادي النازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٧.

**ابن صاعد، أبي القاسم صاعد بن أحمد، ( ت ٤٦٢هـ / ١٠٦٩م).**

٦٠- طبقات الأمم، تقديم محمد بحر العلوم، المكتبة الحيدرية، النجف، ١٩٦٧.

**صلاح الدين، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م).**

٦١- فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤.

**الصوفي، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي (ت١٢٢٤هـ/١٨٠٩م).**

٦٢- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، ١٤١٩ هـ.

**الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، (ت ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م).**

٦٣- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧.

**الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، (ت ٣٦٠هـ/٩٧٠م).**

٦٤- المعجم الأوسط، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، د. ت.

٦٥- المعجم الكبير، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، د. ت.

**الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، (ت٣١٠هـ/٩٢٢م).**

٦٦- تاريخ الرسل والملوك، ط ٢، دار التراث، بيروت، ١٣٨٧هـ.

٦٧- تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن)، تحقيق احمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠.

**الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري، (ت٣٢١هـ/٩٣٣م).**

٦٨- شرح مشكل الآثار، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٩٤.

**ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله، (ت ٢٥٧هـ/ ٨٧١م).**

٦٩- فتوح أفريقيا والأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٤.

٧٠- فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، الهيئة العامة لقصور الثقافة والذخائر، مصر،٢٠٠١.

**ابن عذاري، أبي العباس أحمد بن محمد المراكشي، (ت بعد سنة ٧١٢ هـ / ١٣١٢م).**

٧١- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج س كولان وليفي بروفنسال، ط٢، بيروت، دار الثقافة، ١٩٨٠.

- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، حققه وضبط نصه وعلق عليه بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد، ط١، دار الغرب الإسلامي، تونس، ٢٠١٣.

**العبـري غريغوريوس (وأسـمه فـي الولادة يوحنـا) ابن أهرون (أو هارون) بن تـومـا الملطي، أبو الـفـرج (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م).**

٧٢- تاريخ مختصر الدول، تحقيـق أنطون صالحـاني اليسـوعي، دار الشرق، بـيروت، ط٣، ١٩٩٢.

**العذري، احـمـد بن عمـر بن أنس، (ت٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م).**

٧٣- نصـوص عن الأنـدلس مـن كتاب ترصيع الأخبـار وتنـويع الآثار والبستان فـي غرائب البلدان والمسـالك إلـى جـميع المـمـالك، تحقيـق: عبد العزيز الاهواني، مطبـعة معهـد الدراسـات الإسـلامية، مـدريد، د.ت.

**ابن عسـاكـر، أبو القاسم عـلي بن الحسـن ابن هبة الله بن عبد الله، (ت٥٧١هـ/١١٧٥م).**

٧٤- تاريخ دمشق، تحقيـق عمـرو بن غرامة العمـروي، دار الـفكـر للطبـاعة والنشر والتـوزيع، ١٩٩٥.

**ابن غالب، محـمـد بن أيوب الغرنـاطي، مـن أهـل القـرن السـادس الهجري / الثاني عشر الميلادي).**

٧٥- قطعة مـن كتاب فـرحة الأنفس فـي تاريخ الأنـدلس، تحقيـق لطفـي عبد البديع، فصل مـن مجلة معهـد المخطوطـات، المجلد ٢، مصـر، ١٩٥٦.

**الـفـراهيدي، ابو عبد الرحـمـن الخليل ابن احـمـد بن عمـر بن تميم، (ت١٧٠هـ/٧٨٩م).**

٧٦- العيـن، تحقيـق مهـدي المخزومي وابـراهيم السـامـرائي، دار مكتبه الهلال د.ت.

**أبو الـفـرج الأصفهاني، عـلي بن الحسـيـن بن محـمـد، (ت٣٥٦هـ /٩٦٥م).**

٧٧- الأغاني، تحقيـق: سمير جـابـر، ط٢، دار الـفكـر، بـيروت، د.ت.

**ابن الـفـرضي، أبـي الوليد عبد الله بن محـمـد بن يوسف بن نصير الأزدي، (ت ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م).**

٧٨- تاريخ عـلمـاء الأنـدلس، تحقيـق إبـراهيم الأبيـاري، ط ١، النـاشرون دار الكتاب العـربـي، القـاهرة ودار الكتاب اللبنـاني، بـيروت، ١٩٨٣.

**الـفـيروز آبـادي، مجد الديـن أبو طـاهر محـمـد بن يعقـوب، (ت٨١٧هـ/١٤١٤م).**

٧٩- القـاموس المحيط، دار الـفكـر، بـيروت، ١٩٨٣.

**ابن قـتيبة الدنيوري، أبو محـمـد عبد الله بن مسـلم، (ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩م).**

٨٠- تاريخ الخلفـاء أو الإمـامة والسيـاسة، مؤسسة الأعـلمي للمطبوعات، بـيروت، ٢٠٠٦.

٨١- الشعـر والشعـراء، دار الحـديث، القـاهرة، ١٤٢٣ هـ.

**القاسمي، محـمـد جـمـال الديـن بن محـمـد سعيد بن قـأسم الحلاق، (ت١٣٣٢هـ/١٩١٣م).**

٨٢- محـاسـن التأويل، تحقيـق محـمـد بـاسـل عيون السـود، ط١، دار الكتب العـلميه، بـيروت، ١٤١٨ هـ.

**القـرطبـي، أبو عبد الله محـمـد بن احـمـد الأنصاري، ( ت٦٧٢هـ/١٢٧٣م ).**

٨٣- تفسـير القـرطبـي (الجـامـع لأحكام القـرآن)، تحقيـق احـمـد عبد العـليم البـردوني وابـراهيم اطفـيش، ط٢، دار الكتب المصـرية، القـاهرة، ١٩٦٤.

**القزوينـي، زكـريـا بن محـمـد بن محـمود، ( ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣م ).**

٨٤- آثار البـلاد وأخبـار العبـاد، دار صادر، بـيروت، ١٩٦٠.

**القـلقشندي، ابو العبـاس احـمـد بن عـلي، (ت٨٢١ هـ/١٤١٨م).**

٨٥- نهاية الارب فـي معـرفـة انسـاب العـرب، تحقيـق ابـراهيم الابيـاري، دار الكتاب اللبنـانييـن، بـيروت، ١٩٨٠.

**ابن القـوطية، أبـي بكـر محـمـد بن عمـر القـرطبـي، (ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٧م).**

٨٦- تاريخ افتتاح الأنـدلس، تحقيـق إبـراهيم الابيـاري، ط ٢، دار الكتاب اللبنـاني، بـيروت، ١٩٨٩.

**ابن كثير، الحـافظ عمـاد الديـن أبـي الـفداء أسـمـاعيل بن عمـر، ( ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م).**

٨٧- البداية والنهاية، تحقيـق عبد الله بن عبد المحسـن التركي، هجر للطبـاعة والنشر والتـوزيع والأعـلان، ١٩٨٨.

٨٨- تفسـير ابن كثير (تفسـير القـرآن العظيم)، تحقيـق سـامي بن محـمـد سـلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتـوزيع، ١٩٩٩.

**الكتاني، ابو عبد الله محـمـد بن الحسـن، (ت ٤٢٠ هـ/١٠٢٩م).**

٨٩- التشبيهات مـن اشعار أهـل الأنـدلس، تحقيـق احسـان عبـاس، دار الشروق، بـيروت، القـاهرة، ١٩٨١.

**الكتاني، محـمـد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبـير ابن محـمـد الحسـني الإدريسـي، (ت١٣٨٢هـ/١٩٦٢م).**

٩٠- فهرس الـفهارس والأثبـات ومعجـم المعاجـم والمشيخات والمسـلسـلات، تحقيق إحسـان عبـاس، ط٢، دار الغرب الإسـلامي، بـيروت، ١٩٨٢.

**ابن الكـردبوس، أبـي مـروان عبد الملك التـوزري، (عاش أواخر القـرن السـادس الهجري / الثاني عشر الميلادي).**

٩١- قطعة مـن كتاب الأكتفـاء فـي أخبـار الخلـفـاء بـعنـوان تاريخ الأنـدلس، تحقيـق احـمـد مختار العبـادي، مجلة معهـد الدراسـات الإسـلامية، المجلد ١٣، مـدريد، ١٩٦٥-١٩٦٦.

**ابن المرزبان، أَبُو محمد، عبد الله بن جعفر بن محمد بن دُرُسْتَوَيْه، (ت ٣٤٧ هـ/٩٥٨م).**

٩٢- تصحيح الفصيح وشرحه، تحقيق محمد بدوي المختون، لمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٨.

**المقـدسـي، المطهر بن طـاهر احـمـد بن سهل البلخـي، (ت٣٥٥هـ/٩٦٦م).**

٩٣- البدء والتاريخ، مكتبة الثقـافـة الديـنية، ٢٠١٣.

**المـنجـم، إسحـاق بن الحسـيـن (ت قبل ٤هـ).**

٩٤- آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨ هـ.

**مجـهول، مؤلـف ( مـن أهـل القـرن الرابـع الهجري / العاشر الميلادي).**

٩٥- اخبـار مجـموعة فـي فتح الأنـدلس وذكـر أمـرائها رحـمهم الله والحروب الواقعة بها بـيـنهـم، تحقيـق إبـراهيم الإبـيـاري، ط٢، دار الكتاب المصـري، القـاهرة، ١٩٨٩.

**مجـهول، مؤلـف، (كان حيـاً فـي القـرن الرابـع الهجري / العاشر الميلادي ).**

٩٦- تاريخ عبد الرحمن الناصر، قدم له عدنان محمد آل طعمة، دار سعد الدين، دمشق، ١٩٩٢.

**مجـهول، مؤلـف (كان حيـاً أواخر القـرن الخامس الهجري / أواخر القـرن الحـادي عشـر الميلادي).**

٩٧- فتح الأنـدلس، تحقيـق وترجـمة لويس مولينـا، المجلس الأعـلى للأبحـاث العـلمية الوكالة الأسبـانية للتعاون الدولي، د. مط، د.ت.

**مجـهول، مؤلـف (كان حيـاً أواخر القـرن الخامس الهجري / أواخر القـرن الحـادي عشـر الميلادي).**

٩٨- ذكـر بـلاد الأنـدلس، تحقيـق وترجـمة لويس مولينـا، المجلس الأعـلى للأبحـاث العـلمية المعهـد ميغيل آسيـن، مـدريد، ١٩٨٣.

**مجـهول، مؤلـف، ( عاش فـي القـرن الثامـن الهجري /القـرن الثالث عشر الميلادي ).**

٩٩- الحلل الموشية فـي ذكـر الاخبـار المـراكشية، ط١، تحقيـق سهيل زكار وعبد القـادر زمـامة، نشر وتـوزيع دار الرشـاد الحـديثة، الدار البيضاء، ١٩٧٩.

**مجـهول، مؤلـف، ( ت بـعـد ٣٧٢هـ/٩٨٣م).**

١٠٠- حـدود العا لم مـن المشرق إلى المغرب، محقق ومترجـم الكتاب (عن الفارسـية) السـيد يوسف الهادي، الدار الثقـافـية للنشر، القـاهرة، ١٤٢٣ هـ.

**المـاوردي، ابو الحسـن عـلي بن محـمـد بن حبـيب، (ت٤٥٠هـ/١٠٨٥م).**

١٠١- الأحكام السـلطـانية والولايـات الدينية، تحقيـق احـمـد مبـارك البغدادي، ط١، دار الغرب الإسـلامي، بـيروت، ١٩٨٣.

**المـراغي، أحـمـد بن مصطفى، (ت١٣٧١هـ/١٩٥١م).**

١٠٢- تفسـير المـراغي، شركة مكتبة ومطبـعة مصطفى البـابى الحلبـي وأولاده بمصـر، ط١، ١٩٤٦.

**المـراكشي، عبد الواحـد بن عـلي التميمي، محيي الديـن، (ت ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م).**

١٠٣- المعجب فـي تلخـيص أخبـار المغرب، تحقيـق الدكتـور صلاح الديـن الهواري، ط١، المكتبة العصـرية، صيدا، بـيروت، ٢٠٠٦.

**المسعـودي، أبو الحسـن عـلي بن الحسـيـن ( ت٣٤٦هـ/٩٥٧م ).**

١٠٤- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد سعيد اللحام، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠.

**المقـري، شهاب الديـن أحـمـد بن محـمـد التلمسـاني، (ت ١٠٤١هـ / ١٦٣١م).**

١٠٥- نفح الطيب مـن غصن الأنـدلس الرطيب، تحقيـق إحسـان عبـاس، دار صادر، بـيروت، ١٩٨٨.

**المليبـاري، احـمـد بن زيـن الديـن المعبـري، (ت٩٩١هـ/١٥٨٣م).**

١٠٦- تحفـة المجـاهـديـن فـي أحوال البـرتغاليين، قـدم له وحققه وعـلق عـليه محـمـد سعيد الطريحي، ط١، مؤسسة الوفـاء، بـيروت، ١٩٨٥.

**ابن مـنظور، محـمـد بن مكـرم بن عـلى، أبو الـفضل، جـمـال الديـن ( ت٧١١هـ/١٣١١م ).**

١٠٧- لسـان العـرب، ط٣، دار صادر، بـيروت، ١٤١٤هـ.

**النبـاهي، أبـي الحسـن بن الـفـقيه أبـي محـمـد بن عبد الله بن الحسـيـن، (ت ٧٩٣ هـ / ١٣٩٠م).**

١٠٨- تاريخ قضاة الأنـدلـس المسمى كتاب المـرقبة العـليـا فـي مـن يستحق القضاء والـفتيـا، تحقيـق: لجنة إحيـاء التراث العـربـي، ط٥، دار الآفـاق الجديدة، بـيروت، ١٩٨٣.

**النسفـي، أبو البـركات عبد الله بن أحـمـد بن محـمود حـافظ الديـن، (ت٧١١هـ/١٣١٠م).**

١٠٩- تفسـير النسفـي (مـدارك التنزيل وحقـائق التأويل)، حققه وخرج أحـاديثه يوسف عـلي بديوي، راجعه وقـدم له محيي الديـن ديب مستـو، ط١، دار الكلم الطيب، بـيروت، ١٩٩٨.

**النـويري، شهاب الديـن احـمـد بن عبد الوهاب، (ت٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م).**

١١٠- نهاية الأرب فـي فنـون الأدب، المؤسسة المصـرية العامة، مطـابـع كوستاتسـومـاس وشركاؤه، القـاهرة، د.ت.

**اليحصبـي، أبو الـفضل القـاضي عيـاض بن موسى، (ت ٥٤٤هـ/١١٤٩م).**

١١١- ترتيب المـدارك وتقـريب المسـالك، تحقيق سعيد أحـمـد أعـراب، ط١، مطبـعة فضالة، المحـمـدية، المغرب، ١٩٨١-١٩٨٣.

**اليعقـوبـي، احـمـد بن أبـي يعقـوب بن جعفـر ( ت٢٩٢هـ/٩٠٤م ).**

١١٢- البلدان، دار الكتب العـلمية، بـيروت، ١٤٢٢ هـ.

١١٣- تاريخ اليعقـوبـي، دار صادر، بـيروت، د.ت.

**ابو يعـلى، محـمـد ابن الحسـيـن الـفـراء الحنبلي (ت٤٥٨هـ/١٠٦٥م).**

١١٤- الأحكام السـلطـانية، تحقيـق محـمـد حـامـد الـفـقـي، دار الكتب العـلمية، بـيروت، ٢٠٠٠.

**يوسـيفـوس (ت ١٠٠م أو بـعـدها بقـليل).**

١١٥- تاريخ يوسـيفـوس، المطبـعة العـلمية، بـيروت، د.ت.

## ثالثاً: قـائمة المـراجع الحديثة

**ارسـلان، شكيب.**

١١٦- تاريخ غـزوات العـرب فـي فـرنسـا وسـويسـرا وايطـاليـا وجزائر البحر المتـوسط، مطبـعة عيسى البـابـي الحلبـي وشركاه بمصـر، د.ت.

١١٧- الحلل السـندسـية فـي الأخبـار والآثار الأنـدلسـية، مـنشورات دار مكتبة الحيـاة للطبـاعة والنشر، بـيروت، د. ت.

**أسد، رستم (معاصـر).**

١١٨- الروم فـي سيـاستـهم وحضارتـهم ودينـهم وثقـافتـهم وصلاتـهم بـالعـرب، دار المكشوف للطبـاعة، ط١، بـيروت، ١٩٥٥.

**اشبـاخ، يوسف.**

١١٩- تاريخ الأنـدلس فـي عهـد المـرابطيـن والموحـديـن، ترجـمه ووضع حواشيه محـمـد عبد الله عنـان، ط٢، مطبـعة لجنة التأليف والترجـمة والنشر، القـاهرة، ١٩٥٨.

**بدر، احـمـد.**

١٢٠- دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتـها من الفتح حتى الخلافة، د مط، دمشق، ١٩٧٢.

**برو، توفيق.**

١٢١- تاريخ العرب القديم، دار الفكر، ط٢، ٢٠٠١.

**بيضون، الدكتور ابراهيم.**

١٢٢- الدولة العربية في اسبانية من الفتح حتى سقوط الخلافة ٩٢-٤٢٢هـ/٧١٠-١٠٣١م، ط٣، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، مكتبة نرجس، بيروت، ١٩٨٦.

**ابو خليل، شوقي.**

١٢٣- الأرك بقيادة يعقوب المنصور الموحدي، ط ١، دار الفكر العربي، بيروت لبنان، ١٩٧٩.

**بن خميس، أبي عبد الله بن عسكر، أبي بكر.**

١٢٤- مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار، تقديم وتخريج وتعليق الدكتور عبد الله المرابط الترغي، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، ١٩٩٩.

**الحسيني، قاسم عبد.**

١٢٥- حركة الأسترداد الأسبانية (الريكونيكيستا) (٩٨-٤٢٢هـ/٧١٨-١٠٣٠م)، اطروحة دكتوراه، ٢٠٢١.

**الجنابي، الدكتور قيس حاتم.**

١٢٦- تاريخ الشرق الأدنى القديم، ط١، جامعة بابل، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٤.

**الحايك، سيمون.**

١٢٧- عبد الرحمن الأوسط، المطبعة البولسية، لبنان، د. ت.

**حتاملة، محمد عبدة.**

١٢٨- الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة، طباعة مطابع الدستور التجارية، عمان، ٢٠٠٠.

١٢٩- أيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين، طبع بدعم من وزارة الثقافة، عمان، ١٩٩٦.

**الحجي، عبد الرحمن علي.**

١٣٠- التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (٩٢-٨٩٧هـ/ ٧١٠-١٤٩٢م)، ط١، منشورات دار القلم، بيروت، ١٩٧٦.

**الخالدي، خالد يونس عبد العزيز.**

١٣١- اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس ٩٢-٨٩٧هـ/٧١٠-١٤٩٢م، مطبعة ومكتبة دار الأرقم، فلسطين، ٢٠١١.

**خطاب، محمود شيت.**

١٣٢- قادة فتح الأندلس، مؤسسة علوم القرآن، منار للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣.

**الخلف، سالم بن عبد الله.**

١٣٣- نظم حكم الامويين ورسومهم في الأندلس، ط١، عمادة البحث العلمي، المدينة المنورة، ٢٠٠٣.

**ابو خليل، شوقي.**

١٣٤- الأرك بقيادة يعقوب المنصور الموحدي، ط١، دار الفكر العربي، بيروت لبنان، ١٩٧٩.

**ديورانت، ول.**

١٣٥- قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨.

**رضا، أحمد.**

١٣٦- معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٠.

**رمضان، عبد المحسن طه.**

١٣٧- تاريخ المغرب والأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة، دار الفكر، عمان، ٢٠١٠.

١٣٨- الحروب الصليبية في الأندلس ميلادها وتطورها حتى القرن العاشر مع دراسة نقدية لمصادرها العربية والأسبانية، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠١.

**الزركلي، خـير الديـن بن محـمود بن محـمـد بن عـلي بن فـارس.**

١٣٩- الأعـلام قـاموس تراجـم الأشهر الرجـال والنسـاء مـن العـرب والمستعـربيـن والمستشرقيـن، ط٥، دار العـلم للملايين، بـيروت، ١٩٨٠.

**زيتـون، محـمـد.**

١٤٠- المسـلمون فـي المغرب والأنـدلس، الهيئة العامة المكتبة الاسكندرية، ١٩٩٠.

**سـالم، السـيد عبد العزيز.**

١٤١- تاريخ المسـلميـن وآثارهم فـي الأنـدلس مـن الـفتح العـربـي حتى سقـوط الخلافـة بقـرطبة، ط ٢، النـاشر مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٦.

**السـامـرائي، إبـراهيم خليل.**

١٤٢- الثغر الاعـلى الأنـدلسـي (دراسة فـي احواله السيـاسـية ٩٥-٣١٦هـ/٧١٤-٩٢٨م)، مطبـعة اسعـد، بغداد، ١٩٧٦.

**السـامـرائي إبراهيم خليل وآخرون.**

١٤٣- تاريخ العـرب وحضارتـهم فـي الأنـدلس، ط١، المؤسسة اللبنـانية للكتاب الأكاديمي بـيروت، ٢٠١٤.

**السـرجـاني، راغب.**

١٤٤- الأندلس من الفتح إلى السقوط، ط١، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القـاهرة، ٢٠١٠.

**سـيسـالم، عصام سـالم.**

١٤٥- جزر الأنـدلس المـنسية (التاريخ السيـاسـي لجزر البليـار ٨٩-٦٨٥هـ/ ٧٠٨-١٢٨٧م)، ط١، دار العـلم للملايين، بـيروت، ١٩٨٤.

**شبـارو، عصام محـمـد.**

١٤٦- الأنـدلس مـن الـفتح العـربـي المرصـود إلى الـفـردوس المفـقـود ٩١-٨٩٧هـ/٧١٠-١٤٩٢م، دار النهضة العـربـية، بـيروت، ٢٠٠٢.

**شُراب، محـمـد بن محـمـد حسـن.**

١٤٧- المعالم الاثيرة فـي السـنة والسـيرة، دار القـلم الدار الشـاميه، دمشق بـيروت، ١٤١١ هـ.

**الشيخلي، عبد القـادر عبد الجبـار.**

١٤٨- الوجيز فـي تاريخ العـراق القـديم، دار ومكتبة عـدنـان، شـارع المتنبـي، بغداد، ٢٠١٤.

**صالح، عبد العزيز.**

١٤٩- الشرق الأدنى القـديم فـي مصـر والعـراق، مكتبة دار الزمـان، د.ت.

**طرخان، أبـراهيم.**

١٥٠- دولة القـوط الغربيين، مكتبة النهضة المصـرية، القـاهرة، ١٩٥٨.

**طقـوش، محـمـد سهيل.**

١٥١- تاريخ المسـلمـيـن فـي الأنـدلس ٩١-٨٩٧هـ/٧١٠-١٤٩٢م، ط٣، دار النفـائس، بـيروت، ٢٠١٠.

**طه، عبد الواحـد ذنـون.**

١٥٢- الـفتح والاستقـرار العـربـي فـي شمـال أفـريقيـا والأنـدلس، دار الرشيد، مـنشورات وزارة الثقـافـة والأعـلام، ١٩٨٢.

**عاشور، سعيد عبد الـفتاح.**

١٥٣- أوربـا فـي العصـور الوسطى التاريخ السـيـاسـي، ط٥، مكتبة الأنجلو المصـرية، القـاهرة، ١٩٨٣.

**العبـادي، احـمـد مختار.**

١٥٤- تاريخ البحرية الإسـلامية فـي مصـر والشـام، دار الأحـد، بـيروت، ١٩٧٢.

١٥٥- دراسـات فـي تاريخ المغرب والأنـدلس، النـاشر مؤسسة شبـاب الجـامعة للطبـاعة والنشر والتـوزيع، ١٩٨٢.

١٥٦- فـي تاريخ المغرب والأنـدلس، دار النهضة العـربـية، بـيروت، د.ت.

**عبد الحليم، رجب محمد**

١٥٧- العلاقات بين الأندلس الإسلامية واسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، الناشرون دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د. ت.

**عصفور، محمد أبو المحاسن.**

١٥٨- معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.ت.

**علي، جواد.**

١٥٩- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٢، جامعة بغداد، ١٩٩٣.

**عنان، محمد عبد الله.**

١٦٠- الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال دراسة تاريخية أثرية، ط٢، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧.

١٦١- دولة الإسلام في الأندلس، من الفتح حتى بداية عصر الناصر، العصر الاول، القسم الاول، ط٤، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧.

١٦٢- دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، ط٢، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة،١٩٦٩

١٦٣- دولة الإسلام في الأندلس (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس العصر الثالث)، ط ١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٤.

**الفتيان، احمد مالك.**

١٦٤- دراسات في التاريخ القديم، كلية الآداب، جامعة بغداد، مكتبة عادل، باب المعظم، ٢٠١١.

**فروخ، عمر.**

١٦٥- العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر الابيض المتوسط من فتح المغرب وفتح الأندلس إلى اخر عصر الولاة ١٣٨هـ/٧٥٦م، ط١، منشورات المكتب التجاري، بيروت، ١٩٥٩.

**قاسم، عبدة قاسم.**

١٦٦- ماهية الحروب الصليبية، سلسلة كتب عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٠.

**قلعجي، محمد روا، وقنيبي، حامد صادق.**

١٦٧- معجم لغة الفقهاء، ط٢، دار النفائس، بيروت، ١٩٨٨.

**الكعاك، عثمان.**

١٦٨- موجز التاريخ العام للجزائر، ط ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣.

**لجنة التأريخ.**

١٦٩- تأريخ الإسلام، ط٣، نشر المنظمة العالمية للحوزات والمدارس الإسلامية، قم، ١٤٢٥هـ.

**محفوظ، محمد.**

١٧٠- تراجم المؤلفين التونسيين، ط٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤.

**المزروع، وفاء عبد الله بن سلمان.**

١٧١- الخليفة الاموي الحكم المستنصر، الدار السعودية للطباعة، جدة، ١٩٨٢.

**المطوي، محمد العروسي.**

١٧٢- الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٢.

**مؤنس، حسين.**

١٧٣- اطلس تاريخ الإسلام، ط١، الزهراء للأعلام العربي، ١٩٨٧.

١٧٤- تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ط٢، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، ١٩٨٦.

١٧٥- فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الاموية ٧١٠-٧٥٦م، العصر الحديث للنشر والتوزيع ودار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٥٩.

١٧٦- معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٤.

**الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد.**

١٧٧- الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق ولدي المؤلف جعفر ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٤.

**النجفي، حسن.**

١٧٨- معجم المصطلحات والأعلام في العراق القديم، ط١، طبع الدار العربية، بغداد، ١٩٨٢.

**النشار، محمد محمود.**

١٧٩- دراسات في تاريخ الحروب الصليبية في الأندلس، ط١، عين للدراسات والبحوث الأنسانية والأجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٣.

١٨٠- دراسات في تاريخ اسبانيا والبرتغال في العصور الوسطى، الناشر عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مطبعة صحوة، ٢٠٠٧.

**نعنعي، عبد المجيد.**

١٨١- تاريخ الدولة الأموية في الأندلس التاريخ السياسي، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.

**وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.**

١٨٢- الموسوعة الفقهية الكويتية، ط١، مطابع دار الصفوة، مصر، د.ت.

## رابعاً: المراجع الاجنبية المترجمة

**براون، جفري.**

١٨٣- تاريخ أوربا الحديث، ترجمة علي المرزوقي، مكتبة الأهلية للنشر والتوزيع، المملكة الاردنية الهاشمية، ٢٠٠٦.

**دوزي، رينهارت.**

١٨٤- المسلمون في الأندلس، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤.

**رنسمـان، ستيفن.**

١٨٥- الحروب الصليبية، ترجمة السيد البـاز العربي، دار صادر، بيروت، ١٩٦٧.

**متز، آدم.**

١٨٦- الحضارة الإسـلامية فـي القـرن الرابـع الهجري، نقـله إلى العربية محمـد عبد الهادي ابو ريد، اعـد فهارسه رفعت البدراوي، ط٥، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

**هنتس، فـالتر.**

١٨٧- المكاييل والأوزان والمقـاييس ومـا يعادلها فـي النظام المتري، ترجـمة د. كامل العسـلي، ط١، الجـامعة الأردنية، عمـان، ١٩٧٠.

## خامسـا: قـائمة الأطـاريح والرسـائل الجـامعية

**بحر، ربـاح حـامـد.**

١٨٨- الشعر فـي شلب مـن عصـر الطوائف حتى سقـوطها، رسـالة مـاجستير، عمـادة الدراسـات العـليـا، جـامعة الخليل، ٢٠٠٩.

**التميمي، سـرى عبد الحسـيـن عبـيد مـنصـور.**

١٨٩- مـدينة تطيلة الأندلسية من الفتح الإسـلامي حتى السقـوط (٩٢-٥١١هـ/ ٧١٠-١١١٧م)، رسـالة مـاجستير، كلية الآداب، جـامعة بغداد، ٢٠١٧.

**الجبوري، محـمـد سـلمـان صالح.**

١٩٠- التصدي العربي الإسـلامي للحـملات الصليبية فـي الأنـدلس ٤٨٧-٦٠٩هـ، رسـالة مـاجستير، المعهـد العالي للدراسـات السيـاسـية والدولية العامة، الجـامعة المستنصـرية، ٢٠٠٤.

**خلـف، ابو طـالب زايد، فليح، احـمـد فـرج.**

١٩١- فداء اسرى المسـلمـيـن مـن النصـارى فـي الأنـدلس (٤٨٧-٦٥٨هـ/١٠٩٤-١٢٥٩م)، رسـالة مـاجستير، كلية التربـية للعـلوم الإسـلامية، جـامعة البصـرة، العـدد ٢٠، ٢٠١٦.

**الحجـاج، زهراء عبد الرزاق طـاهر.**

١٩٢- جرائم النصـارى فـي الأنـدلس (٩٢-٦٤٦هـ/٧١٠-١٢٤٨م)، اطروحة دكتـوراه، كلية التربية للعلوم الانسـانية، جـامعة البصـرة، ٢٠٢٢.

**الدليمي، انتصـار محـمـد صالح.**

١٩٣- التحـديـات الداخلية والخارجـية التـي واجـهت الأنـدلـس خلال المـدة ٣٠٠-٣٦٦هـ / ٩١٢-٩٧٦م. رسـالة مـاجستير، كلية الآداب، جـامـعة الموصل، ٢٠٠٥.

**زنـاتي، جلال.**

١٩٤- مملكة قشتالة وليون فـي عهـد الفـونسو السـادس (٤٥٧-٥٠٢هـ/١٠٦٥-١١٠٩م)، رسـالة مـاجستير، كلية الآداب، جـامعة الأسكندرية، ٢٠١٠.

**السادة، احمد يوسف.**

١٩٥- الفكر السياسي والعسكري للحاجب المنصور محمد ابن أبي عامر (٣٢٦-٣٩٢هـ/٩٣٨-١٠٢٢م)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، ٢٠١٦.

**صفـي الديـن، محي الديـن.**

١٩٦- المستعربون ودورهم فـي تاريخ الأندلس ١٣٨-٤٨٣هـ/٧٥٥-١٠٩٠م، رسـالة مـاجستير، كلية العـلوم الإنسـانية والحضارة الإسـلامية، جـامعة وهــران، ٢٠٠٨.

**الصـوفـي، سمـاح فتحي إبـراهيم.**

١٩٧- الأخلاق الإسلامية عند حكام الأندلس وأثرها في بناء الدولة (٩٢-٤٢٢هـ/٧١٠-١٠٣١م)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، ٢٠١٥.

**عبد الواحـد، اسـراء محسـن.**

١٩٨- الاجراءات التعسفـية لقـادة فتح الأنـدلس لعهـدي الـفتح والولاة (٩٢-١٣٨هـ) رسـالة مـاجستير، كليه التربـية، جـامعة المستنصـرية، ٢٠٢١.

**محـمـد، صالح إدريس.**

١٩٩- تاريخ الدعـوة الإسـلامية فـي الأنـدلس مـن بداية الـفتح الإسـلامي حتى نهاية القـرن الرابـع الهجري، رسـالة مـاجستير، كلية الدعـوة والأعـلام، جـامعة الإمـام محـمـد بن سـودة الإسـلامية، ١٤١٤.

**مرزيان، احمد.**

٢٠٠- الفتنة البربرية في القرن الخامس الهجري وأثرها في النقد الأندلسي، أطروحة دكتوراه، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، المجلد ١٣، ٢٠٢١.

## سـادسـاً: قـائمة البحوث المـنشورة

**البشري، سعـد.**

٢٠١- جـهود البـابوية فـي دعم فـي دعم الحروب الصليبية فـي الأنـدلس وإذكائها، بحث مـنشور فـي مجلة العصـور، المجلد ٧، ج١، ١٩٩٢.

**حبيب وآخرون.**

٢٠٢- معـركة العقـاب دراسة تحليلة فـي اسبـاب الهزيمة والنتائج ٦٠٩هـ/١٢١٢م، كلية العـلوم الإنسـانية والإجتمـاعية، جـامعة ابن خلدون، ٢٠١٨.

**حتاملة، محـمـد عبده.**

٢٠٣- الاعتداءات الإفـرنجية (الصليبية) عـلى ديـار العـرب فـي الأنـدلس (حرب متـواصلة عـلى الإسـلام)، كلية العـلوم الاجتمـاعية والإنسـانية، الجـامعة الاردنية، عمـان، ٢٠٠١.

**الحسـيـني، قـاسـم عبد.**

٢٠٤- التسـامح الإسـلامي مع مكونـات المجتمع الأنـدلسـي اليهود أنموذجـاً، بحث مـنشور فـي مجلة أبحـاث البصـرة للعـلوم الانسـانية، كلية التربية للعـلوم الانسـانية، المجلد ٤٠، ٢٠١٥.

٢٠٥- السـيد القمبيطور ودوره فـي احـداث بلنسـية، بحث مـنشور فـي مجلة ابحـاث ميسـان، المجلد ١٠، العـدد ٢٠، ٢٠١٤.

**الخالدي، خالد يونس.**

٢٠٦- تحرير اسرى المسلمين في الأندلس (٩٢-٦٢٠هـ/٧١٠-١٢٢٣م)، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠١٠.

**الدليمي، خالد محمود عبد الله ورحيم، مهند عبد.**

٢٠٧- تزايد قوى الممالك الأسبانية وانحسار النفوذ الإسلامي في الأندلس خلال الحقبة (٤٢٢-٤٧٨)، بحث منشور في مجلة الفراهيدي، العدد ١٨، ٢٠١٤.

**الدراجي، هاشم داخل حسين، الساعدي، ايمان حسن مجيسر.**

٢٠٨- سبي النساء من الجاهلية حتى نهاية عصر النبوة، بحث منشور في مجلة كلية التربية، جامعة ميسان، كلية التربية، العدد ٣٢، ٢٠١٨.

**السنيدي صالح بن محمد بن راشد.**

٢٠٩- الفتنة القرطبية وسقوط الخلافة الأموية بالأندلس ٣٩٩-٤٢٢هـ/ ١٠٠٩-١٠٣١م عرض وتحليل لأسبابها ونتائجها، الناشر ابراهيم بن عطية الله السلمي، مسالك للدراسات الشرعية واللغوية والإنسانية، العدد ٧، ٢٠٢٠.

**القاضي، محمد.**

٢١٠- الجزيرة الخضراء ثغر الأندلس الباسم، بحث منشور في مجلة التاريخ العربي، العدد ١٨، ٢٠٠١.

**المصري، جميل عبد الله محمد.**

٢١١- الزلاقة معركة من معارك الإسلام الحاسمة في الأندلس، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط السنة الثامنة عشرة، العددان التاسع والستون والسبعون، د.ت.

**مكي، محمود علي.**

٢١٢- تاريخ الأندلس السياسي (٩٢-٨٩٧هـ/٧١٠-١٤٩٢) دراسة شاملة، بحث منشور في كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير سلمى الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٨.

٢١٣- تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد السابع والثامن، مدريد، ١٩٥٩-١٩٦٠.

# Abstract

Captivity in Andalusian history constitutes a natural extension of the protracted conflicts between Muslims and Christians in the Iberian Peninsula (92-897 AH / 710-1492 AD). The ongoing wars led to numerous battles and invasions, resulting in repeated instances of captivity. Based on this, the study, titled "Captivity in Andalusia (92-609 AH / 710-1212 AD)," is organized into an introduction and three chapters. The introduction begins by defining captivity and captivity in language and terminology, reviewing the historical roots of captivity among numerous civilizations, such as the ancient Iraqis, pre-Islamic Arabs, Greeks, Romans, Persians, and Abyssinians. The book also addresses the position of Islam on captivity according to the Qur'an and Sunnah. The first chapter deals with "Captivity in Andalusia from the Islamic conquest until the end of the Umayyad Emirate (92-316 AH / 710-929 AD)." It includes an introduction and two sections. The introduction deals with the terminological structure of the terms Spain and Andalusia, while the first section focuses on the captivity of Spanish Christians by Muslims, and reviews the campaigns and invasions that led to the captivity of women and children. The second section deals with the captivity of Muslims by Christians, highlighting the methods of oppression and violence followed by Christian forces. The second chapter is entitled "Captivity in Andalusia from the era of the Taifa Kings until the era of the Almoravids (422-484 AH / 1031-1092 AD)." It is also divided into two sections. The first section is entitled "The Captivity of Spanish Christians by Muslims in Andalusia," and it explains the invasions and campaigns launched by Muslims against the lands of the Christian kingdoms. The second chapter deals with the Christians' captivity of Muslims in Andalusia, shedding light on the brutal crimes such as murder, burning and captivity that accompanied the conflicts between the two parties. The third chapter is titled "Captivity in Andalusia from the beginning of the Almoravid era until the year 609 AH / 1212 AD (the Battle of Al-Uqab)." It is divided into

two chapters. The first chapter is titled "The Muslims' Captivity of Spanish Christians in Andalusia." In this chapter, we discuss many of the battles that took place between Muslims and Christians, the Muslims' victory and their capture of Christian captives. The most important battle in this chapter is the Battle of Al-Ark, which took place in the year 591 AH / 1195 AD, which was considered one of the most prominent battles between Muslims and Christians in Andalusia. It resulted in the Muslims' victory and their capture of a large number of captives and spoils, and the Christians' loss. The second chapter was titled "The Christians' Captivity of Muslims in Andalusia." This chapter dealt with the most important battles that took place between Christians and Muslims, and with all the cases of captivity that Christians took from Muslims. The Battle of Al-Uqab is considered one of the most important battles mentioned in this chapter, and it touched upon the bitter defeat that Muslims suffered and the victory of Christians.

**Republic of Iraq**

**Ministry of Higher Education a**

**University of Misan**

**College of Education**

**Department of History**

# Captivity in Andalusia (92-609 AH /710-1212 AD)

## A Historical Study

A Thesis Submitted by

**Asia Lafta Naeem Al-Saedi**

**To the Council of the College of**

**Education - University of Misan as a Fulfillment of Requirements for Master's Degree in Islamic history**

**Under the Supervision of**

**Prof. Dr. Qasim Abdul Saadoun Al-Hussaini**

**1446 A.H** **2025 A.D**